

رسالة القلم

إسلامية ثقافية شاملة

العدد التاسع والأربعون - السنة الثالثة عشرة - محرم ١٤٣٨ هـ - أكتوبر ٢٠١٦ م

- ♦ الأسس العقائدية لثورة كربلاء... حوار مع سماحة الشيخ رافد التميمي
- ♦ إني أحامي أبداً عن ديني
- ♦ نظريات في أهداف الثورة الحسينية
- ♦ الحسين (عليه السلام) ثأر الله
- ♦ النزول الدفعي للقرآن بين القبول والرد
- ♦ أصلة عدم الزيادة
- ♦ عدة المتمتع بها

٤٩ العدد: عاشوراء

رسالة القلم

Resalat - Alqalam

مجلة طلابية فصلية
تهدف إلى نشر الثقافة الإسلامية

علما بأن المقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

نستقبل ملاحظاتكم وانتقاداتكم حول المجلة عن طريق المراسلة

رسالة القلم

اسلامية ثقافية شاملة



فصلية تصدر عن
طلاب البحرين في الحوزة العلمية
بمدينة قم المقدسة

برعاية
مكتب البيان للمراجعات الدينية

• الهيئة الاستشارية:

الشيخ عبد الله علي الدقاد
الشيخ علي فاضل الصددي
الشيخ غازي عبد الحسن السماك

• المشرف العام:

الشيخ عبد الرؤوف حسن الربع

• رئيس التحرير:

الشيخ محمد علي خاتم

• مدير التحرير:

الشيخ عباس علي الصابع

• رئيس هيئة التحرير:

الشيخ عزيز حسن الخضران

• هيئة التحرير:

السيد جلال عدنان علوى
الشيخ علي عقيل الجمري
الشيخ منصور إبراهيم الجيلاني

كتابات في الثورة

كلمة العدد

أقمت الصلاة

رئيس التحرير

٣

دوار العدد

الأئمـة العـلـيـة لـثـورـة كـربـلـاـ وـالـعـرـف بـمـؤـسـسـة وـارـتـالـيـاـ

دواـرـ عـمـاـحةـ الشـفـيمـ رـافـدـ التـمـيمـيـ

٦

مدور العدد: عاشوراء

تدشين شعار عاشوراء (إبى أحامى أبداً عن ديني)

الشيخ على فاضل الصدّى

٢٦

سيرة شهيد الصلاة في يوم العاشر سعيد بن عبدالله الحتفي

السيد هاشم السيد سعيد العلوي

٤٢

نظريات في أهداف الثورة الحسينية

الشيخ منصور إبراهيم الجبيلي

٧٨

أنصار الحسين (عليه السلام) ورحلة العشق الإلهي

الشيخ مجید عبد الرسول السهلاوي

٩٢

حب الحسين (عليه السلام) بين الخير الدنيوي والآخرى

الشيخ جعفر محمد السعید

١١١

الحسين (عليه السلام) تار الله

الشيخ محمد جعفر المعامري

١٢٢

بحوث ومقالات أخرى

طلب العلم في النصوص الدينية (قسم الثاني)

الشيخ جاسم بدر المطوع

١٣١

النزول الدفعي للقرآن بين القبول والرد

الشيخ عبد الرؤوف حسن الريبي

١٦٢

أصولة عدم الزيادة تقرير لبحث الأستاذ آية الله الشيخ باقر الإبرواني

الشيخ غاري عبد الحسن السماسك

١٨٨

عدة الممتنع بها

الشيخ على فاضل الصدّى

١٩٥

٤٩



أقمت الصلاة

إقامة الصلاة هي واحدة من أربعة أمور قد جعلها الله تعالى غايةً لمن قدر على السلطة وإقامة الحكومة فقال: ﴿وَلَيُنْصَرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَفَوِيٌ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُ الزَّكَاةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(١)، وهذه الأمور الأربعة يركّز عليها في القرآن لما لها من آثار عظيمة في الدنيا والآخرة وتصدر الآية الوعد منه تعالى بنصر من يقوم بها، فالقصاص وإقامة الحدود وما شاكل ليست هي الغاية من إقامة الحكومة الإسلامية وإن تفرّعت عنها في بعض الموارد.

ومن لم يتمكّن من إقامة الحكومة الإسلامية لا ينبغي أن يمنعه مانع عن إقامة هذه الأمور التي تمثّل شعائر الله في أرضه فيسعى في تثبيتها وتقويتها.

بل يجب أن لا يتواتي لحظة واحدة إلا وأن يكون له جهد وعمل في سبيل إرساء دعائم الإسلام، وإفشال مخططات الكفر والنفاق، وحفظ التوحيد في النفوس، وغيرها من الأمور التي يمكن اختزانتها في (إقامة الصلاة)؛ لما لإقامة الصلاة من انعكاس بين معنى العبودية لله تعالى المستلزم لطاعته بِعِزْلَةٍ في شتى المستويات وعلى مختلف الأصعدة التي منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإيتاء الزكاة.



ومنه يعلم أن إقامة الصلاة في مصداقها الظاهري هو أداؤها والحفظ عليها لا سيما إذا كانت جماعة في أول الوقت، وإقامة الصلاة في معناها الآخر هو ما تقدم ذكره من ممارسة كل فعل من شأنه حفظ الدين وشعائره.

وبعد اتضاح هذا المعنى لإقامة الصلاة، لا بأس بالسؤال عن تلك الصلاة التي نشهد بإقامتها كلما زرنا الإمام الحسين عليهما السلام في مختلف الزيارات الواردة وكذا عند زيارة بعض الأئمة عليهم السلام حيث نقول: «أشهد أنت قد أقمت الصلاة»، ما معنى هذه الشهادة وهذا الإقامة للصلاة... والمجدير بالذكر أن هذه العبارة لم تطلق في زيارات المتصوفين عليهم السلام بل قد ذكرت في حق بعض أنصار الحسين عليهما السلام؟^(٢)

من الواضح أنه لا يقصد إرادة الشهادة الحاصلة في المرافعات أمام القاضي فليس هنا نزاع في البين. ولا يراد بها الشهادة على ما رؤى بالعين من عملية الصلاة المؤلفة من ركوع وسجود وغيرها من أفعال... فلم ير أحدنا صلاة المزور من الإمام الحسين وغيره من المتصوفين عليهم السلام... بل المراد من الشهادة هي أن يشهد ويعاين أن من يوصي بإقامة الصلاة لا بد من أن يتحلى بخصلة هي التطبيق لقوانين السماء بمحاذيرها فكما أن الصلاة اليومية التي يصلحها العبد لا بد من خلوها عن ما لا يرضيه المولى عزوجل فلا ينتهك حقاً لأحد في سبيل أدائها^(٣)، كما أنها لا تصح في غير وقتها ومن دون التوجّه إلى جهتها وما إلى ذلك مما يترجم حالة التطبيق لأحكام الدين ومفاهيمه في كل شيء يتعلق بالصلاحة بل في كل معاملاته.

فعندما أقول زائراً: أشهد أنت قد أقمت الصلاة، يعني ذلك أنتي أشهد وأعاين بعين بصيريتي ووعيي وأعيش في داخلي؛ أنتك أيها المزور قد حفظت أحكام السماء وطبقتها بمحاذيرها ولم تلن عنها مهما قست عليك الظروف، ولم

تحد عنها أبداً حتى قضيت في سبيل ربك صابراً محتسباً.

وهذا مستوى راقٍ من المعرفة التي يحسن بالزائر الاعتناء به؛ ليعكسه في فكره وسلوكه، فيرتقي في مدارج الكمال ويكون كمن يحدّث الله في عرشه فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «من زار الحسين عارفاً بمحنه، كان من محدثي الله في عرشه»^(٤).

رئيس التحرير

الهوامش:

(١) سورة الحج: ٤٠ - ٤١.

(٢) قالها الإمام الحسين عليه السلام في حق سعيد بن عبد الله الحنفي الذي وقف أمام الحسين عليه السلام حال الصلاة ليكون درعاً مدافعاً عن الحسين عليه السلام فتلقى السهام بجسمه الظاهر حتى سقط على الأرض، فقال الحسين له هذه العبارة.

(٣) كما هو الحال في شرطية الإباحة للماء والمكان والملابس وغيرها.

(٤) ابن قولويه القمي، كامل الزيارات، ج ١، ص ١٥٢، ح ١٧٧ من الباب الثاني والخمسون.

الأسس العقائدية لثورة كربلاء

والتعريف بمؤسسة وارث الأنبياء عليهم السلام

حوارٌ مع سماحة الشيخ رافد التميمي حفيده

حاوره: الشيخ منصور إبراهيم الجبيلي

من ما يحرّك الإنسان نحو العمل ويجعله مجسداً لما يحمله من أفكار في سلوكه هي العقيدة التي يكون منشؤها العقل السليم والفطرة، وحيث إنّهما ليسا بعصوين عن الخطأ فلا يكتفي بهما بل يستعين بكتاب الخالق عزّوجلّ وهو القرآن الكريم وبما هو معصوم ومتأصل بالوحى وهم أهل البيت عليهم السلام، ويمكن لنا أن نستلهم من ثورة الإمام الحسين عليه السلام الجانب العقيدي، فقد جسدت واقعة كربلاء خط التوحيد المتمثل في الإمام الحسين عليه السلام وفي المقابل خط التفاق والباطل، وهي مدرسة علّمتنا الفداء من أجل العقيدة والدين والبدأ، وأن لا نستسلم للظلم وأن نقف في وجهه وننصر المستضعفين.

كيف لا؟! وقد انتصرت فيها الدماء الطاهرة على السيف الجائر، لقد جاءت كربلاء وأيقظت الناس من سباتهم العميق، ولما كان حجم الفساد كبيراً وكان دين الله عظيماً، احتاجت الأمة إلى الإصلاح، والدين إلى إحياء بدماء فلذة كبد النبي صلوات الله عليه وآله.

نرحب بسماحة الشيخ رايد التميمي^(١) عضو مجلس إدارة مؤسسة وارث الأنبياء ومدير فرعها بقلم المقدّسة في هذا الحوار، والذي هو عبارة عن قسمين: قسم حول عاشوراء وقسم حول مؤسسة وارث الأنبياء.

القسم الأول من الحوار: حول عاشوراء

١- ما هي المنابع الأساسية لسلوك الإنسان؟ وما هو محل العقيدة في ذلك؟

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآل الطيبين الظاهرين، في البداية الشكر الجزيل إلى الإخوة في مجلة رسالة القلم لإتاحتهم هذه الفرصة لهذا الحوار ولبيان بعض المعلومات حول المؤسسة وفعالياتها وتأسيسها.

هناك مجموعة من الأمور التي تؤثر على سلوك الإنسان بشكل مباشر وتسير الإنسان نحو الخير أو الشر:

منها: العقيدة، فإن للعقيدة التأثير الكبير على سلوك الإنسان فهي التي تحدد له الأهداف والغايات التي سيسعى الإنسان إلى تحقيقها والوصول إليها، فالآمور التي يعتقد بها سوف تكون حقيقة موجودة في نظره والتي لا يعتقد بها لا تكون كذلك، ومن العلوم أن الإنسان يتحرك لما يعتقد بوجوده، فإن كان خيراً تبعه وعمل على تحقيقه، وإن كان شراً اجتنبه وعمل على الابتعاد عنه، فالعقيدة لها تأثير مباشر على سلوك الإنسان وأفعاله سلباً وإيجاباً.

ومنها: المبادئ والقيم الأخلاقية التي يحملها الفرد، فإن نوع الأخلاق والقناعات التي يحملها كل فرد لها تأثير كبير على سلوكه وأفعاله، فإن عادة الإنسان أن يسير وفق ما يراه من قيم ومبادئ أخلاقية يعتقد بأنها توصله إلى كماله، أو راحته



واطمئنانه، لذا نجد أنّ من يحمل مثل مبدأ التضحية والفداء يختلف سلوكه كلياً عن من لا يحمله.

ومنها: المعرفة الثقافية وسعة الاطّلاع على الأحداث وال مجريات فإنَّ من كان كثير الاطّلاع وعالماً بما يدور حوله يمكنه أن يتخد قرارات تختلف عما لا يكون كذلك، وبتبغه سوف تختلف سلوكيات الأفراد بتبع ذلك.

ومنها: الحالات الروحية والجسمية التي عند الأفراد والتي يمكن تنمية أكثرها من خلال الممارسات الرياضية والأخلاقية.

هذه مجموعة من الأمور التي تؤثر في سلوك الإنسان وتحدد فيما إذا كان سلوكه إيجابياً أو سلبياً، وهذه الأمور وإن كان يوجد تشابه واشتراك في بعض مفرداتها إلا أنَّ للعقيدة الدور الأبرز والأسبق في جميع ما تقدم لأنَّه عليها تبني بقية الأمور، وعلى الأقل إنَّ أكثر ما تقدم يبني على أصول العقيدة الأساسية والتي تعبر عن الرؤية الكونية، وبطبيعة الحال فإنَّ الأيديولوجيات تتبع الرؤية الكونية، لذلك فإنَّ العقيدة تعتبر الأمر الأساس في أكثر أفعال الإنسان وهي المنطلق الذي يحدد الحقيقي من الوهمي.

٢- ما هي الأسس التي يتمكن الإنسان من استقاء عقيدته منها؟

إنَّ العقيدة تقسم إلى الأصول والفروع، أمّا الأصول فلا بدَّ من أن تستقى من العقل وفق منهج دقيق ومنظّم للعقل السليم والفطرة السليمة، وهنا مدارس عديدة منها المدرسة الكلامية والمدرسة الفلسفية بفروعها الثلاثة: المشاء والإشراق والحكمة المتعالية، والمدرسة العرفانية، وهذا لا يعني اختلاف النتائج في أصول العقيدة، بل إنَّ جميع هذه المدارس تتفق على أصول واضحة ونتائج مدللة، وإنما يكون الاختلاف عادة في الأسلوب والطريق المتبَّع، مع بعض النتائج، وبعد ثبوت أصل العقيدة من المنهج العقلي على اختلاف أساليبه يأتي دور الوحي للتّأييد أو

التأسيس للكثير من العقائد ومن ثم كلام المعصومين عليهم السلام، ولذلك يمكن أن نقول إنّ الأسس التي تؤخذ منها العقيدة الصحيحة هي العقل والفطرة السليمان، والقرآن الكريم وسنة المعصومين عليهم السلام، فمن يريد أن تكون له عقيدة سليمة وصحيحة وثابتة لابد من أن يسلك طريق العقل المدعوم والمؤيد والمسمى بالوحي، ومن المعلوم أنّ جميع ذلك لابد من أن يكون من خلال أو تحت نص وبيان وبيان أنساس متخصصين مأمونين -طبعاً في غير أصول العقيدة الواضحة- وإنما في مثلها يمكن للعقل الوصول إلى الأساسيات الواضحات من العقائد ب مجرد التأمل والتدقيق والمتابعة.

٣- بعد أن عرفنا دور العقيدة في السلوك والأسس الذي تستقي منه العقيدة، ما هي الأساس العقائدية التي قامت عليها ثورة الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء ومن أين يمكن استكشافها؟

يمكن أن ننوع أهداف الثورة الحسينية إلى ثلاثة أنواع، لكل نوع منها أسمه ومبادئه:

الأول: الأهداف التي هي مورد اهتمام الإنسانية جموعاً على اختلاف أفكارهم وعقائدهم وقناعاتهم، حيث نجد إنّ مجموعة من الخطابات الحسينية كانت متوجهة للإنسان بما هو إنسان وبما يحمل من هوية تقيّه عن بقية الحيوانات وال موجودات، فنجد أنّ الإمام الحسين عليه السلام نادى بالتوحيد وهو أساس ومبدأ وركيزة جميع العقائد، حيث نجده عليه السلام قد أبرز هذه العقيدة وركّز عليها من خلال كلامه وأفعاله وجميع حركاته وسكناته فهو عليه السلام دائماً يبدأ بالثناء والحمد والشكر لله تعالى، وهو مسلم بشكل مطلق للإرادة الإلهية في أشدّ الظروف وأصعب الحالات ويردد كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) بشكل مستمرّ.

قد نادى بالعدالة ونبذ الظلم وضرورة كفاءة الحاكم ونظم أمر الدولة وتنصيب

الكفاءات للمناصب المهمة إلى غير ذلك من الأمور التي خاطب بها الإنسانية.

إن هذه الأهداف منبعها العقل والفطرة السليمة حيث إنَّ من راجع عقله وفطرته بما هو إنسان يجد من نفسه أنه لا يمكن أن يقبل غير التوحيد، ولا يمكن إلا أن ينبذ الظلم ويطلب بالعدالة ويسعى لِإحقاق الحق ومعونة المظلوم، وما إلى ذلك من المطالبات الإنسانية التي يحكم بها العقل وتنادي بها الفطرة، فثورة الإمام الحسين عليهما السلام في أهدافها الإنسانية تعتمد على العقل والفطرة السليمة، وهذا ما يمكن استكشافه من خطابات الإمام عليهما السلام ورسائله ومحاوراته مع الأعداء وحمل مفاسيل النهضة المباركة التي ابتدأت من المدينة وإلى مكة ومروراً بكرباء واستمراراً إلى الأبد.

قال عليهما السلام: «وَيْلُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَّكُمْ دِينٌ فَكُونُوا أَحْرَاراً فِي دِينِكُمْ»^(٢)

الثاني: الأهداف الإسلامية العامة والتي هي مورد اهتمام كل مسلم على اختلاف مذاهبهم وفرقهم، فنجد أنَّ الخطاب الحسيني قد ركز على مجموعة من الأمور التي هي مورد اهتمام واحترام وقبول من قبل جميع المسلمين على مستوى العقيدة كمباحث النبوة والقرآن وخصوصياته وأهمية السنة النبوية والوصية الإلهية وغيرها من الأمور، ومن قبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق الرؤية الإسلامية، فإنَّ الخمر منكر واللهو واللعب والغناء منكر، الظلم والتجاوز على الآخرين منكر، تضييع أموال المسلمين منكر، إلى غير ذلك من الموارد التي نبه إليها الإمام الحسين عليهما السلام وأنها أمور يجب أن لا تكون في الحاكم الإسلامي ولا في المجتمع الإسلامي، وأمر بالصوم والصلوة والزكاة وغيرها من الأحكام، وقد ارتكزت التعليم الحسينية في هذا المستوى بالإضافة إلى ما تقدم على القرآن الكريم الذي هو وحي السماء وعلى كلام الرسول الأعظم عليهما السلام وعلى مرتكزات وثوابت المسلمين. قال رسول الله عليهما السلام: «حسين متى وأنا من حسين»^(٣).

الثالث: الأهداف الإسلامية الأصلية والتي هي أساس وقام المجتمع الإياني،
فقد رسمت هذه النّهضة المباركة خارطة الطريق للمجتمع الإياني وقد حفظت آخر
الرسالات السماوية من الاندثار والزوال وقد ميّزت بشكل لا غبار عليه بين الحق
والباطل، بين المضامين الحقيقة وبين المظاهر الخاوية، فقد علّمت هذه النّهضة
المباركة الأجيال -على مر العصور- الثبات والمقاومة والصمود ومعنى التوحيد
ال حقيقي والذوبان في ذات الله والتضحية من أجل العقيدة والدين، وقد بين
الإمام عاشق الله هذه الأمور من خلال بيان ورسم المعلم الحقيقة للدين والتوحيد
والنبوة والإمامية، وكيفية ارتباط العبد بمولاه وما إلى ذلك من الأمور التي تحلى في
أقواله وسيرته عاشق الله.

ومن خلال ما تقدم يتضح أنّ النّهضة الحسينية قد قامت على أسس عقائدية
متنوعة كالعقل والفطرة الإنسانية والقرآن والستة النبوية، وهذا ما يمكن استنتاجه
من محمل أقوال وأفعال الإمام عاشق الله في طوال سيرته المباركة ونهضته المقدّسة من
المدينة وإلى كربلاء.

٤- ثورة الإمام الحسين عاشق الله ثورة إصلاح اجتماعي وعقائدي فما هي علاقة الإصلاح بالثورة العقائدية؟

عندما تكون هناك أخطاء معينة في مسيرة ما أو في منهج معين أو في فكر
خاص فإنه لا بد من الإصلاح والتعديل وتقويم المسار، وذلك من خلال التنبيه
والتنذير والتابعة وما إلى ذلك.

لكن في بعض الأحيان يكون الانحراف والخطأ بدرجة لا يمكن أن يصلح
بالتنذير والتنبيه وما شاكل وإنما يحتاج إلى ثورة ونهضة كبيرة على مستويات
عديدة بحيث تعرض المجتمع إلى هزة قوية ترجعه إلى وعيه ورشده، ومن أجل
ذلك كانت كربلاء، حيث إن الانحراف وصل إلى مرحلة تغيير أهم المبادئ والركائز

للدين الإسلامي حتى قيل "لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل"^(٤) فالانحراف بدأ من الخلل في العقائد ومن الرؤية الخاطئة لأهم مبادئ الدين الإسلامي، من التوحيد والنبوة والإمامية وغيرها، وهذا انعكس بشكل كبير على المجتمع الإسلامي فصار الحاكم الإسلامي منكراً لأهم العقائد والأحكام والسلوكيات، فلا وحي من السماء ولا صلاة ولا صوم ولا إمام عادل منصوب من السماء، فحتى يكن تغيير هذا الواقع المريض وإرجاع الأمور إلى نصابها لا بدّ من ثورة قوية تصلح العقائد الإسلامية، وتبيّن الحقّ من الباطل، وتوطّر إلى رؤية عقائدية متكاملة يمكن أن تنتج منظومة أحكام متناسقة ومتكاملة حتى يكن للدين أن يدير الحياة الإنسانية بالشكل الصحيح الذي يكون مقرّباً إلى الله تعالى ومرضياً له.

٥- لا شكّ لدينا في أنّ ما تقدم من أمور عقائدية مشتركة بين جميع الأئمة ووفقاً لما تقدم من تبعية السلوك للعقيدة كيف نفسر اختلاف سلوكهم تجاه المجتمع والحاكمين مع اتحاد عقيدتهم؟

إنّ القابليات التي يتمتع بها أهل البيت عليهم السلام واحدة من جهة العلم والهمة والثبات وال بصيرة وما إلى ذلك، كما أن الأهداف التي ينشدونها واحدة أيضاً على مستوى العقيدة والفقه والأخلاق وحمل المنظومة الدينية، فهم عليهم السلام من جهة الفعلية والفاعلية سواء -إلا في بعض الموارد في مراتب أخرى على بعض الأقوال- ولكن الاختلاف يمكن من جهة القابل ومن جهة الظروف والمقتضيات التي يمرّ بها كلّ واحد من الأئمة عليهم السلام، لذلك نجد أنّ بعضهم عليهم السلام تظهر كمالات خاصة منه غير التي تظهر وتشتهر عن الآخر وما ذلك إلا لتغيير الظروف الخارجية، من هنا نجد أنّ الإمام علي عليه السلام ظهرت شجاعته وحكمته وعدله وما إلى ذلك من الصفات العظيمة لأنّه كان في زمن المروء وزمن الحكم ظهرت هذه الكمالات بشكل

أكثـر وأكـبر من غـيرها، ونـجد أنـ الإمام الحـسن عـلـيـه ظـهرـت منه بـراـعة وـحـكـمة وـحـنـكة في مـسـأـلة التـفاـوض وـالـصـلح الـذـي يـحـفـظ به دـمـاء الـمـؤـمنـين وـبـرـسـمـ من خـلالـه خـارـطة طـرـيقـ لـتـهـيـة الـظـرـوفـ الـمـنـاسـبـة لـمـسـقـبـ الـدـين وـحـركـتـهـ الـتـي قـرـبـعـنـعـطـفـاتـ خـطـيرـةـ، وـفيـ هـذـا السـيـاقـ كـانـتـ نـهـضـةـ الـإـمـامـ الحـسـنـ عـلـيـهـ بـاـ تـحـمـلـهـ منـ جـمـيعـ الـقـيمـ وـالـمـبـادـئـ وـالـأـسـسـ وـالـثـوـابـتـ وـبـاـ اـشـتـملـتـ عـلـيـهـ منـ خـلـفـيـاتـ عـقـائـدـيـةـ وـفـكـرـيـةـ وـبـاـ نـالـ إـلـيـامـ عـلـيـهـ منـ وـرـاثـةـ الـأـنـبـيـاءـ وـالـمـرـسـلـينـ، بـحـيثـ حـفـظـ آخـرـ الرـسـالـاتـ السـمـاـوـيـةـ وـآخـرـ الـأـمـالـ إـلـهـيـةـ، وـنـجـدـ أنـ إـلـيـامـ السـجـاجـدـ عـلـيـهـ قدـ بـرـعـ فـيـ صـيـاغـةـ أـرـقـىـ وـأـدـقـ الـمـفـاهـيـمـ الـعـقـائـدـيـةـ وـالـفـقـهـيـةـ وـالـتـرـبـوـيـةـ وـالـسـيـاسـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ بـالـأـدـعـيـةـ وـالـمـنـاجـاـتـ وـالـتـضـرـعـ لـلـهـ تـعـالـىـ، وـنـجـدـ إـلـعـاجـ الـعـلـمـيـ عـلـىـ يـدـيـ الصـادـقـيـنـ عـلـىـ مـسـتـوـىـ الـمـعـلـومـةـ وـالـبـيـانـ وـالـتـخـصـصـ وـالـتـعـمـقـ وـالـنـشـرـ وـالـتـعـلـيمـ وـالـتـرـبـيـةـ، وـهـكـذـاـ نـجـدـ أنـ الـأـئـمـةـ عـلـيـهـمـ وـبـاـ يـحـمـلـونـهـ منـ رـوـحـ وـاحـدـةـ -«أـوـلـاـنـاـ مـحـمـدـ وـأـوـسـطـنـاـ مـحـمـدـ وـأـخـرـنـاـ مـحـمـدـ»ـ⁽⁵⁾ـ وـقـدرـاتـ مـتـكـافـئـةــ قدـ غـطـىـ كـلـ مـنـهـمـ نـوـعـاـ خـاصـاـ مـنـ اـحـتـيـاجـاتـ الـجـمـعـ وـبـاـ سـمـحتـ لـهـمـ بـهـ الـظـرـوفـ الـمـتـعـاقـبـةـ الـتـيـ كـانـتـ تـتـغـيـرـ بـتـغـيـرـ الـحـكـومـاتـ وـالـأـوضـاعـ السـيـاسـيـةـ، وـمـاـ أـجـمـلـ الـمـقـولـةـ الـمـشـهـورـةـ لـلـشـهـيدـ مـحـمـدـ باـقـرـ الصـدـرـ عـلـيـهـ وـالـتـيـ هـيـ عـنـوانـ لـأـحـدـ كـتبـ (ـأـهـلـ الـبـيـتـ تـعـدـدـ أـدـوارـ وـوـحدـةـ هـدـفـ).ـ

٦ـ في ظـلـ الـظـرـوفـ الـراـهـنـةـ ماـ هـيـ وـظـيـفـتـناـ كـأـتـبـاعـ لـهـذـهـ الـمـدـرـسـةـ؟ـ وـهـلـ

هـنـاكـ ثـوـابـتـ عـلـىـ أـسـاسـهـاـ يـمـكـنـ تـحـدـيدـ حـرـكـتـنـاـ؟ـ

إـنـ مـدـرـسـةـ أـهـلـ الـبـيـتـ عـلـيـهـ مـدـرـسـةـ عـظـيـمـةـ كـوـنـهـاـ هـيـ حـقـيـقـةـ الرـسـالـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ الـخـاتـمـةـ تـلـكـ الرـسـالـةـ الـتـيـ تـعـتـبـرـ آخـرـ وـأـتـمـ مـشـاعـلـ الـهـدـاـيـةـ الـتـيـ أـرـسـلـهـاـ اللـهـ تـعـالـىـ إـلـىـ الـبـشـرـيـةـ وـسـتـسـتـمـرـ إـلـىـ قـيـامـ السـاعـةـ، وـكـلـ مـدـرـسـةـ وـفـكـرـ يـحـتـاجـ إـلـىـ مـجـمـوعـةـ مـقـومـاتـ كـيـ تـسـتـمـرـ، مـنـ أـهـمـهـاـ أـمـورـ ثـلـاثـةـ:

- المـاضـيـ الـمـشـرـفـ وـالـتـارـيـخـ الـعـظـيمـ.

- الحاضر العزيز الواضح والقويم.
- المستقبل المشرق والسعيد.

ومدرسة أهل البيت عليهم السلام احتوت على نقاط القوّة والعظمة وكل مقومات الاستمرار والثبات والانتشار، فقد احتوت على الماضي المشرّف والعظيم من خلال ثورة الإمام الحسين عليه السلام والتضحيات الجسام التي جعلت شيعة أهل البيت عليهم السلام يفتخرن على غيرهم بهذا الماضي ويعتزون به ويحيونه في كل عام وعلى مر العصور بحيث يجد المتتبع من خارج البيت الشيعي كأنّ الإمام عليه السلام قد استشهد الآن! فيجد البكاء واللطم والعزاء وكافة ممارسة الشعائر الحسينية عامرة وخالدة ومستمرة. كما أنّ هذه المدرسة احتوت على الحاضر الواضح من خلال نظام المرجعية الدينية الذي نصّت عليه روايات أهل البيت عليهم السلام، هذا النظام الذي حفظ وحدة الشيعة وتماسكهم رغم كل الظروف الصعبة التي مرّت بهم وما زالت ورغم كلّ العداء الذي يكنّه لهم أتباع الشيطان وأتباعبني أمية وأذنابهم، في خضم كلّ هذه الظروف نجد راية التشيع خفّاقة مرفقة ومنتشرة أكثر فأكثر، كل ذلك ببركة دماء سيد الشهداء وجهود وتضحيات مراجعنا العظام.

من هنا فإنّ وظيفتنا تتمرّكز على أمور عديدة، نذكر منها:

١. التعلم والتعرّف على أبعاد مدرسة أهل البيت عليهم السلام بشكل صحيح.
٢. الالتزام بتعاليمهم ووصياتهم وإرشاداتهم.
٣. الاحتكام دائمًا إلى مراجع الدين كونهم الوريث الشرعي لأهل البيت عليهم السلام.
٤. التعرّف على خطط الأعداء بشكل واعٍ، والوقوف على أساليبهم وطرقهم التي تريده أن تناول من الدين الإسلامي.
٥. ضرورة التّالُف والمودّة والمحبّة بين أتباع أهل البيت عليهم السلام كون هذا أحد الركائز والأسس المهمّة عندهم.

٦. لا بدّ من الوعي والبصيرة والتثبت في الأحكام وتقييم الآخرين ومعرفه الصديق الحقيقي من العدوّ الحقيقي.

٧. العمل على تحقيق وصية أهل البيت ع «كونوا لنا دعاة بغير ألسنكم»^(٦).

٨. الدعاء الحثيث المستمر لظهور الإمام ع فإنّ فيه فرجنا.

إلى غير ذلك من الوصايا المهمة التي لا بدّ من التنبيه لها خصوصاً في هذه الأزمنة التي كثُر الهجوم فيها على أتباع مدرسة الإسلام الأصيل.

٧- من جهة الأسس هل هناك فوارق بين ثورة الإمام الحسين ع وثورة الإمام المهدي ع؟

لا توجد فوارق بين ثورة الإمام الحسين ع وثورة الإمام المهدي ع من جهة الأسس والثوابت؛ إذ كلاهما من منبع واحد وهدف واحد، فالبداية من الله ومن التّوحيد ومن الإسلام، والهدف هو الله ورضاه وتحقيق غاياته، فكلاهما ثورتان إصلاحيتان، نعم الاختلاف بين الثورتين يكمن في أمور:

منها: سعة النتائج وانتشارها فإنّ ثورة الإمام المهدي ع سيكون تأثيرها أعم وأشمل وستشمل كافة العمورة.

ومنها: الطرق والوسائل التي استخدمتها وستستخدمها كلّ واحدة من الثورتين.

ومنها: إنّ ثورة الإمام الحسين ع كالمعدّ والعلة لثورة الإمام المهدي ع، فبينهما ترتّب طولي وهذا غير التقدّم والتأخر الزّمني.

٨- ما هي أهمّ الأمور التي ينبغي على الفرد منّا أن يحكمها في نفسه تكون له الأهلية في المشاركة في هذه الثورة المرتقبة؟

من الأمور المهمة التي أكدّت عليها الروايات هي مسألة الانتظار وقد عبرت عنه بأنه عمل «أفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج»^(٧) وهذا يدلنا على وجود

أعمال وواجبات على المنتظرين القيام بها والمواطبة عليها، وقد بَيَّنت الروايات الشريفة هذه الأمور بشكل واضح يمكن أن نشير إلى بعضها:

١. التعرّف على العقيدة الصحيحة من خلال الأدلة والبراهين، بحيث يكون كالجبل بوجه الشبهات والتشكيكات متسلحاً بسلاح العلم والمعرفة.
٢. التعرّف على الواجبات والحرمات وأثارها في الدنيا والآخرة.
٣. بناء الشخصية الذاتية بحيث تكون له القوّة على اتخاذ القرار الصحيح وتنفيذها بالشكل المناسب.
٤. الطّاعة لعلماء الدين ومراجع التقليد الذين شهدت لهم الحوزة بذلك بدون شكٍ وتردد.
٥. البصيرة واليقظة المستمرة للخطط التي يتبعها أعداء الدين وللتشويشات التي يمارسونها بأشكال مختلفة.
٦. التذكير المستمر بقضية الإمام المهدي عليه السلام والتهيؤ الدائم للظهور المقدّس.
٧. الدّعاء المستمر بتعجيل الظهور.
٨. المواطبة على مجموعة من الأدعية التي تجعل الشخص من أصحاب الإمام عليه السلام ومن الراغبين معه في عصر الظهور حتى وإن كان قد مات منذ زمن.

إلى غير ذلك من الوظائف والمهام التي هي بعهدة المنتظرين الحقيقيين، وهذا جمّيعه يكشف لنا أنّ المهم هو التهيؤ والانتظار الصحيح وأنّ من عمل بهذه الوظائف فقد أدى وظيفته وكأنّه في عصر الظهور وله أجر وثواب ذلك بشكل مماثل وبنفس المرتبة، لذلك جاء عن أمّة أهل البيت عليهم السلام:

- عن علي أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله فإنّ أحبّ الأعمال إلى الله بِرْكَةً انتظار الفرج»^(٨).

- عن الإمام السجّاد عَلَيْهِ الْكَفَافُ : «انتظار الفرج من أعظم الفرج»^(٩).
- عن الإمام الكاظم عَلَيْهِ الْكَفَافُ : «انتظار الفرج من الفرج»^(١٠).

وهكذا نجد أنّ الروايات الشريفة اهتمت بقضية الانتظار ووظائف المتظرين، ولم تهتمّ لوقت الظهور بل وقد نهت عن التوقيت، وأكّدت على أنّه ليس من شؤون الناس التوقيت والتحديد وإنّما هذا أمر بيد الله تعالى.

كلمةأخيرة:

إنّ القضية الحسينية هي أهمّ قضية حفظت لنا الدين الإسلامي.

والشعائر الحسينية هي المحرّك الأساس للوضع الديني وللمؤمنين على مرّ السنين، وقد ضحى من أجلها الكثير من الفقهاء والعلماء وسائر أبناء المجتمع الإياني، وقد وصلت إلينا وتحملنا مسؤوليتها والحفظ عليها، وحتى نستمرّ بذلك على الوجه الأفضل لا بدّ من التنبيه إلى مسألة جداً مهمة وهي -وكما جاء في بعض التقارير الغربية وكذا بعض المعلومات عن الوهابية التكفيريّين الداعشيين-: أنّهم قرّروا بأنه لا بدّ من ضرب القضية الحسينية من الداخل ومن الخارج من خلال التشكيك والشبهات والتزوير وتشويه الصورة وأيّ ممارسة تفيّد في إبعاد وتنفير الناس عن القضية الحسينية.

لذلك لا بد من التنبيه لأمرتين:

الأول: لا بدّ من الحفاظ على الشعائر وإحياء المجالس بشكل أكبر وأكثر.

الثاني: لا بدّ من التنبيه بشكل دائم لخطط الأعداء وكشف شبّهاتهم وتشكيكاتهم ومقاصدهم الخبيثة.

وكلا الأمرين يتيسّران من خلال الرجوع إلى العلماء والفقهاء ومراجع الدين، فهم صمام الأمان للمجتمع الإياني في عصر الغيبة كما أوصانا أهل البيت عَلَيْهِ الْكَفَافُ.

بذلك.

القسم الثاني: حول مؤسسة وارث الأنبياء

١- حبذا لو تذكر لنا نبذة تعريفية حول المؤسسة وتأسيسها؟

تعتبر مؤسسة وارث الأنبياء إحدى أهم المؤسسات التي أنشأتها العتبة الحسينية المقدسة المتخصصة في النهضة الحسينية لدراسة أبعاد هذه النهضة المباركة تأريخياً تحليلياً عقائدياً وما يرتبط بالقضية الحسينية من جميع النواحي، ولذلك ارتأت الأمانة العامة في العتبة الحسينية المقدسة أن تتخذ هذه المؤسسة الحواضر العلمية في النجف الأشرف وفي قم المقدسة لتغطية هذه الأمور من جهة علمية ومن جهة تحقيقية، وتعتبر هذه المؤسسة أكبر مؤسسة تحقيقية علمية لها مشاريع عديدة وكوادر، وتعتبر إدارياً وقانونياً تابعة للعتبة الحسينية المقدسة وتحت إشراف الأمانة العامة، أما تاريخ تأسيسها فهو يرجع إلى ما قبل أربع سنوات في النجف الأشرف ومن ثم تفرّع إلى قم المقدسة قبل ثلاث سنوات وقبل سنة فتح فرع في الأهواز.

٢- ماهي الهيكلة العامة للمركز والأقسام ومدراؤها؟

للمؤسسة ثلاثة مراكز - ولا يخفى أن المؤسسة كان اسمها مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية وبعد التشاور مع الأمين العام للعتبة الحسينية والمتولّي الشرعي للعتبة غير إلى مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، والمؤسسة تتكون من هيئة علمية مشرفة ومجلس إدارة ومدراء وأقسام ووحدات، وفيما يرتبط بالهيئة العلمية المشرفة فهناك هيئة علمية مشرفة على المؤسسة تتكون من مجموعة من الفضلاء وأساتذة الحوزة العلمية، منهم: سماحة الشيخ محمد السندي [البحريني]، وسماحة السيد عادل العلوى، وسماحة السيد منير الباز [القطيفي]، وسماحة الشيخ عبد المهdi الكربلاي، وكان منهم المرحوم سماحة

الشيخ محمد مهدي الأصفي، وهذه الهيئة تتبع القضايا الكلية في المؤسسة وما يرتبط بالجانب العلمي بحسب ما يرتوونه، وكانت لهم ملاحظات قيمة وانتقادات بناءة أثرت المؤسسة.

وفي المؤسسة مجلس إدارة هو الذي يحدد السياسات العامة والمشاريع ويعين المدراء في فروع المؤسسة، وهناك مدير تنفيذي هو الذي ينفذ هذه السياسات، ثم تأتي الوحدات العاملة فلكلّ مشروع وحدة عاملة، وأما في ما يرجع للمركز غير النجف الأشرف وقم المقدسة، ففي الأهواز توجد مؤسسة إلا أنه حالياً تابعة لمؤسسة قم المقدسة تقريباً.

٣- ما هي أهم الإصدارات العلمية للمركز، خصوصاً مجلة الإصلاح الحسيني؟ وما مدى تقبل الأوساط العلمية لها وما مدى نجاحها؟

حتى الآن للمؤسسة ٢٧ إصداراً، وصدر مجلة الإصلاح الحسيني أحد عشر عددأً، في المجلة إلى العدد الثامن كانت المواضيع التي تنتخب وتطرح مختلفة لكل مقال موضوع خاص وإن كانت كلها ترتبط بالقضية الحسينية وهناك نافذة قليلة للدراسات الدينية غير الحسينية في كلّ عدد مقال أو مقالين، -ولكن بدأنا بعد هذا العدد في محور المجلة بجعل عنوان تدور المقالات حول هذا المحور، وأما فيما يرجع لمدى ردة فعل الأوساط العلمية فقد وصلتنا ردة الفعل من شخصيات وأساتذة حوزة وكتاب وخطباء وبعض الآيات العظام، وهذا نستشفه من الطلب على المجلة وهناك طلب كبير عليها لما تحتويه من مقالات علمية تخصصية، وأما فيما يخص باقي الإصدارات فقد صدر من كتاب المجلة أكثر من عدد وفيما يرتبط بالراصد الحسيني فقد صدر أربعة أعداد وأربعة جاهزة قريبة الصدور، فهذه إصدارات المؤسسة.

٤- ما هو ارتباط المركز بالمرکز العلمية والجامعات في الجمهورية

الطبعة الثانية عشر - المؤسسة العلوية - العدد السادس - ٢٠١٤ - أكتوبر - ٢٠١٣

الله ربّه

الإسلامية؟ وما هي الخطوات التي بذلت في هذا الشأن؟

مسألة التواصل مع المراكز الأخرى والمواضير العلمية مهمة جداً لكل الأطراف والجهات سواء من جهة عدم تكرار العمل أو إمكان التعاون لتبادل الخبرات وإنجاز مشاريع مشتركة، لذلك عمدت المؤسسة منذ التأسيس إلى زيارة المؤسسات ومتابعة هذا الموضوع بشكل كبير، فكانت هناك زيارات واسعة للمؤسسات والمراكز العلمية وللشخصيات العلمية والتحقيقية أساتذة الحوزة وكذلك الجامعات، فكانت هناك استفادة كبيرة وفوائد جمة للطرفين، وعقدت المؤسسة مجموعة من الاتفاقيات مع بعض الجامعات لتبادل الإصدارات والخبرات والتعاون، كما أنه كثرت الزيارات للمؤسسة إما للتعاون وإما لطلب المعونة، ومسألة التواصل عملنا عليها وما زلنا نعمل عليها فهي مفيدة للمؤسسة وبباقي المؤسسات، وهناك فكرة العمل لا زال جاريًّا على إعدادها وهي عقد مؤتمر للمؤسسات العلمية والتحقيقية في قم المقدسة برعاية العتبة الحسينية المقدسة وإن شاء الله تكون له فوائد علمية وعملية.

٥- ما هي الأعمال التي يقوم بها المركز في النجف وقم وما مدى التنسيق بين المركزين؟

تعتبر المؤسسة واحدة وهناك مجموعة من الأعمال المشتركة ومجموعة من الأعمال الخاصة، للمؤسسة ككل مجموعة من الأعمال العلمية:

منها -ما هو جارٍ على أرض الواقع فعلاً- وهو العمل على موسوعة تحقيقية تهتم بالتراث الحسيني والكتب التي كتبت حول الإمام الحسين عليه السلام فيما يختص بنهايته وسيرته ومقتله إلى القرن السابع كخطةٍ أولى، هذا العمل معظمه أنجز في النجف الأشرف وبعده في قم المقدسة، والعمل ما زال مستمراً.

ومن ضمن أعمال المؤسسة العلمية هو التأليف، بدأت المؤسسة بتأليف الكتب

٢٠

حول الموضوعات الحسينية المهمة سواء التي لم تعطَ حقّها في التأليف أم التي لم يؤلفَ فيها أصلًا، فجمعنا مجموعة كبيرة من المواضيع وعرضناها على الهيئة العلمية ومجموعة من الفضلاء واستخرجنا منها مواضيع مهمة وبدأنا بالكتابة فيها، وإلى الآن أنجزت ثلاث كتب.

ومن أعمال المؤسسة مجلة الإصلاح الحسيني، وفيها خير شاهد على هذا العمل المشترك وأنّ المؤسسة في النجف الأشرف وقم المقدسة واحدة هو أنّ رئيس تحرير ومدير تحرير المجلة [مقرّه] في النجف الأشرف وهيئة التحرير [مقرّها] في قم المقدسة، والحمد لله العمل منسق بشكل جيد ومنظم ومرتب والعمل يسير بانسيابية تامة.

ومن الأعمال العلمية للمؤسسة الموسوعة العلمية من كلمات الإمام الحسين علّيّه السلام المنتشرة في أكثر من مصدر فقد جمعناها في هذه الموسوعة وأضفنا إليها كلمات لم تكن مدرجة ضمن كلمات الإمام الحسين علّيّه، كما قمنا بحذف ما أضيفت من كلمات اشتباها، إضافة إلى تقسيم هذه الكلمات بحسب المواضيع الكلية والجزئية، والعمل جار عليها والمرحلة الأولى - وهي جرد الكلمات واستخراج النكات العلمية والتعليق عليها - قد انتهت بحمد الله، والآن بدأنا بإدراج كلّ موضوع جزئي في ملف خاص وما يرتبط به من كلمات ومؤيدات، وحتى الآن استخرجنا ما يقرب من ثلاثين موضوعاً كلّياً في مجالات مختلفة من فقه وعقائد وطب واجتماع وتاريخ... الخ، ثمّ يعطي الملف لصاحب اختصاص حتى يبدي رأيه من خلال اختصاصه، فت تكون موسوعة علمية بمختلف الاختصاصات حول كلمات الإمام الحسين علّيّه.

ومن ضمن الأعمال دائرة معارف الإمام الحسين علّيّه الألف بائمة وفيها تخرج المدخل وتوضع فيها بحسب ترتيب الأحرف الهجائية للأماكن والأعلام والمفاهيم



عبدالله بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الله

الله

وكل ما يرتبط بالقضية الحسينية وفي كل مدخل يكتب مقالٌ يشير ويوثق كلّ ما يرتبط بهذا الموضوع من آراء ومصادر وأدلة، على غرار دوائر المعارف العلمية.

ومن ضمن الأعمال التي تعمل عليها المؤسسة موسوعة رد الشبهات عن النهضة الحسينية، بدأنا بإحصاء الشبهات وإحصاء الأوجبة عن هذه الشبهات، وجعلنا لكل شبهة ملفاً مختصاً بها يعكس أصل الشبهة وتاريخها والأوجبة عليها.

ومن ضمن الأعمال هو العمل على الرسائل العلمية الجامعية المرتبطة بالنهاية الحسينية، وعملنا فيها على مستويين:

الأول هو إحصاء الرسائل الجامعية التي كتبت وتم الدفاع عنها في الجامعات، هذه نحن نستحصلها والإذن بها ثم تطرح على اللجنة العلمية المتخصصة في قسم الرسائل، فإنْ كانت صالحة للنشر تنشر وإن كانت تحتاج إلى تعديل تعدل بالاتفاق مع الكاتب ثم تنشر، حتى الآن استحصلنا ثلاثة رسالة جامعية ترتبط بالنهاية الحسينية وجميعها غير مطبوع والعمل جار على ترتيبها.

وأما المستوى الثاني هو إعداد مواضيع حسينية تصلح لكتابه رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه، وأعددنا أكثر من سبعين موضوعاً والعمل جار في إعداده بشكل كراس مع بيان الفكرة والهدف وإن شاء الله يوزع على الموزعات العلمية والجامعات، والطالب الذي ينتخب من هذه الموضوعات سوف تكون له الأولوية في طباعة الرسالة وتقديم الاستشارة أو الاستفادة من المكتبة الموجودة في المؤسسة وكلّ الخدمات التي تقدمها المؤسسة ستكون في المتناول.

ومن الأعمال هو إجراء الندوات، وحقّ الآن أجرت المؤسسة عشرين ندوة علمية تخصّصية حول النهاية الحسينية ويتمّ فيها دعوة أئمة المذاهب والفضلاء وهذه الندوات تطبع على شكل قرص مغناط (CD) توزع وتوضع على الموقع الإلكتروني وتطبع أيضاً.



وتوجد في المؤسسة مكتبة حسينية متخصصة وحاولنا أن نجمع التراث الحسيني في مكان واحد والعمل جار على شراء الكتب، وحتى الآن المكتبة تحتوي على ثلاثة آلاف عنوان حسيني، وهذه المكتبة تكون مفتوحة للمحققين والباحثين والخطباء والطلبة للاستفادة منها، ومن ضمن أقسام المؤسسة قسم الترجمة، بدأنا بإحصاء الكتب الفارسية المؤلفة في النهضة الحسينية ووضعنا سلسلة أولويات للكتب التي تستحق الترجمة، حتى الآن ترجمت ثلاثة كتب والكتاب الرابع في أواخره، وإن شاء الله قريباً تصدر بعض الكتب المترجمة.

ومن ضمن أقسام المؤسسة هو قسم الراصد الحسيني أو قسم الرصد، ويكون العمل فيه على مستويين:

الأول: هو رصد جميع الفعاليات الحسينية سواء كانت في الواقع الالكتروني أم كانت في الفضائيات أم في دور النشر وكل ما يرتبط بالقضية الحسينية.

وأما المستوى الثاني هو العمل على نشر مجلة شهرية للراصد الحسيني تعكس الفعاليات الحسينية في كل شهر من إصدار كتب ومقالات مؤتمرات وندوات وأخبار، وهذا يعكس لنا مجموعة من الأمور المهمة منها معرفة أكثر القضايا الحسينية وأقلها ويعطينا خططاً بيانيةً للقضايا الحسينية، الذي على ضوئه يمكن رسم سياسات مستقبلية للمؤسسة ولغيرها من المؤسسات، ويوجد موقع إنترنت للمؤسسة توضع فيه برامج المؤسسة وفعالياتها وكل نتاجات المؤسسة موجودة على الموقع ويمكن تحميلها بسهولة، فهذه محمل أعمال المؤسسة.

٦- ما السبب في اختيار قم ليكون المركز فيها دون سائر المدن الإسلامية؟

بداية التأسيس كانت في النجف الأشرف لكونها حاضرة علمية، نحن عندما نريد أن نعرف القضية الحسينية وأبعادها لا بد من أن نذهب إلى الحواضر العلمية،

والحاضر العلمية والتاريخية العقائدية مرتبطة بالجامعة الشرفية، وحضرت
الجامعة العلمية اليوم هي النجف الأشرف وقم المقدسة، لذلك كان الانتخاب لهذين
المكانين لغرض الاستفادة من الكوادر العلمية المتوفّرة حتى يشروا مشاريع المؤسسة
لا للإفادة، ومن ثم في أماكن أخرى تكون الإفادة، نحن لا ننكر وجود حواضن
علمية أخرى كما في لبنان والبحرين وأماكن أخرى ونحن لم نقتصر على النجف
الأشرف وقم المقدسة وإن بدأنا بها لأهميتها، فنحن عندنا طموح أن تتدبر يد العترة
الحسينية لإنشاء مراكز وفروع للمؤسسة في تلك الأماكن.

٧- ما هي إنجازات المركز وما هي الأهداف التي تطمحون إليها؟

أهداف كثيرة تهدف إليها المؤسسة، منها تأصيل الفكر الحسيني، وقضية الإمام
الحسين عليه السلام هي المحرك الأساس للوضع الشيعي، ويكون لها أن تكون المحرك للوضع
الإسلامي بل للوضع الإنساني، فالنهضة الحسينية لها القابلية أن تحرّك المجتمع الإياني
والإسلامي والإنساني.

المؤسسة تطمح لأمرتين:

الأول: هو التأصيل والتحقيق وبيان الحقائق بالشكل العلمي الصحيح الذي
يكون تحت إشراف المرجعية العليا وأساتذة الجامعة، والذي يمثل الخط العام للمذهب
بعيداً عن الشواد والأراء الخاصة والتطرّفات.

الثاني: هو عالمية النهضة الحسينية، نعم نحن بدأنا شيعياً ولكن -إن شاء الله-
لا نقف عند ذلك، فالنهضة الحسينية لها هذه القابلية ولكن بحاجة إلى عمل وإثبات
ومشاريع تكون ناظرة إلى خارج البيت الإياني، ونفيid المجتمع غير الشيعي.

أنا من متابعي مجلة رسالة القلم، فيها أفلام جيدة واستفدت من بعض مواضيعها
العلمية، وأعتقد أنها سدت فراغاً في الأوساط العلمية والساحة الثقافية، ونسأل الله
أن يكتب لها النجاح وال توفيق كما هي موفقة ونسأله أن يديم ذلك.

أشكر مجلة رسالة القلم جزيل الشكر على إتاحتها هذه الفرصة لبيان مواضع
ترتبط بمؤسسة وارث الأنبياء التابعة للعتبة الحسينية.

ختاماً نشكر سماحة الشيخ رافد التميمي ونتمنى له مزيداً من التوفيق والسداد،
وأن يحشر مع أصحاب الحسين عَلَيْهِ الْكَفَالَةُ.

الهوامش:

- (١) ولد سماحة الشيخ في محافظة البصرة عام ١٩٨٠م، ثم هاجر إلى إيران، أنهى الدراسة الأكاديمية إلى مرحلة الدبلوم، ثم حاز على شهادة البكلوريوس والماجستير في فرع المعارف الإسلامية من جامعة المصطفى عَلَيْهِ الْكَفَالَةُ، أتم دورة أصولية كاملة، وبحوث فقهية في عدة أبواب عند عدة من الأعلام حفظهم الله، وهو أستاذ للمقدّمات والسطوح في الحوزة، له عدة تأليفات ويشغل الآن منصب عضو مجلس الإدارة في مؤسسة وارث الأنبياء، ومدير فرعها في قم المقدسة.
- (٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٨، ص ٢٠٣.
- (٣) الجامع الصغير، السيوطي، ج ١، ص ٥٧٥.
- (٤) الانتصار، العاملي، ج ٨، ص ٣٩٦، من كلام لشّرّ البرية يزيد لعنه الله.
- (٥) الغيبة، النعماني، ص ٨٨.
- (٦) كتاب الطهارة، الشيخ الأنصاري، ص ٢٧٧.
- (٧) الدر المنشور، السيوطي، ج ٢، ص ١٤٩.
- (٨) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٥٢، ص ١٢٣.
- (٩) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ١٨٢.
- (١٠) المصدر نفسه.

تدشين شعار عاشوراء "إني أحامي أبداً عن ديني"

الشيخ على فاضل الصدفي

أقامت الحسينية البحرينية أمسية تحت عنوان: (إني أحامي أبداً عن ديني)،
شعار موسم عاشوراء لهذا العام في البحرين ٢٠١٦ م - ١٤٣٧ هـ^(١)، قدّمها سماحة
العلامة الشيخ علي الصدفي حفظه الله بحضور مجموعة من فضلاء الحوزة العلمية وطلبة
العلوم الدينية، ليلة الجمعة بتاريخ ٢٠١٦-٩-٢٩ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على محمد وآلله الأطبيين الأطهرين، واللعن
ال دائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّוْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَّقَىِ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَرْزَلُهُمُ الشَّيْطَانُ
بِعَيْضٍ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٢).

في مفردات الشعار تستوقفنا مفردات ثلاثة:

١- مفردة: المحاما أو (النصرة).

٢- مفردة: **الدّين**.

٣- مفردة: **أبديّة النّصرة أو (المُحَامَة)**.

المفردة الأولى: [النّصرة أو المُحَامَة]:

المناصرة هي مناصرة (دين الله سبحانه) - وسيأتي المراد من الدين.-

ونصرة دين الله سبحانه هو أن تغاليب لينتصر دين الله، والمغالبة أو المناصرة ليست نتيجتها بالضرورة النصر، ولكن هذه المناصرة مطلوبة على أي تقدير اتفقت. النصرة أن لا يبالي في أن تكون النتيجة للمناصرة أم لا، بل في بعض الموارد إن المناصرة قد تستدعي أن نضحي بما هو مهم لأجلبقاء الأهم، ففي الصورة قد يبدو أن هناك هزيمة وأن هناك تراجعاً نظراً إلى التضحية بالهم، ولكن في الواقع وللّه هي نصرة بالإضافة إلى بقاء الأهم. وستأتي بعض التطبيقات المستلهمة من عاشوراء وغيرها.

المفردة الثانية: فيما يرجع إلى "الدين":

الذي نحن مطالبون بمناصرته وأن نحامي عنه، يراد منه: التدين لله أو مجموعة من المعاني -ستأتي إن شاء الله- هو أحدوها.

أ) التدين لله يعني؛ أن يعبد ولا يعبد سواه، بأن تكون لله الحاكمة، كما نقرأ في سورة الزمر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّين﴾^(٣)، المطلوب عبودية الله ﷺ، وأن لا يعبد مع الله غيره، أن يكون التدين لله، فلا يتدبر لغير الله مع الله، فضلاً أن يتدين لغير الله مهضاً.

مطلوب من الإنسان بجميع أفراده أن يتدين لله ﷺ، فهنا تُفرّع الآية بعد أن تقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ فتقول: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّين﴾ وهنا الإخلاص ليس الإخلاص في العبودية؛ فهي ليست دالة على لزوم الإخلاص في

العبادة، وإنما المقصود (أخلص الدين) أي أن يكون الدين له دون غيره، فلا تشرك مع الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ غيره، بأن تتبع غيره، ثم يعلل ذلك، يعني لماذا عليّ أن أعبد الله مخلصاً له الدين، فتقول الآية: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾، فالله فقط هو الذي له الدين الخالص، أي الذي يُنذين له ولا يُنذين لغيره معه هو الله وحده، فمطلوب للإنسان أن يعبد الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مخلصاً له الدين.

أيضاً نقرأ قوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - في بيان معنى لفظ الدين والتدين له: ﴿اَتَّخَذُوا اَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ اُرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا اُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٤).

فقالت الآية: ﴿اَتَّخَذُوا اَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ اُرْبَابًا﴾ فهل كانوا يركعون ويسجدون لهم؟!

- كلا؛ لم يكونوا يسجدون ويرکعون لهم، وإنما كانوا يطيعونهم من دون الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فهو لاء الأحبار والرهبان جعلوا لعامة الناس ديناً وأرادوا منهم اتباعه، فسمى الله تبارك وتعالى هؤلاء الأحبار والرهبان (أرباباً)، لا أنهم يعبدون من دون الله تبارك وتعالى، كما يعبد الله بأن يركع له ويُسجد، بل بالمعنى المتقدم وهو (عبودية الطاعة لله) بحيث تكون الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ دون غيره حتى تكون الحاكمة لله في الأرض، فإذاً قد يراد من الدين التدين، فيصبح معنى (إني أحامي أبداً عن ديني): أي أحامي عن (التدرين لله)، أي ليكون التدين لله تبارك وتعالى وحده.

ب) وقد يراد من الدين (الشريعة) - وقد أسلفت بأنه قد يراد المجموع -،

فح حيث يستهدف دين الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فمرة يستهدف بالمحو، بالتغيير، بالتشويه، بالمسخ، بالتحريف، بالإبداع، وما شاكل ذلك مما يعود إلى هذه المعاني أو يزيد عليها، فحيث يستهدف دين الله يستنهض أنصار الله تبارك وتعالى ليناصروا الله ويناصروا دينه.

وهذا ما نلمسه من كربلاء الحسين طَلَقَاهُ اللَّهُ بعد أن نعرف نواباً للأمويين يوم ذاك،

ماذا يريدون في ذلك الوقت المحرج؟!

كانوا يريدون دين الله، كانوا يريدون مسخ دين الله، تشويه دين الله، القضاء على دين الله، ويكشف لنا عن ذلك ما أثير أنّ أمويّاً لقى السجّاد علّيَّة وسأله -ولعل سؤاله ليس سؤالاً حقيقياً وإنما سؤالاً إحراجياً وأن ينال منه من السجّاد علّيَّة وليشتمت به، سأله: - من الغالب؟ وكأن الإجابة معروفة لديه سلفاً، وكان ينتظر من السجّاد أن يقول: غالب يزيدُ الحسين. فما كان من السجّاد علّيَّة إلا أن قال له: «أذْنْ وأقْمَ تعرّف من الغالب».

كان يستهدف الأمويّون دين الله حتى الصلاة التي هي أوضح ما في دين الله سبحانه، كانت مستهدفة، فلا يراد لدين الله أن يكون له معنى، وأن يكون له منارة، منارة الدين الصلاة، هذه الصلاة مستهدفة، فهذه الصلاة التي فيها ذكر محمد بن عبد الله علّيَّة، وهذا الاستهداف كان من معاویة قبل يزيد علّيَّة، فقد كان يريد طمس دين الله، طمس ذكر محمد بن عبد الله علّيَّة، ولكنّ هذا غير ممكن في قبال إرادة الله علّيَّة: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^(٥)، فذكر محمد بن عبد الله علّيَّة سيبقى ما دام ذكر الله موجوداً، ارجع إلى تفاسير العامة قبل المعاویة في تفسير ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، أنّ ذكره سيبقى في الأذان إلى جانب ذكر الله، وذكره سيبقى في التشهد إلا أنّ مدرسة الخلفاء تتلزم في أوضح الشعائر للإسلام في صلاة الجمعة بأن لا تجاهر للشهادة لرسول الله علّيَّة بالعبودية والرسالة، لماذا؟ لأنّه بتبعها توجد الصلاة على النبي وأله.

فحين تستهدف هذه الشّرعة -شّرعة محمد بن عبد الله علّيَّة- فهي تستصرخ أنصار الله لينصروا الله وينصروا دين الله، ولذا التفتت العقيلة عقيلة بن هاشم علّيَّة إلى يزيد وكلّها اطمئنان، وكلّها ثقة بما تقول: "فوالله لا تمحو ذكرنا"^(٦)، فهي تؤكد مهما فعلت فإنّك لن تحو هذا الذكر، صحيح أنّك بلغت مرادك من قتل

الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولكن بقتل الحسين لن يموت ذكر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولن يموت هذا الدين الذي يراد استئصاله، والذي هو مستهدف للأمويين بامتياز، ”فواهلا لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا... إلخ“.

ج) ومن مظاهر نصرة دين الله، (نصرة قيادته)، بل هي نصرة لدين الله، والقائد لدين الله الذي هو قائم بدين الله، والمظهر لدين الله، كائناً من كان - نصرته نصرة مباشرة لدين الله، وليس ذلك مخصوصاً في شخص المعصوم عَلَيْهِ السَّلَامُ كالنبيّ والوصيّ، بل أعمّ من ذلك، نقرأ قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قَيْلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَاقْلُتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ثم تقول الآية التي بعدها: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا... إلخ﴾^(٧)، ثم تأتي الآية الثالثة من هذا المقطع: ﴿إِلَّا تَنْصُرُو...﴾ أي: إن لم تنتصروا رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورسول الله كان في نصرة دين الله، إذًا من كان في نصرة دين الله، فنصرته من نصرة دين الله، وبالتالي التشاقل عن نصرته، فهو تشاقل عن نصرة الله وعن نصرة دين الله، فيدخل في بداية المقطع من الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قَيْلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَاقْلُتُمْ... إلخ﴾، لا إلى نهاية المقطع الثالث: ﴿إِلَّا تَنْصُرُو فَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ﴾، فهذه إن لا تنتصروه - فرسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ منصور على كل تقدير، فرسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وقيادته منصورة على كل حال، فما دامت منتسبة إلى دين الله سبحانه فهي منصورة، ﴿إِلَّا تَنْصُرُو فَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ﴾؛ فحيث تُناصِرُوا رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، و(رسول الله) بوصفه القيادة الدينية، إلَّا تنتصروه فقد نصره الله، أين نصره الله؟! فبنصرتكم لا تكونوا في عداد المناصرين وحسب! بل تكونوا منتصرين، فمهما حدثت من خسائر وتضحيات، فإنّ رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ في كلّ معركة معركه مع الشرك مع الكفر هو منصور، ﴿إِلَّا تَنْصُرُو فَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ﴾ وبالتالي من كان في صفّ رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فهو منصور؛ لأنّ الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ منصور أبداً ودائماً، ﴿إِلَّا تَنْصُرُو فَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ﴾، أين نصره الله؟

[تشير الآية إلى] ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ رسول الله عليه وآله كانت أمماه إحدى مسارات ثلاثة لا حيص لها عنها -لما كان عكبة بعد وفاة عمّه وجده من قبله-: إما أن يُقتل، أو أن يُسجن، أو أن يهاجر، أي إن بقي في مكانة إما أن يُقتل أو أن يُسجن، فهذه الهجرة من رسول الله عليه وآله وإن كانت اختيارية وطوعية اسمها القرآن (إخراجاً) فقد أخرج رسول الله، فهل خرج من طوعه؟ لا، قال: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِإِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزِنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾^(٨) - المؤيد بجنود لم تروها حتماً منتصر، فـ ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ أين نصره الله؟ نصره في مثل هذا الظرف العصيب، وقد كان لوحده وإن كان معه غيره، فقد كان لوحده، ومع ذلك كانت نصرة الله له قائمة ﴿... وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾^(٩).

فإذاً نصرة القيادة الدينية سواء كانت قيادة رسول الله عليه وآله أو غيرها من القيادات غير الموصومة -التي تنتمي لدين الله وتناصر دين الله سبحانه- هي في الحقيقة الواقع مناصرة لدين الله سبحانه.

مثال آخر: لمناصرة دين الله -يعرضه لنا القرآن-، قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَحَسَ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ قال: أنصاري، أضاف عيسى عليه النصرة إليه، ﴿... قَالَ الْحَوَارِيُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾^(١٠) - هل هناك تطابق؟ نعم يوجد تطابق كامل، أنصار عيسى أنصار الله سبحانه، لا أنه طلب أنصاراً فقالوا نحن ننصر الله ولا ننصرك، بل هناك تطابق، بين أنصار الله وأنصار عيسى.

في آية أخرى من سورة الصاف الآية ١٤، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ فتلك الآية إذا ضممت إلى هذه الآية تكون نصرة عيسى عليه، نصرة هذا الموصوم، ونصرة هذه القيادة، نصرة الله تبارك وتعالى وبالتالي هي نصرة لدين

د) بل أكثر من ذلك، (نصرة المؤمنين) كمجتمع، المعبر عنه في كلمات فقهائنا جَهَشَفَعِي بـ (بيضة الإسلام) فحيث تكون دائرة على بيضة الإسلام، ويراد منها (المجتمع المسلم) ففي هذه الحالة لا بدّ من المعاشرة، والدفاع والدفع عنهم، وهذا يدخل في نصرة دين الله، هذا المجتمع المسلم يُقيّم الصلاة، يؤتى الزكاة، يطيع الله تبارك وتعالى، يكون مظهراً لعبادة الله في الأرض، وهذا يذكّرنا بدعاء رسول الله عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في معركة بدر لما أدهم الأمر وقد كان أهل الشرك من الكثرة ي مكان في مقابل الفئة المؤمنة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو رافع ريده إلى السماء:

«اللَّهُمَّ إِنْ شَهِلَّكَ هَذِهِ الْعِصَابَةَ لَمْ تُعْبُدْ، وَإِنْ شَئْتَ لَا تُعْبُدْ لَا تُعْبُدْ»^(١١)، فهذه مجموعة كانت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمثلون دين الله على تقدير أن يهلكوا لا يعبد الله تبارك وتعالى، فبهم يعبد الله تبارك وتعالى.

ويذكّرنا بما أثير بعد بعثة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبل أن يصدع بالدعوة فقد كان الذي يصلّي على وجه الأرض ثلاثة: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخديجة عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد كانوا يمثلون دين الله ومن يعبد الله، فحيث لا يوجدون لا يعبد الله كما أراد، وكذلك الحال بالنسبة إلى أولئك الصفوة من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين تمنى على الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أن ينصرهم: «إن شئت لا تُعبد لا تُعبد».

فالمجتمع المسلم، بيضة الإسلام أي وجودهم وجود لـ الإسلام، وبالتالي حيث لا يوجدون، حيث يهلكوا، حيث يُقتلوا ... فالإسلام ولو في رقعة، ولو في دائرة معينة لا وجود له، فما هي الوظيفة حينئذ، الوظيفة هي نصرة هؤلاء المؤمنين كمجتمع.

هـ) بل أكثر من ذلك؛ (نصرة الفرد المؤمن الواحد)، «وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ عَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَلَانِ هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ»^(١٢)، النتيجة ماذا؟

استنصره فرد واحد من شيعته فنصره، والمفسرون شيعة وسنة يذكرون بأنّه ما كان ي يريد قتله، ويتمسّكون بهذه الإشارة (فقضى عليه) ولم يقل (فقتله)، لأنّه ما كان ي يريد قتله. فقال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ * ﴿قَالَ رَبِّي إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ * قال ربّه بما أنعمتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾^(١٣)، قضى عليه ولم يكن أحد يدرى إلا الذي استنصره. ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوْيٌ مُبِينٌ﴾^(١٤)، ومع ذلك ﴿فَمَمَّا أَنَّ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾^(١٥)، ولكن الذي من شيعته لم يفهم أنّ المستهدف هو العدو، إذ حين قال له موسى عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَعَوْيٌ مُبِينٌ﴾ فهم آنّه مستهدف من موسى فقال له: ﴿يَا مُوسَى أَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ؟﴾^(١٦)، فعرف العدو من القاتل بالأمس للقطبي، فأوصل الخبر إلى فرعون. فالآيات أو المقطوعان يتتحدثان عن أنّ موسى عليه السلام كان في نصرة عبد الله تبارك وتعالى.

هذا فيما يرجع إلى الدين، فالدين عبارة عن منظومة يدخل فيها التدين لله أو (شريعة الله) حيث تستهدف بالتشويه أو الإنقاص منها أو الزيادة والتحريف فيها ففي هذه الحالة لابد من النصرة. وأيضا فيما إذا كانت نصرة الدين تستدعي جموعا، فيكون هناك قائد، وقد يكون هذا القائد معصوما، وقد لا يكون، فنصرته نصرة دين الله تعالى، بل حتى إذا كان هناك عبد أو مؤمن يُراد الفتاك به ففي هذه الحالة نصرته من نصرة دين الله.

المفردة الثالثة: وهي المفردة الألهم، وهي دوام النصرة: (إِلَيْ أَحَامِي "أَبْدَاً عن ديني):

هذه الأبدية، الأبدية التي قرّ بنا نحن الطلبة في روایات الاستصحاب «لا تنقض اليقين بالشك أبداً» وإن حملت زماناً، فإنه لا يراد استغراق الزمان، وإنما يراد



استغراق الأفراد والأحوال.

فالعباس بن علي، وما أدرك ما العباس بن علي عليه!!

عند قوله: "إني أحامي أبداً عن ديني". قالها بعد قطع يمينه. فهل بعد قطع يمينه عليه انتهى دوره في النصرة؟ قدر العباس عليه أن دوره في النصرة لم ينته، وأن النصرة لازمة عليه في الأبعد من هذا، لذا قال: "إني أحامي أبداً". رغم قطع يمينه، بينما بعض الناس قد يقول: انتهى دوره فأخر جوه من المعركة.

علي عليه في أحد أصيب بسبعين جراحة -كما في الرواية- حتى أن علاجه صار صعباً فألبسه رسول الله عليه رداء فشفيت تلك الجراحات السبعون.

فإذاً الجرح بعد الجرح لا يعني انتهاء المسؤولية، فهنا يقدر العباس عليه ويقدر أبوه قبله بأن النصرة لازمة عليه، وإن حدث له ما حدث، فلا تنتهي النصرة بتضحية من التضحيات.

أنا طالب علم بدرسي وتدرسي أحامي عن دين الله، ولكن لا تنتهي النصرة عند هذا الحد، وقد يكون مطلوباً من الإنسان أن يترك بعض النصرة لصالح نصرة أخرى، فالتزاحم قائم على كل حال. التزاحم في العadiات لدى العقلاة قائم على أشدّه، وفي دين الله يكون أوضح، فمن الذي قال: إن مسؤوليتك هي أن تدرس فقط -على نحو التعين-!! النصرة في مجال قد تاذن بترك ما بيده من نصرة.

كل النصوص التاريخية تقول: بأن علي بن الحسين عليه كان معلولاً يوم الطف وتعذر عن القتال بأنه كان مريضاً. وتذكر بعض النصوص أنه عندما استنهض الحسين عليه الناصر كان في ضمته، وبعض النصوص ذكرت بأنه شارك في المعركة رغم علته، وبإمكانكم مراجعة الإثر المبارك الذي اسمه (تسمية من قتل مع الحسين) ومؤلفه الفضيل بن الزبير الرسّان من أصحاب زيد الشهيد وأخذ عن زيد وعن

يجي بن أم الطويل الذي هو أخ السجاد عليهما من الرضاعة أخذ عنهما مجريات عاشوراء - وهذا مطبوع في "مجلة تراثنا" العدد الثاني، و"مجلة الإصلاح الحسيني" العدد العاشر - فعندما ترجع إلى هذا الأثر ترى "بأنَّ على بن الحسين عليهما السلام كان عليهما وارثٌ يومئذٍ وقد حضر بعض القتال فدفع الله عنه وأخذ مع النساء" - هذا النص موجود-. "وارثٌ" يعني أخذ من ساحة المعركة جريحاً يعني أصابته جراحة بحيث لا يقدر على مواصلة القتال ولا الخروج من المعركة، فالسجاد عليهما رغم علته ناصر دين الله عليهما وناصر أباه عليهما السلام؛ فالتعلل ببعض المسؤوليات وبعض النصرة ليس صحيحاً.

وقد لا يستطيع البعض أن يوازن، وقد يستطيع أن يوازن، ولكنّه يخشى أن يدخل في الموزنة هو النفس من حبّ الراحة وحبّ الدّعّة فتنزل قدمه، فلا بأس عليه أن يراجع مثله أو من هو أعلم منه، فيسألـه عن وظيفته، هل وظيفتي هذه النصرة أم هذه النصرة؟! وظيفتي كشخص، فبعض النُّصرات تختلف من شخص إلى آخر، فالمطلوب مني أن أعرف تكليفي، والظرف زماناً كان أو مكاناً دخـيلـ، والشخص من حيث التأثير.. حتى الثقل اجتماعياً كان أو علمياً له دخـالةـ، فلا يتحتمـ أن تكونـ النصرـة ذاتـ نوعـ معـيـنـ منـ التـكـلـيفـ، بلـ قدـ تـتـعـدـدـ المسـؤـولـيةـ، والـمسـؤـولـيةـ قدـ تـقـولـ لكـ: إنـ هـذـهـ النـصـرـةـ دونـ سـائـرـ النـصـرـاتـ؛ وهذاـ يـأـخـذـ بـنـاـ إـلـىـ الحـدـيـثـ عنـ أـدـوـارـ النـصـرـةـ.

أدوار النصرة:

النصرة قد لا تـرـيدـ إـلـاـ فـرـداـ وـاحـدـاـ، وبـعـضـ أـنـوـاعـ النـصـرـةـ تستـدـعـيـ جـمـاعـةـ، وـفـيـ هذهـ الحـالـةـ لاـ تـقـومـ النـصـرـةـ بـالـفـرـدـ بلـ تـقـومـ بـالـجـمـاعـةـ، فـإـنـهـ عـلـىـ تـقـدـيرـ أنـ تـقـومـ النـصـرـةـ بـالـوـاحـدـ، فـيـجـبـ عـلـىـ الـوـاحـدـ، وـأـيـضاـ حـيـثـ يـكـونـ هـذـاـ الدـورـ لـاـ يـقـومـ إـلـاـ بـالـجـمـاعـةـ، فـيـجـبـ عـلـىـ الـجـمـاعـةـ.

إنَّ الدرس والتدريس، والتعلم والتعليم -كما أسلفت- واضح أَنَّه فرد من أفراد نصرة دين الله، وحتماً لا أريد من العلم أن أجعل من ذهني أشباه بالآلة التي تجمع فيها المعلومات، كلا ليس هذا المطلوب.

لا أريد من هذه المعلومات أن تكون في الذهن فقط، وإنما أريد من هذا العلم وأريد من التعلم والأفكار التي أجمعها أن أناصر بطريقة أو بأخرى، فأنحاء النصرة متعددة، فلتأخذ هذه المعلومات محلها من الواقع، فإنَّ لها مساحةً واسعاً جداً، يتسع للحياة كلَّ الحياة، فإنَّ دين الله تبارك وتعالى لا يقف في مساحة دون أخرى، فيأخذ كلَّ مساحات الحياة، فتعلَّم دين الله سبحانه نصرة، ولكن لا بدَّ أن نأخذ في الحسبان بأنَّ المعلومات والأفكار شيء، وأن تأخذ هذه المعلومات والأفكار من مساحات الواقع شيء آخر، فمساحات الواقع متنوعة جداً، وإذا لم تكن المعلومة قد أخذت محلها من النفس، فإنَّ محض وجود المعلومة في الذهن لا يُعدَّ نصرة أبداً، فعليَّ أخذ المعلومة وتحويلها إلى سلوك خارجي، خصوصاً في ظروف الشدة، نعم تحويلها إلى سلوكٍ خارجيٍّ في ظروف الرخاء أمر ميسور، وقد أدرَّس دروساً ترتبط بالنصرة، وقد أكون من أكبر المحققين فيها، على مستوى إنتاج المعلومة والأفكار والتفريع والمعادلة والكسر والانكسار، ولكن على مستوى التطبيق والممارسة لست أهلاً، فوجود المعلومة في الذهن لا يعني بالضرورة أنها أخذت مكانها من النفس، مثلاً (يجب الجهاد) ولكن إذا مسَّت الحاجة لأنْ أجاهد فهل نفسي تطعني أم لا؟!

مطلوب منا نحن الطلبة -على وجه الخصوص ونحن نأخذ هذه المعلومات يوماً بعد يوم- أن نتأكد من أنفسنا بأنه على تقدير وصول التوبة إلى أن أمارس هذه المعلومات أو أن أحولها إلى قالب في الخارج، هل أنا مستعد أم غير مستعد؟! فهل يكتفى مني كطالب علم أن أكون محصلاً للمعلومات وجاماً لها؟! فلا بدَّ من أن تأخذ هذه المعلومات مكانها من نفسي، فإذا ما جاءت المسؤولية حينئذٍ أكون مستعداً، والاستعداد للقيام بالمسؤولية في ساعة العسرة لا يمكن أن يكون تلقائياً،

فالإنسان ما لم يُعدّ نفسه، ويلقّنها بمثل هذه المعلومات، فمن المستحيل إذا جاءت ساعة العسرة تكون هذه القابلية مائة بالمائة!! من صفر إلى مائة مرّة واحدة، لا يمكن.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَذْنَنِي﴾ كيف يكون الخذلان؟

إنّ دين الله قد يحتاجك في مساحة قد تكون أهم من المساحة التي تنصر فيها دين الله، فالتخلي داخل في أيّ شيء؟! فقد يقول قائل: إني نصرت دين الله، وكفى. كلا، بل ذلك خذلان حتماً.

إذا جئنا إلى باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهل يكفي مجرد أن يصدق عليّ عنوان أني آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، فيكيفني ذلك بحيث حتى لو رأيت منكراً، فلا يجب عليّ النهي عنه، لأنّي تلّبست بالعنوان؟!

طبعاً هذه النظرية -إن صحّت أن تسمّى كذلك- قال بها بعضُ بأنه يكفي أن يصدق علينا عنوان أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وبالتالي لا يجب عليك بعد صدق هذا العنوان أن تدفع أيّ منكر، فقط عليك أن تحافظ على صدق هذا العنوان، هذا والأمر مناقش في محلّه، وهناك الكثير من الشواهد التي تكشف عن بطلانها -تعرّضت لها في بعض الكتابات-^(١٧).

الآن فيما يرجع إلى النصرة -الكلام هو الكلام- فهل يكتفي مني دين الله ﷺ أن أناصره في مساحة مع ترك سائر المساحات؟! حتى لو كانت هذه النصرة متعدّدة، ولكن هناك نصرة قد تكون مقدمة، فهل تعفيوني هذه النصرة عن النصرة التي هي مقدمة؟! يعفيوني أن يصدق عليّ هذا العنوان؟! لا يكفي.

فإذاً لا بدّ من الالتفات إلى أصل النصرة وفي أيّ جهة لا بدّ من أن أنصر دين الله على نحو التعين، حتى لا أكون مع ممارسة سائر النّصرات خاذلاً لدين الله تعالى في النّصرة المتعينة.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَذْنَ لِيٌ وَلَا تَفْتَتِي﴾^(١٨) بعضُ مِنْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا هُمَّ بِقتالِ الرُّومِ الْمُعْبَرِ عَنْهُمْ بِبَنِي الْأَصْفَرِ - خَافَ عَلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَذْنَ لِي، بَأْنَ لَا أَقْاتِلُ مَعَكُمْ" ، أَلِيَسْ هَذَا تَخَادُلًاً عَنْ نَصْرَةِ دِينِ اللَّهِ؟ قَالَ: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(١٩) ، هَذِهِ فِتْنَةٌ أَيْضًا، فَتَنِ دِينِهِ، فَأَصَابَهُ فِي الصَّمِيمِ، وَلَكِنْ أَيْضًا لَا بَدَّ مِنِ الْالْتِفَاتِ إِلَى أَمْرٍ، فَإِنَّ خَذْلَانَ دِينِ اللَّهِ لَا يَتَفَقَّدُ مِنْيَ اقْتِرَاحًا أَوْ بِصُورَةِ تَلْقَائِيَّةٍ، فَهَذِهِ النَّصْرَةُ لِدِينِ اللَّهِ إِذَا مَا تَعَيَّنَتْ وَانْفَضَّ عَنْهَا فَلَهَا بِالْتَّالِي مَا يُسَبِّبُهَا، وَهِيَ الْآيَةُ الَّتِي صَدَرْنَا بِهَا الْحَدِيثُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلُّو مِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّمَا اسْتَرَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِيَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾^(٢٠) ، إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَعرِكَةِ أَحُدٍ ﴿تَوَلُّوا﴾ وَلَوْا الدُّبُرَ، فَرَوُا مِنِ الزَّحْفِ عِنْدَمَا التَّقَى الْجَمْعَانُ، فَلَمَّا ذَرَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ فَرَوُا، قَالَ: ﴿إِنَّمَا اسْتَرَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِيَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾، أَيْهَا الْأَحْبَةُ! يَا طَبِيلَة! إِنَّ بَعْضَ الذُّنُوبِ الْكَبِيرَةِ مُنْشَأُهَا ذَنْبٌ أَخْرَى ﴿إِنَّمَا اسْتَرَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِيَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾، ذَنْبٌ وَاحِدٌ يُؤْسِسُ لَذَنْبٍ أَخْرَى، وَقَدْ يَتَفَقَّدُ أَنْ يَكُونَ ذَنْبًا صَغِيرًا يُؤْسِسُ إِلَى ذَنْبٍ كَبِيرٍ، فَبَعْضُ مَا كَسَبُوا جَرَّ إِلَى (الْتَّوْلِيَّ حِينَ الزَّحْفِ) وَهَذَا مِنَ الْكَبَائِرِ! بَلْ إِنَّ لِلْكَبَائِرِ أَكْثَرَ مِنْ دَائِرَةٍ، فَفِي ضَمْنِ الدَّوَائِرِ الضَّيْقَةِ لِلْكَبَائِرِ (الْتَّوْلِيَّ حِينَ الزَّحْفِ). فَبَعْضُ النَّصْرَاتِ قَدْ لَا يَوْفِقُهَا الْإِنْسَانُ بِسَبِيلِ ذَنْبٍ، فَقَدْ تَضَعُفُ نَفْسُهُ، أَضَعَفَتْ نَفْسِي بِذَنْبٍ عَنْ أَنْ أَقُومُ بِالْمَسْؤُلِيَّةِ الْأَكْبَرِ، فَبِالْتَّالِي بِذَنْبِ الصَّغِيرِ صَرَتْ إِلَى ذَنْبٍ كَبِيرٍ، وَلَكِنَّ الْخَطْوَةُ الْأُولَى اخْتِيَارِيَّةُ لِلْإِنْسَانِ، إِلَّا أَنَّ الْثَّانِيَّةَ غَيْرُ اخْتِيَارِيَّةٍ. بَلْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، قَدْ يَكُونُ ذَنْبٌ يَقْوِدُ إِلَى الْكُفُرِ، ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّنِّ أَسَأُوا السُّوَاءِ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهِرُونَ﴾^(٢١) ، وَهَذَا هُوَ الْكُفُرُ، فَهُمْ أَسَأُوا السُّوَاءِ، فَتَعَلَّلُ الْآيَةُ بِأَنَّهُمْ ﴿أَنَّ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهِرُونَ﴾، فَهَذَا يَعْطِينَا مُزِيدًا مِنَ الْحَذْرِ مِنَ الذَّنْبِ حَتَّى لَا نَقْعَ - وَالْعِيَازُ بِاللَّهِ - فِي فِتْنَةٍ هِيَ أَكْبَرُ، فَنَتَخَلَّى عَنِ بَعْضِ الْمَسْؤُلِيَّاتِ، وَعَنِ بَعْضِ النَّصْرَاتِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ.

أَشِيرُ أَخِيرًا إِلَى أَنَّهُ مَطْلُوبُ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَتَنَازَلَ عَنِ بَعْضِ الْمَبَادِئِ وَلَوْ

بصورة وقتنية، أذكر هذه القصة التي هي من وحي الخيال لبعضهم ولكنها تعطي انعكاساً لما أريده:

[الديك يؤذن عادة، عند اقتراب الفجر، فقال له صاحبه يوماً: اترك هذا الأمر، وإن أذنت نتفت ريشك، ولكن الأذان مسؤوليته، ولكنه عندما رأى أن العذاب عذابٌ كبير، تنازل عن هذه المسؤولية، فجاءه مالكه مرة أخرى فقال له أمراً غير ترك الأذان: إنما دورك هو دور سائر الدجاج فعليك أن تصدر صوتاً مثلهم وتجلس على البيض، فبالأمس أخذ منه مسؤولية واليوم أعطاه دوراً آخر، وإن لم تفعل فانتظر ما سيأتيك من عقاب، وفي المرة الثالثة جاءه وطلب منه شيء آخر، وهي وظيفتك الآن أن تبيض كما تبيض الدجاج، فمطلوب منك أن تكون دجاجة، وهذا مستحيل]؛ إلا أن المشكلة أنه منذ البداية قبل أن يتنازل عن مبدئه، فجره إلى الموت من حيث يشعر أو لا يشعر، وصار العذاب الذي فرّ منه أولاً محتملاً عليه.

فوظيفتك يا مؤمن! عندما تُخَيِّر بين دين الله وغيره، فقل: دين الله وإن ترتب ما ترتب، لن يُسْلِمَك الله تبارك وتعالى إذا ناصرت دينك وتسكت به، حتى لو لم ترَ أي فرصة للنجاة، فتأكد من حيث لا توجد الفرصة، توجد الفرصة، ﴿وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٢٢)، وفي آية أخرى: ﴿وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٢٣)، ونضمها إلى آية أخرى أيضاً: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾^(٢٤)، أنت لا تراها، إنه الذي أنجى رسول الله ﷺ من موت محقق، ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودِ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ لِكِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢٥)، ففي أيّ مضيق تتوقع أن يدخلك فيه العدو أمل في نصر الله لك، ولا تدع نصرتك لدين الله، ولا تدع دين الله، لا تستغل منك هذه الأمانة في أيّ ظرف من الظروف والله معك دائماً وأبداً، وسلم الله تبارك وتعالى، فالمطلوب في بعض المساحات أن يُسلِّم، بمجرد أن يعرف أنّ هذه وظيفته، فإنّ إبراهيم عليه السلام وظيفته أن يُسلِّم أمره، واستجواب لأمر الله، فكذلك المؤمن في معركتك

الحياة الذي فيه يوم رخاء ويوم عسرا، فقد تأتيه ساعة عسراً امتحان صعب، فما عليه إلا أن يُسلِّم، «وقد علمت أن قوام ديني التسليم لك، والاتباع لسنة نبيك صلواتك عليه وآلـهـ» فقوم الدين التسليم الله.

نسأل الله سبحانه أن يوفقنا وإياكم لمراضيه، وأن يجنبنا وإياكم معااصيه، وأن يستر علينا وعلى أعراضنا، وعلى إخواننا وعلى أخواتنا من المؤمنين والمؤمنات، إله أرحم الراحمين.

اللهم إنا نحبّ محمداً وآلـهـ محمدـاـ فاحشرنا معهم، اللهم إنا نحبّ عمل محمدـ وآلـهـ محمدـ فأشركنا في عملهم، اللهم انصر الإسلام وأهلهـ، واخذلـ النفاقـ وأهلهـ، اللهم انصرـ من نصرـ الدينـ، واخذلـ من خذلـ الدينـ، وأحلـ غضبكـ بالقومـ الظالمينـ وانتقمـ لناـ ممـنـ ظلمـناـ وـيـظـلـمـناـ ياـ ربـ العـالـمـينـ، وـصـلـ اللـهـمـ عـلـىـ مـحـمـدـ وـآلـ مـحـمـدـ الطـيـبـينـ الطـاهـرـينـ.

الهوامش:

- (١) في كلّ عام يطلق المجلس العلمائي في البحرين شعاراً لموسم عاشوراء تحرى مجموعة من الندوات واللقاءات في إطاره.
- (٢) سورة آل عمران: ١٥٥.
- (٣) سورة الزمر: ٢.
- (٤) سورة التوبة: ٣١.
- (٥) سورة الشرح: ٤.
- (٦) بحار الأنوار، المخلسي، ص ١٣٥.
- (٧) سورة التوبة: ٣٨ - ٣٩.
- (٨) سورة التوبة: ٤٠.
- (٩) نفس الآية.
- (١٠) سورة آل عمران: ٥٢.

(١١) تفسير القمي، ج ١، ص ٢٨٧. وفي رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، ج ٤ . ١٩٧.

. ١٥) سورة القصص:

. ١٧) سورة القصص:

. ١٨) سورة القصص:

. ١٩) سورة القصص:

. ٢٦) نفس الآية.

(١٧) انظر: كتاب مجموع الرسائل الفقهية لسماحة الشيخ علي الصدّي، الكتاب الأول من سلسلة كتاب مجلة رسالة القلم.

. ٤٩) سورة التوبة:

. ٤٩) سورة التوبة:

. ١٥٥) سورة آل عمران:

. ١٠) سورة الروم:

. ٤) سورة الفتح:

. ٧) سورة الفتح:

. ٣١) سورة المدثر:

. ٤٠) سورة التوبة:

تدشين شعار عاشرة: "أني أحامي أبداً عن ديني" الشیخ على فاضل الصدّي

سيرة شهيد الصلاة

في يوم العاشر

سعید بن عبد الله الحنفی رض

السيد هاشم السيد سعيد العلوى

إنّ لأهل البيت عليهم السلام دوراً أساسياً في تكوين قادة الأبرار؛ لأنّ كلاًّ منهم قد خلف خلفاً هو سيد الأبرار، وحيث إنّهم يشكلون النواة الرئيسية لكل الأبرار في العالم لانطباق حقيقة الإحسان والبر الكامل عليهم، فهم سادة الأبرار ومربيهم وملهميهم في حركة الزمان وعلى مر العصور.

ولا يمكن الوصول إلى هذا المقام دون توطيد العلاقة مع أهل البيت عليهم السلام، وهذا يحتاج إلى توفيق إلهي حتى يتيسّر، فقد روي عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه : «من من الله عليه بعرفة أهل بيتي وولايتم، فقد جمع الله له الخير كلّه»^(١). ومن أجلّ مصاديق الخير البر والإحسان، والبر هو فعل كل خير^(٢).

وهناك الكثير من سار على هذا النهج القويم ونال عظم المقام السامي من القرب الإلهي؛ كسلمان وأبي ذر والمقداد وغيرهم. ففي المعتبرة الطويلة المروية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال فيها: «هذه شرائع الدين من أراد أن يتمسك بها وأراد الله هداه ... وحب أولياء الله والولایة لهم واجبة والبراءة من أعدائهم واجبة ...

والولاية للمؤمنين الذين لم يغتروا ولم يبتلوا بعد نبيهم واجبة، مثل سلمان الفارسي وأبي ذر الغفارى والمقداد بن الأسود الكندى ...»^(۳) وكلّ هذا الكمال الحقيقى تجلّى فىهم لارتقائهم الإيمانى وتجسيدهم ما أمروا به على الواقع. عن الصادق علیه السلام: «...إنَّ الإِيَّانَ عَشْرَ دَرَجَاتٍ بِنَزْلَةِ السَّلْمِ، يَصْعُدُ مِنْهُ مَرْقَاتٌ بَعْدَ الْمَرْقَاتِ ... وَكَانَ الْمَقْدَادُ فِي الثَّامِنَةِ، وَأَبُو ذَرٍ فِي التَّاسِعَةِ، وَسَلْمَانٌ فِي الْعَاشرَةِ»^(۴).

ولا شك في أنّ من ضمن هؤلاء العظاماء أنصار أبي عبد الله الحسين الشهيد علیه السلام، وهذا ما شهد عليه عدد من المعصومين علیهم السلام وغيرهم من الأولياء الصالحين،^(۵) ويكتفى في ذلك ما روى عن سيد الشهداء علیه السلام: أَنَّهُ قَالَ فِي حَقِّهِمْ لِيَلَةَ الْعَاشِرَ مِنَ الْحَرَّمِ: «فَإِنَّمَا لَا أَعْلَمُ أَصْحَابًا أَوْفَى وَلَا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِيِّ، وَلَا أَهْلَ بَيْتٍ أَبْرَوْلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِيِّ ...»^(۶).

وصاروا قادةً للأبرار لتجلّى الصفات الفضيلة على أنفسهم الظاهراء، من عبق تفانيهم وروائع إيمانهم، فجعلوا أرواحهم رخيصة دون الإمام المعصوم علیه السلام، فكان الواحد منهم ليسقط إلى الأرض والدماء تسيل منه، وقد امتلأ جسمه جراحات ومع ذلك لا يهمه ما هو فيه، وما يهمه هو الحسين علیه السلام. فأيّ نكران للذات هذا، وأيّ عشق للمولى، وأيّ عطاء إلهي يمكن أن يقف بـإزاره هذا العطاء؟! وهذا أكبر مصدق للتوافق الإلهي ألا محدود بأن رزقهم أعظم وأفضل خير في الدارين.

ومن الخلف البار لأبي عبد الله علیه السلام، المجاهد المضحّى والمحتمس المخلص سعيد بن عبد الله الحنفي خطيبه، ولا ريب لمن تابع أحوال وآثار هذا الرجل العظيم أن يرى تجسيده - بتضحيته وإياته - أجلى وأعظم مصاديق معنى البر والإحسان والفداء لسيد الشهداء علیه السلام يوم عاشوراء، ويكتفى فيه فضلاً وعلواً وقدراً ما قاله إمام العصر والزمان علیه السلام في زيارة الناحية المقدسة في حقه: «...فَقَدْ لَقِيتَ حَامِكَ وَوَاسِيَتِ إِمَامَكَ، وَلَقِيتَ مِنَ اللَّهِ الْكَرَامَةَ فِي دَارِ الْمَقَامَةِ، حَشِرَنَا اللَّهُ مَعَكَ فِي الْمُسْتَشْهِدِينَ،

ورزقنا مراقتكم في أعلى عليين»^(٧).

وقال العلامة المامقاني قيداً في تنقيح المقال: "لو لم يكن إلا ما ورد في الناحية المقدسة في حقه -أي سعيد بن عبد الله الحنفي عليهما السلام- لكتفى الكشف عن ثقته وجلالته ... وقد بلغ ذروة الجهاد والغداء والتضحية ..." ^(٨).

ومن منطلق الكتابة حول بطل من أبطال فاجعة كربلاء الخالدين بتفانيهم وعظم بأسهم في الدفاع عن أبي عبد الله الحسين عليهما السلام، كانت هذه الأوراق محاولة لتفصي آثار أحد شجاعتها وعملاقها رجالها، والبحث حول سيرته والأجراء التي كان يعيشها، محيطاً بكل ما وصل إلينا من الأثر في شأنه المبارك.

وبعد الاطلاع على كتب السيرة والتاريخ لم نجد من كتب كتاباً أو بحثاً مستقلأً في شأن سيرة وحياة الناصر المضحي سعيد الحنفي عليهما السلام، غير ما ذكر في تراجم أنصار الحسين عليهما السلام، وما كان شتاناً في أمهات الكتب التاريخية، فهذا أول بحث حول سيرته الطاهرة، شاملأً لما عرض عليه من وقائع قد وصلت إلينا، ملتمساً وجوده الكريم في حوادث عصره، مسلط الضوء على ما ورد تارينياً في حقه.

وبما أن البحث لمقلة حاولنا الإقتصار على الأهم، وذكر خلاصة ما وصلنا إليه من مطالب حول هذه السيرة، تاركين لهم مقام أوسع، حتى يتتسنى لنا هناك ذكر كل ما يصل بالشخصية عن طريق مباشر أو غيره.

والكلام حول هذه الشخصية العظيمة يقع في أربعة محاور رئيسية من حياته المباركة، يتبعها خاتمة فيما يتعلق بالبحث من ناحية رجالية:

المحور الأول: كتابة أهل الكوفة للحسين عليهما السلام بعد نبأ موت معاوية

وفيه مقدمة وستة مباحث:

أكمل معاوية مسيرة الانحراف الذي حصل من السقيفة المشؤومة، حينما أمسك

بيد زمام الحكم الفاسد، حيث حُولَ الخليفة من الشورى إلى الملك الدائم المتواتر بعده في ذريته، وصرّح بعده لِلأُمّة الإسلامية، وعدم رضى المسلمين به حاكماً عليهم فقال: "وَاللَّهِ مَا وَلَيْتُهَا -أيُّ الْخِلَافَةِ- بِمَحْبَّةٍ عَلِمْتُهَا مِنْكُمْ وَلَا مُسْرَّةً بِوْلَايَتِي وَلَكُنْ جَالِدُكُمْ بِسَيْفِي" ^(٩).

وكان معاوية يتظاهر بالمحقد على النبي ﷺ، والعداء لأهل بيته عليهم السلام، فقد روي أنّه مكث في أيام خلافته أربعين جمعة لا يصلّي على النبي ﷺ، فسألَه بعض أصحابه عن ذلك، فأجابهم بقوله: "لا يمنعني عن ذكره إلا أن تشمُّخ رجالاً بأفهها" ^(١٠). وسمع معاوية ذات يوم المؤذن يقول: "أشهد أن لا إله إلا الله" ف قال المؤذن: "أشهد أنَّ محمداً رسول الله ﷺ" ، فقال: "الله أبوك يا بن عبد الله لقد كنت عاليَّ الهمة ما رضيت لنفسك إلا أن تقرن اسمك باسم رب العالمين" ^(١١).

واستخدم معاوية أشد وأعنف الأساليب للحط من قيمة أهل البيت عليهم السلام، وللتقليل من شأنهم، بل حارب كل من له صلة بهم، ويعلن الولاء لهم، فكان أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام يقدمون كل غال ونفيض ويتحملون الآهات والآلام ضريبة على حبهم ولا يتهم.

المبحث الأول: معاوية وأهل العراق

وباعتبار كون العراق مركزاً للمعارضة، والقطر الوحيد آنذاك الساخط على حكومة معاوية، قابليهم بشتى أنواع العقوبات السياسية والاقتصادية، حيث إنَّ إليه المغيرة بن شعبة يحبس العطاء والأرزاق عن أهل الكوفة والبصرة ^(١٢).

ويتميز المجتمع العراقي بانقسامه -من الناحية العرقية- إلى قسمين: وهما العرب وغير العرب كالفرس والأنباط والسريانية.

وكان العرب الساكنون في العراق عبارة عن قبائل رحلت من شبه الجزيرة

العربية نحو العراق - مع بداية الفتوح الإسلامية لبلاد فارس - بهدف المشاركة في الفتوح، وأخيراً استقر سكناها في الكوفة والبصرة بعد نهاية الفتوح.

وقد كان هؤلاء العرب الذين يشكلون النواة الأولية والرئيسة للمجتمع الكوفي من القحطانيين والعدنانيين، حيث كان يصطدح عليهم باليمنيين والزاريين.

وقد خصص من بين عشرين ألف بيت تم بناؤه في بداية تأسيس الكوفة، اثني عشر ألف بيت لليمنيين، وثمانية آلاف بيت للزاريين^(١٣).

ويعرف هذا المجتمع بتعدد عقائده وأفكاره ومذاهبه وأعراقه، فيوجد فيه أنواع من الطوائف المسلمة وغيرها، فلم تعد هذه المدينة عربية خالصة كمكة والمدينة، ولم تعد من المدن الطاغي عليها حلة الإسلام.

وأما أسباب هجرة هذه العناصر إليها هو لاعتبارها المركز الرئيسي للمعسكر الإسلامي، فمنها تتدفق الجيوش الإسلامية للجهاد، كما تتدفق بها المغامن الكثيرة، وقد بلغ نصيب الجندي المقاتل من فيء المدائن اثني عشر ألفاً مما دعا ذلك إلى الهجرة إليها^(١٤).

ومن بين تلك القبائل المهاجرة إلى الكوفة آنذاك؛ قبيلة (بني حنيفة) التي كانت تضم الحبّ وللاء لأهل البيت عليهما السلام. وهذه القبيلة العريقة -بني حنيفة- المكانة والاحترام في المجتمع الكوفي.

ومن أبرز وجهاء هذه القبيلة (سعيد بن عبد الله الحنفي) حفظ عنه، حيث كان من سادات الحنيفية، ومن أصحاب المقام المسنون كلامهم المقدر فعلهم، ويعد سعيد حفظ عنه من وجوه الشيعة بالكوفة وذوي الشجاعة والعبادة فيهم^(١٥).

وتعود أصول هذه القبيلة إلى القبيلة الأم، وهي بكر بن وائل، القاطنين في إقليم اليمامة في شبه الجزيرة العربية مما تسمى اليوم باليمن. وتنتمي بني حنيفة

لآل ربيعة إحدى أكبر القبائل العربية، والتي تضم عزّة، وعبد قيس، وبكر، وتغلب وتصنف من قبل علماء الأنساب العربية كفرع مسيحي من بني بكر.

وكانوا بنو حنيفة في العصر الجاهلي يعملون في الزراعة، معتنقين الديانة المسيحية، ودخلوا في الدين الإسلامي بعد ما أرسلوا وفداً للنبي عليه السلام، وقد رجعوا عن الإسلام بعد وفاته عليه السلام، وذلك بعد ما أدعى النبي مسليمة الذي كان من نفس القبيلة، فتحرّك نحوهم جيش الإسلام يحاربهم لارتدادهم من قبل الخليفة الأول أبي بكر، ولم يتمكّن المسلمون من إيقاع المزيّة بهم إلا من بعد المعركة الثالثة التي قتل فيها مسليمة، وأقام من تبقى من قبيلة بني حنيفة صلحًا مع المسلمين، وعادوا بعد ذلك إلى اعتناق الإسلام^(١٦).

ولكن التاريخ يبيّن أنَّ أكثر من ذاق طعم الذل والجور في العراق أيام معاوية هم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام^(١٧)، حيث قتلت رجالهم واستبيحت بيوتهم، ومورس ضدّهم أشدُّ أنواع القمع والقهر والتنكيل، وقد وصف الإمام محمد الباقر عليه السلام الإرهاب الأموي ضدّهم بقوله: «فَقُتِلَتْ شِيعَتُنَا بِكُلِّ بَلْدَةٍ، وَقُطِعَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ عَلَى الظِّنَّةِ، وَكَانَ مَنْ يَذْكُرُ بَحْبَنَا وَالْإِنْقِطَاعَ إِلَيْنَا سُجْنٌ أَوْ نَهْبٌ مَالِهِ أَوْ هَدْمَتْ دَارَهُ»^(١٨).

فكانت قبيلة بني حنيفة تعاني من الضيق والاضطهاد إلى جوار باقي القبائل الموالية من قبل معاوية وجلاوزته، وأما سعيد بن عبد الله الحنفي عليهما السلام الذي يمثل أبرز سادات هذه القبيلة كان موجوداً في الكوفة أثناء هذه المحنّة القاسية، فعاش وشهد سطوة معاوية واضطهاده على شيعة أمير المؤمنين عليه السلام في هذه البلدة التي كانت يوماً ما عاصمة للدولة الإسلامية ومركزاً للشيعة ونشر علوم أهل

البيت عليهما السلام.

المبحث الثاني: سعيد حَفَظَهُ اللَّهُ من وجهاء الشيعة في الكوفة

ويذكر بعض أصحاب المقاتل والترجم خصلة مهمة في صفات وأحوال سعيد بن عبد الله الحنفي حَفَظَهُ اللَّهُ، وهي أنّ سعيداً يعد "من وجوه الشيعة في الكوفة"^(١٩). وهذه الخصلة العظيمة تكشف عن عدة احتمالات في سبب اكتسابه لهذه المكانة عند أهل الكوفة:

الاحتمال الأول: أنّ سعيداً من القدماء في الكوفة، وقد أتيحت له الفرصة أن يعرف ويشتهر ما بين أهلها، ويصير من أصحاب الشأن وال منزلة عند وجهاء شيعتها.

الاحتمال الثاني: أنه جاء إلى الكوفة أثناء فترة حكم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان يحظى باهتمامه، وله المكانة عند أهل بيته عَلَيْهِ السَّلَامُ، فصار مشهوراً لذلك، وأصبح من وجهاء الشيعة بالكوفة.

الاحتمال الثالث: يمثل سعيد كبار زعماء قبيلة بني حنيفة في الكوفة، ومن الطبيعي في المدن الكبيرة والتي تحتوي على قبائل كثيرة لا يشتهر من تلك القبائل إلا من يكون سيداً وصاحب جاه وشرف عندها، وكان سعيد من سادات قبيلته، ورمزاً من رموزها، فصار وجهاً من وجهاء الشيعة في الكوفة لذلك.

الاحتمال الرابع: أنّ سعيداً له شأن ومكانة عند أهل الكوفة، وذلك يعود إلى تجسيده بعض التفاني فيها، فاشتهر على أثرها، وأصبح صاحب وجاهة عند أهلها.

الاحتمال الخامس: أنه سيد عند قبيلته من قبل هجرتها إلى أرض الكوفة، وباعتبار مجئهم إليها ذاع وانتشر خبر وجاهته عند أهلها، فعرف بأنه وسيد لقومه، فعندئذ صار من وجوه الشيعة في الكوفة.

وجميع الاحتمالات قد تكون واردة، ولكن الاحتمال الثاني هو الصحيح لعدة أمور وردت في الكتب المختصة وهي: أنّ سعيداً من أصحاب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد شارك معه في حربه الثلاثة، وكان محل ثقة عند الإمام الحسين عليهما السلام لدرجة أن الإمام يحاول إقناعه فيما يراه مخالفًا لسلوك أهل البيت عليهما السلام، ويعتمد عليه في أمور خطيرة كإرساله لأهل الكوفة، واستماعه لأخبارها منه، إلى جانب حضوره الاجتماعات الفعالة المهمة لكبار قبائل شيعتها من صاحب أمير المؤمنين عليهما السلام، فكان يقوم خطيباً بادياً رأيه فيها^(٢٠).

وعليه: فالاحتمال الأول مستبعد لكون قبيلته قد جاءت حديثاً للكوفة - كما أسلفنا - والثالث قريب ويفسر أمام الثاني، والرابع لا توجد عليه قرينة تؤيده، والخامس منتفٍ لعدم معرفة وجهاء وكبار القبائل به، فكيف يؤمنونه على أسرارهم، ويبعثونه في الأمور المهمة والخطيرة وهو حديث العهد بأرضهم، ولكن الثاني قوي لوجود القرائن وحاصل لعلة اشتهره ما بين القبائل ولمكانته الخاصة عند أهل البيت عليهما السلام.

المبحث الثالث: الصلح بين الإمام الحسن عليهما السلام ومعاوية

وتقمص معاوية لباس الخلافة بعد صلح عقده مع الإمام الحسن المجتبى عليهما السلام مضطراً إليه فلذلك، ولا سبيل له عليهما السلام دونه، وكان هذا الصلح على مواد نذكر ثلاثة منها:

١. تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله عليهما السلام وبسيرة الحلفاء الصالحين، وأن يكون الأمر للحسن عليهما السلام من بعده، فإن حدث به حدث فلأخيه الحسين عليهما السلام، وليس معاوية أن يعمد على أحد.
٢. أن يتترك سبّ أمير المؤمنين عليهما السلام والقنوت عليه في الصلاة، وألا يذكر عليه إلا بخير.
٣. أن يكون الناس آمنون حيث ما كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم

وحجائزهم وينهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وأن يتحمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وألا يتبع أحداً بما مضى، ولا يأخذ أهل العراق بآرائه^(٢١)، وأن يؤمن أصحاب أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ وشيعته على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم حيثما كانوا، وألا ينال أحداً منهم بعكروه، فلا يتعقب منهم أحداً على شيء^(٢٢).

ولما أجري الصلح بين الإمام الحسن عَلَيْهِ الْكَلَمُ ومعاوية لم يقبل بذلك الكثير من الشيعة فعارض منهم من عارض؛ كحجر بن عدي وسلميyan بن صرد الخزاعي وغيرهما، وكان من ضمن كبار المعارضين من أهل الكوفة للصلح؛ أحد زعماء شيعتها البارزين؛ ألا وهو سعيد بن عبد الله الحنفي خَلَقَ لِهِ، حيث روى مخالفته لصلح الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ مع معاوية ولم يفتر عن رأيه إلا من بعد ما جلس معه الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ محاولاً إقناعه وتغيير وجهة نظره في هذه المسألة الحساسة والمخطيرة، فأيد وناصر الإمام الحسن البصري عَلَيْهِ الْكَلَمُ ووافق على الصلح ببركة الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ^(٢٣).

المبحث الرابع: كثير العبادة والشجاعة

وكان سعيد الحنفي خَلَقَ لِهِ يُعرف ما بين رجال شيعة الكوفة بخصلتين مهمتين، وباعتبارهما مُيّز عن سائر وجوه وسادات الشيعة بالكوفة، وهما:

الخصلة الأولى: كثرة العبادة^(٢٤): اشتهر سعيد خَلَقَ لِهِ ما بين الأوساط الشيعية بهذه الخصلة الشريفة، التي يصعب تتحققها على أي شخص دون إصراره عليها، ويكون تفسير الكثرة بأمررين:

الأول: المواظبة: وهي المرابطة على الشيء وعدم الركون عنه، بحيث يصل إلى مرحلة لا يمكن له تركه.

الثاني: المداومة: وهي الاستمرار على فعل الشيء، وربما يتركه في بعض الأيام.

وي يكن تصور كلا الأمرتين في سعيد بن عبد الله الحنفي رضي الله عنه، ولكن الأول أقوى لقرينته اشتهره ما بين الشيعة، فلو ترك العبادة يوماً واحداً لقال الناس عنه عابداً وليس كثير العبادة.

الخصلة الثانية: الشجاعة^(٢٥): وكان سعيد رضي الله عنه مشهوراً بالتحمّس تجاه الحق، والدفاع عنه، ولا ييأس من طلبه، ولللحاق به أينما كان.

وعند التأمل في حياته نرى هذه الصفة ذاتية فيه، ولا يقبل الذلّ والهوان والانكسار، فتجده في الميدان متى ما تطلب الأمر، وذلك جليّ في النصوص الواردة، كمشاركته في الحروب الثلاثة مع أمير المؤمنين عليه السلام، ورفضه الصلح مع معاوية، طالباً بذلك الحرب معه والغلبة عليه، وأخيراً عدم التردد في نصرة الحسين عليه السلام، ولللحاق به، وعدم مفارقته مهما كانت الظروف^(٢٦).

وربما يشار بالسلب لعارضته للصلح ولكن يستبعد لورعه وتقواه وكثرة عبادته وشجاعته، فحينما رأى أنّ وظيفته ما يراه المعصوم اتبّعه وسار على مسلكه ولم يخالفه، بل اقتنع بالهدنة مع معاوية والصبر على حكمه.

المبحث الخامس: موت معاوية واجتماع أهل الكوفة

ولم يلقَ من معاوية أيّ رعاية تتناسب مع تلك العهود والمواثيق، والأيان التي قطعها على نفسه، بل استقصى بنود المعاهدة كلّها بالخلف، فلم يلتزم بأيّ شرط من شروط الصلح، وعلى رأسها كون الأمر من بعده للحسن عليه السلام ثم للحسين عليه السلام، وألا يعهد إلى أحد من بعده، وقد أجمع المؤرّخون قاطبة على أنّ معاوية لم يفِ بهذا الشرط، وقد نقضه بجعل الولاية لابنه يزيد بعده.

وعلى الرغم من عداء وبغض معاوية لأهل البيت عليهم السلام، إلا أنه يعلم ويعرف قيمة الإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام، ومنزلتهما من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنّهما إبنا

ابنته الصديقة عائشة، وهم أحق بالخلافة من غيرهما، فأوصى ابنه يزيد إذا استلم زمام الحكم من بعده أن لا يتقرب من الحسين علّيّه بسوء، بل عليه أن يحفظ قرابته من الرسول عليه صلوات الله عليه وآله .^(٢٧)

واستقبل معاوية لعنة الموت في شامه عن عمر ناهز الثمانية والسبعين سنة^(٢٨)، محروماً من رؤية ابنه العزيز على قلبه، الذي اغتصب له الخلافة وجعله على عنان الناس، حيث إنّ يزيد كان منشغلًا عن أبيه - في أثناء وفاته - برحلته الترفيهية إلى حلب، يتسلّى فيها بالصيد واللعب ومنتشيًا بالشراب ونغمة العيدان، بينما والده معاوية يتجرّع كأس الألم ويظهر الجزع على ما اقترفته يداه من سفك دماء المسلمين ونهب أموالهم^(٢٩).

وروي أنَّ الإمام الحسين علّيّه كان يمنع الناس عن البكاء عليه، بل يقرع من دمعت عيناه لموته، ويدعو عليه. فعن بشر بن غالب، قال: إني لجالس عند الحسين بن علي علّيّه إذ أتاه رجل، فقال: يا أبا عبد الله، سمعت رجلاً يبكي لموت معاوية بن أبي سفيان. فقال الحسين علّيّه: «لا أرقاً الله دمعته، ولا فرج همه، ولا كشف غمته، ولا سلي حزنه، أترى أنه يكون بعده من هو شرّ منه؟! تربت يداه وفه، أما والله لقد أصبح من النادمين».^(٣٠).

وسرعان ما انتشر خبر هلاك معاوية في أوساط الدولة الإسلامية، وجميع مدنهما ولاياتها، حتى وصل نبأ وفاته إلى شيعة أمير المؤمنين علّيّه بالكوفة، وعلى إثر ذلك عقد اجتماع طارئ بين زعماء القبائل الموالية وسادات ووجوه الشيعة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي.

وروى محمد بن بشر الهمداني الاجتماع بقوله: "اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد، فذكرنا هلاك معاوية فحمدنا الله عليه، فقال لنا سليمان بن صرد: إنَّ معاوية قد هلك، وإنَّ حسيناً قد تقبض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة وأنتم شيعته

وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهل، والفشل فلا تغروا الرجل من نفسه قالوا: لا، بل نقاتل عدوه، ونقتل أنفسنا دونه، قال: فاكتبوا إليه^(٣١).

المبحث السادس: كتب أهل الكوفة ورسلها

لما دخل الإمام الحسين عليه السلام مكة المكرمة واستقر فيها، علم أهل الكوفة به، فأرسلوا كتاباً يدعونه فيها بأن يعجل في إقباله عليهم، وتم إرسال هذه الكتب على ثلاثة دفعات^(٣٢):

الدفعة الأولى: تسرير الكتاب الأول مع عبد الله بن سبع الهمداني، وعبد الله بن والـ، في اليوم العاشر من شهر رمضان سنة ستين للهجرة.

الدفعة الثانية: تسرير نحو ثلات وخمسين صحيفة، من عدة رجال من الكوفة مع قيس بن مصهر الصيداوي، وعبد الرحمن بن عبد الله الكندي الأرجي، وعمارة بن عبيد السلوبي، بعد يومين من الكتاب الأول^(٣٣).

الدفعة الثالثة: تسرير الكتاب الأخير مع هانئ السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي، بعد يومين من الدفعة الثانية^(٣٤).

وما يرتبط ببحثنا هو الدفعة الثالثة، فقد كتب شيعة أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام كتاباً صورته: "بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن أمير المؤمنين من شيعته وشيعة أبيه. أما بعد، فحيهلا فإن الناس منتظرون، لا رأى لهم في غيرك، فالعجل يا بن بنت رسول الله عليه السلام، فقد أخضرت الجنات^(٣٥)، وأينعت الشمار، وأعششت الأرض، وأورقت الأشجار، فاقدم إذا شئت، فإنما تقدم إلى جند لك مجند^(٣٦). والسلام عليك ورحمة الله وبركاته"^(٣٧).

فجاء هانئ السبيعي وسعيد الحنفي، إلى سيد الشهداء عليه السلام في مكة

المكرمة، وأعطياه كتاب أهل الكوفة، فقرأه الإمام عَلِيُّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم قال لهما: «خبراني من اجتمع على هذا الكتاب الذي ورد علي معيكا؟»، فقالا له: «يا بن رسول الله شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث، ويزيد بن رويم، وعروة بن قيس، وعمرو بن الحجاج، ومحمد بن عمير بن عطارد»^(٣٨).

ويقول الرواية أنَّ الإمام الحسين عَلِيُّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما سمع جوابهما قام وصلَّى ركعتين بين الركن والمقام، ثم انتفل من صلاته، وسأل ربه الخير فيما كتب إليه أهل الكوفة^(٣٩).

وبعد انتهاء الإمام من الصلاة وطلب الخير من الله عَزَّوجلَّ، جمع رسول أهل الكوفة إليه، وقال لهم: «إني رأيت جدي رسول الله عَلِيُّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في منامي، وقد أمرني بأمر وأنا ماضٍ لأمره، فعزم الله لي بالخير، إنه ولِي ذلك والقادر عليه إن شاء الله تعالى»^(٤٠).

وي يكن أن تترتب عدة نقاط في غاية الأهمية على هذه الحادثة:

الأولى: يُعدّ سعيد خليفة من أصحاب الوثاقة والمكانة الكبيرة عند زعماء شيعة الكوفة، باعتبار بعثه فيما يكون عاقبته وخيمة حين انكشفه لجلاؤزة يزيد، فأمنوه على سرهم وما اقتضى أمرهم عندما أرسلوه في هذه المهمة الخطيرة التي قد يتربّط عليها الموت أو السجن.

الثانية: نجد أنَّ الإمام الحسين عَلِيُّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الحادثة عندما يتكلّم مع سعيد؛ يظهر من كلامه معرفته السابقة به، وبالخصوص عندما يسأله عن مصدر الكتاب، فهذا يدل على كون الإمام عَلِيُّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يعتمد بكلامه، وهو محل اهتمام وتقدير عنده.

الثالثة: هناك رواية في الأخبار الطويلة تقول: إنَّ سعيداً أقبل في الصباح على الإمام عَلِيُّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بخمسين كتاباً، وعاد إليه عند المساء مع هانئ وبهذه كتاب واحد وهو آخر الكتب^(٤١). ويكون تصور ذلك بحيث إنَّ من جاء إلى الإمام عَلِيُّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ من رسل الدفعة الثانية يحتاجون إلى من يكون وسيطاً بينهم وبين الإمام عَلِيُّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأعطوا خمسين

كتاباً لسعيد الحنفي عليه السلام في الصباح حتى يسلمها للإمام بدلًا عنهم، وفي المساء جاء لوحده مع هانئ وأعطياه الكتاب الأخير.

الرابعة: يذكر المؤرخون أنَّ الإمام عليه السلام أرسل هانئ وسعيد إلى أهل الكوفة، لكي يهيا الأرضية لسلم بن عقيل عليه السلام وأعطاهم كتاباً لأهل الكوفة، وصورته: «بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإنَّ سعيداً وهانئاً قدما على بكتبكم وكانا آخر من قدم علي من رسلكم، وقد فهمت كلَّ الذي اقتضيتم ذكرتم، ومقالة جلَّكم أَنَّه ليس علينا إمام فا قبل لعل الله أن يجمعنا بك على المدى والحق، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمِّي وشقيقي من أهل بيتي مسلم بن عقيل وأمرته أن يكتب إلى بحالكم وأمركم ورأيكم، فإنَّ بعث إلى أَنَّه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت به على رسلكم وقرأت في كتبكم أقدم وشيئاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والأخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله، والسلام»^(٤٢).

الخامسة: يظهر من كتاب الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة أَنَّه اطلع على أحوالها من هانئ السبيعي وسعيد الحنفي عليه السلام، وعرف تفاصيل مجريات الاجتماعات المعقودة بعد هلاك معاوية، وما اتخذه وجهاء الشيعة وسادات قبائلها من قرارات على إثره، ويظهر أيضاً أنَّ الإمام تشاور مع هانئ وسعيد في الموضوع ورتب عليها بعث مسلم رسولًا إليهم.

السادسة: ومن الواضح أنَّ من يبعث أخيراً يكون أعظم وسيلة وواسطة لإقناع الإمام بتعجيز الإقدام، ووقوع اختيار أهل الكوفة على هانئ السبيعي وسعيد الحنفي عليه السلام لم يكن عبثاً؛ لما يتميز به سعيد الحنفي عليه السلام من المكانة وعظم شأن عند الإمام.

ويقول أهل التراجم والتاريخ أنَّ هانئاً وسعيداً عليه السلام قد وصلا إلى أرض الكوفة قبل مجيء مسلم إليها، وعملا على ما أمرهما الإمام الحسين عليه السلام من تهيئة

الجو وتوطيد الأمور قبل وصول مسلم إليها^(٤٣).

فأيّ منزلة يحظى بها سعيد بن عبد الله الحنفي عليه السلام حتى يبعثه الإمام عليه السلام قبل ابن عمه مسلم بن عقيل عليه السلام ليقوم بمقام ترتيب الأرضية ودعوة الناس إليه، وإعلام الشيعة بالاستعداد لمساندته ومناصرته.

المحور الثاني: مسلم بن عقيل رسول الحسين عليه السلام لأهل الكوفة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: وصول سعيد عليه السلام إلى الكوفة وتهيئة الأمور ل المسلمين

كان أهل الكوفة على وجل وفي حال ترقب وانتظار لعودة رسلهم، حاملين معهم جواب الإمام الحسين عليه السلام على ما قد كتبوا إليه.

ولم تمض الأيام إلا وهانئ بن هانئ وسعيد الحنفي عليه السلام قد أقبلوا، وهم حاملون معهما كتاب سيد الشهداء عليه السلام إلى زعماء شيعة الكوفة، فاستقبلوهما بحفاوة واستبشار.

وأخبر سعيد بن عبد الله الحنفي عليه السلام القوم بجيء رسول الحسين مسلم بن عقيل عليه السلام بعدهما، وقام سعيد بنفسه على تهيئة الجو لاستقباله، وتوطيد الأمور إليه، فهياً الشيعة لمقدمه المبارك، وأعد المنزل وما يحتاجه للإقامة^(٤٤).

المبحث الثاني: وصول مسلم عليه السلام إلى أرض الكوفة

ووصل مسلم بن عقيل عليه السلام أرض الكوفة لخمس خلون من شوال^(٤٥)، بعد سفر استغرق فيه عشرين يوماً^(٤٦)، وكان الأمير على الكوفة آنذاك النعمان بن بشير الأنباري^(٤٧).

وعمت الأفراح بقدوم مسلم جميع الأوساط الشيعية في الكوفة، وقد وجد منهم

مسلم عليه السلام ترحيباً حاراً وتأييداً شاملاً، فلما وقفوا على كتابه كثراً استفسر لهم بجيئه إليهم^(٤٨)، ثم أنزلوه في دار المختار أبو عبيده الثقفي، باعتباره أشهر أعلام الشيعة في الكوفة وأحد سيوفهم، ويتمتع بقرباته من النعمان، لكونه زوج ابنته عمرة^(٤٩).

وكان متواجداً في الكوفة حين وصول مسلم كبار وجهاء الشيعة، وسادات قبائلهم، ومن ضمنهم سعيد بن عبد الله الحنفي رضي الله عنه، حيث روي تواجده هناك عندما نزل مسلم الكوفة، وكذا تواجده في محل إقامته أولاً وهو بيت المختار الثقفي^(٥٠).

المبحث الثالث: مبايعة مسلم عليه السلام في دار المختار

وأقبلت الشيعة على مسلم في دار المختار مرحبين به مظہرین إليه الطاعة والانقياد، متعطشين لقديوم الحسين عليه السلام إليهم، والتلفاني في نصرته، لينفذهم من جور الأمويين وظلمهم، ما زاد في سروره وابتهاجه. وكلما اجتمع عنده جماعة منهمقرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام، فيبكون ويعدونه من أنفسهم النصرة^(٥١).

وقد ألقى -في دار المختار الثقفي وبمحضر مسلم- عدة من وجوه الشيعة في الكوفة، ومن سادات قبائلها خطابات مؤيدة وداعمة لنصرة الإمام الحسين عليه السلام وتوطين النفس عليها، وقد ذكر المؤرخون ثلاثة خطابات نارية لثلاث شخصيات عظيمة وكبيرة، ألقى كل منها خطبة عند نزول مسلم الدار، وكانت هذه الشخصيات هي:

1. عابس بن أبي شبيب الشاكري رضي الله عنه: وكان خطابه بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال: "أما بعد: فإني لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرك منهم، والله لأحدثنك بما أنا موطن نفسي عليه؛ والله لأجيئكم إذا دعوتكم، ولأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفى دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند

٢. حبيب بن مظاہر الفقعنی [الأُسدي] حَمْدُهُ لِلّٰهِ: قام بعد عابس وقال: "رحمک الله؛ قد قضیت ما فی نفسک بواجز من قولک، ثم قال: وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه" ^(٥٣).

٣. سعید بن عبد الله الحنفی حَمْدُهُ لِلّٰهِ: ثم قام سعید بعدما أنهى حبيب کلامه، وقال: "وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه" ^(٥٤).

وقيام سعید الحنفی حَمْدُهُ لِلّٰهِ في هذا المقام وإلقائه تلك الكلمات الثورية على رأس الناس بحضور رسول الحسین عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس اعتباطاً أو حاله كحال غيره من حضر، بل له مدلولاته على مستوى المجتمع الكوفي خاصه والشيعي عامه، وهذا إنما يدل على علو المقام وعظم الشأن والمنزلة الرفيعة التي يتحلى بها سعید الحنفی حَمْدُهُ لِلّٰهِ.

المبحث الرابع: إرسال مسلم عَلَيْهِ السَّلَامُ سعیداً حَمْدُهُ لِلّٰهِ للإمام الحسین عَلَيْهِ السَّلَامُ
وكثير إقبال شيعة الكوفة على دار المختار، مبایعین رسول الحسین عَلَيْهِ السَّلَامُ، حتى بلغ عدد من بایعه ثمانية عشر ألفاً، وقيل خمساً وعشرين ألفاً، وفي حديث الشعبي بلغ من بایعه أربعين ألفاً ^(٥٥). والأول أشهر وأصح.

فكتب مسلم إلى الحسین عَلَيْهِ السَّلَامُ يخبره باجتماع أهل الكوفة على طاعته، ويطلب منه التوجیل بالقدوم، وكان ذلك قبل مقتله بسبع وعشرين ليلة ^(٥٦). وكانت صورة كتابه إليه: "أما بعد، فإنَّ الرائد لا يكذب أهله، وقد بایعنى من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجل الإقبال حتى يأتيك كتابي، فإنَّ الناس كلَّهم معك، وليس لهم في آل معاویة رأى ولا هو" ^(٥٧).

وذكر في الآثار أنَّ رسول مسلم إلى الحسین عَلَيْهِ السَّلَامُ هو عابس بن شبیب

الشاكري حَيْثُعَنْهُ، وعند الرجوع إلى ترجمة سعيد بن عبد الله الحنفي حَيْثُعَنْهُ المذكورة في كتب من أرّخ لأصحاب الحسين عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ، نجد المؤرخين يذكرون أنّ مسلماً بعث سعيداً بهذا الكتاب.

وجاء في كتب التراجم العبارات التالية:

■ عبارة إبصار العين: ”قال أبو جعفر: لما حضر مسلم بالковفة ونزل دار المختار خطب الناس عابس ثم حبيب، ثم قام سعيد بعدهما فحلف أنه موطن نفسه على نصرة الحسين عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ، فادِ له بنفسه، ثم بعثه مسلم بكتاب إلى الحسين عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ، فبقى مع الحسين عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ حتى قتل معه“^(٥٨).

■ عبارة فرسان الهيجاء: ”وكان سعيد بن عبد الله الحنفي حَيْثُعَنْهُ في الكوفة حين نزلها مسلم، ولما شاهد مسلم اجتماعهم، كتب إلى الحسين عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ يخبره بذلك، وبعث الكتاب مع سعيد بن عبد الله الحنفي هذا، وأقبل به على الحسين عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ وظل ملازماً له حتى استشهد“^(٥٩).

وي يكنى الجمع بين الأخبار الواردة في خصوص عابس الشاكري حَيْثُعَنْهُ، وبين ما ذكره التراجم من بعث سعيد الحنفي حَيْثُعَنْهُ بالكتاب؛ أنّ الكتاب لم يحمله نفر واحد للحسين عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ، بل حمله جماعة من أهل الكوفة، ومن ضمنهم هذين العلمين العظيمين، وذلك لقرينة ما ذكر في تراجم بعض أصحاب الحسين عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ أنّهم حملوا هذا الكتاب للإمام الحسين عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ كقيس بن مصهر الصيداوي حَيْثُعَنْهُ وغيره.

ويؤيد ذلك قول العالمة البحاثة الشيخ القرشي تَدَبُّرُ في حياة الإمام الحسين عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ: ”... وحمل الكتاب -أى كتاب مسلم للإمام عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ- جماعة من أهل الكوفة، وعليهم البطل العظيم عابس الشاكري حَيْثُعَنْهُ، وقدم الوفد مكة المكرمة، وسلم الرسالة إلى الإمام عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ ...“^(٦٠).

المحور الثالث: ليلة العاشر

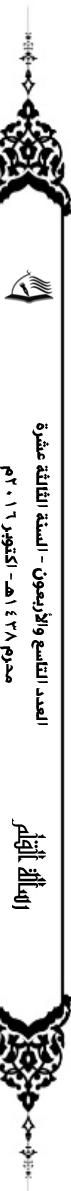
وفيه مقدمة وثلاثة مباحث:

وصل إلى الإمام الحسين عليه السلام خبر اجتماع أهل الكوفة على نصرة الحق، واتباع مسلك أهل البيت عليهما السلام، وانتظارهم مجيء سيد الشهداء عليه السلام للأخذ بزمام أمور الكوفة. ولما بلغ الإمام عليه السلام أنّ يزيد لعنة الله انفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر، وأمّره على الحاج، وولاه أمر الموسم، وأوصاه بالفتاك بالحسين عليه السلام أيّنما وجد، عزم -بأبي وأمي- على الخروج من مكة المكرمة قبل إقام الحج، واقتصر على العمرة، كراهيّة أن تستباح به حرمة البيت^(٦١)، فخرج متوجهاً إلى الكوفة استجابة لدعوة أهله.

فسار مع أهله ومن بايعه حتى بلغ منزله يقال له زباله، فأتاه خبر شهادة مسلم بن عقيل عليهما السلام، وعندئذٍ عرف بذلك جماعة من تبعه، فتفرق عنه أهل الأطعما والارتياح، وبقي معه أهله وخيار أصحابه، وتبع الإمام عليه السلام بعد ذلك مسيره إلى المقصد الذي دعاه الله إليه^(٦٢)، وما إن وصل إلى عرصات كربلاء في اليوم الثاني من المحرم^(٦٣)، قال لأصحابه وأهل بيته: «انزلوا، ها هنا والله محظ ركبنا وسفك دمائنا، ها هنا والله محظ قبورنا، وها هنا والله سي حريمنا، بهذا حدثني جدي»^(٦٤).

وقد التحق سعيد بن عبد الله الحنفي عليهما السلام بركب الحسين عليهما السلام منذ أن سلمه كتاب مسلم بن عقيل عليهما السلام في مكة المكرمة، فبقي ملازماً له حتى نزل الحسين عليهما السلام أرض كربلاء^(٦٥).

وسرعان ما جاء عصر اليوم التاسع من المحرم، وقرر عمر بن سعد لعنة الله الهجوم على معسكر سيد الشهداء عليهما السلام، ولما رأى الحسين عليهما السلام حرص القوم على تعجيل القتال وقلة انتفاعهم بالوعظ والمقال، قال عليهما السلام لأخيه العباس عليهما السلام: «إن استطعت أن تصرفهم عنّا في هذا اليوم فافعل، لعلنا نصلّي لربنا هذه الليلة، فإنّه يعلم أني أحبّ



الصلوة له وتلاوة القرآن»^(٦٦).

ذهب العباس عليه السلام إلى القوم وسألهم تأجيل المعركة لليوم العاشر حتى يقضوا هذه الليلة بالعبادة، فأبى عمر بن سعد لله عليهما السلام إلا أن يقاتل الساعة^(٦٧)، وفي نقل آخر توقف لله عليهما السلام عن إجابته^(٦٨)، فقال له رجل يدعى عمرو بن الحاج الزبيدي: «والله لو أنهم من الترك والدليم وسألوا ذلك لأجبناهم، فكيف وهم آل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٦٩)، فاستجاب ابن سعد لله عليهما السلام لصاحبه، وأمهلهم هذه الليلة.

المبحث الأول: إذن الحسين عليه السلام لأصحابه بالانصراف

ودخل الظلام على ذاك اليوم، وجمع الإمام الحسين عليه السلام أصحابه في تلك العشية، وقال لهم: «...أما بعد؛ فإني لا أعلم أصحاباً أوفي ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيتي أبداً ولا أوصل من أهل بيتي، فخراكم الله عني جيئاً خيراً. ألا وإنني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإنني قد رأيت لكم فانطلقا جميعاً في حل، ليس عليكم متي ذمام، هذا اليقظة قد غشيمك فاتخذوه جملأ. ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، وتفرقوا في سوادكم ومدائكم حتى يفرج الله، فإن القوم إنما يطلبونني، ولو قد أصابوني لموا عن طلب غيري»^(٧٠).

وروي أنَّ الإمام عليه السلام في هذه الليلة الألمية والحزينة، قد أعطى إذناً خاصاً لبعض من تبعه كالعقيل^(٧١) وغيرهم، ومن ضمن من خصه الإمام عليه السلام بالإذن سعيد بن عبد الله الحنفي عليه السلام، فقد جاء في الناحية المقدسة: «السلام على سعيد بن عبيد الله الحنفي، القائل للحسين عليه السلام وقد أذن له في الانصراف ...»^(٧٢).

ويقول العلامة القردوبي نقلاً معلقاً على هذا المقطع من الزيارة الشريفة: «ويظهر من الزيارة أنه عليه السلام أذن له بالخصوص في الانصراف ولكن أبى من المفارقة»^(٧٣).

المبحث الثاني: خطبة سعيد جَهَنَّمَ عَنْهُ ليلة العاشر

وكان لهذا الرجل العظيم الشجاع دور فعال في وقوته ليلة العاشر بعدما سمع خطاب سيد الشهداء عَلَيْهِ السَّلَامُ في الإذن بالانصراف، قال وهو متهم محتسب فادِ بنفسه لابن رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا والله يا بن رسول الله لا تخليك أبداً، حتى يعلم الله أنا قد حفظنا فيك وصيحة رسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ، ولو علمت أنني أقتل فيك، ثم أحسي، ثم أحرق، ثم أذري، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامك، وكيف لا أفعل وإنما هي قتلها واحدة، ثم أثال الكراهة التي لا انقضاء لها أبداً^(٧٤).

وقد تعرض لذكر خطبة سعيد الحنفي جَهَنَّمَ عَنْهُ ليلة العاشر الإمام الحجة عَلَيْهِ السَّلَامُ في زيارته الشريفة حينما قال عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يسلم عليه: «السلام على سعيد بن عبد الله الحنفي، القائل للحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد أذن له في الانصراف: لا والله! لا تخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ فيك، والله لو أعلم أيّي أقتل، ثم أحرق، ثم أذري، يفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي موتة أو هي قتلة واحدة، ثم بعدها الكراهة التي لا انقضاء لها أبداً. فقد لقيت حمامك، وواسيط إمامك، ولقيت من الله الكراهة في دار المقامات، حشرنا الله معكم في المستشهدين، ورزقنا مرافقتكم في أعلى عليين»^(٧٥).

ويكفي فضيلة ومنقبة في هذه الخطبة الغراء أنَّ الإمام صاحب العصر جَهَنَّمَ عَنْهُ ذكرها كاملة عندما سلم عليه جَهَنَّمَ عَنْهُ، فأيّ منزلة ودرجة يحظى بهما هذا البطل الضراغم عند الأئمة الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وقد سجل التاريخ قوة صارمة في منطق الدفاع عن الحق، وتنازل عن كلّ ما دون الفداء والتضحية لابن بنت رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، بهذه الكلمات الثورية النابعة من المعرفة الحقة لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولمقاماتهم السامية.

فكان أصحابها متهمّساً لنصرة أهل البيت ثابت الموقف غير متزلزل في هدفه،

وربما ما قاله أحد الفقهاء أَنَّهُ مِنْ "أَعْظَمِ الشَّوَارِ تَحْمِسًا" (٧٦) ناظرة إلى شدة موقفه وعزيمته في هذه الخطبة.

ولا يخفى أنّ هذه الخطبة المدوية صدى من حين ما استمع إليها الحسين عليه السلام وأصحابه إلى ما بعد يومنا هذا، حيث يتناقلها أرباب المنابر على التبر، ولكن للأسف الشديد لا يعطى حقها الجزيل، فإنّ الكثير منهم لا يذكرون صاحب هذه الكلمات العجيبة المحسدة لأجلِّ أنواع النضجية والإخلاص والفاء لآل رسول الله عليه صلوات الله وآله .

وفيه يقول الشاعر:

فَلِمَّا رَأَى أَنْ لَا مُحِيصٌ مِنَ الرَّدِّي
وَأَنْ مَرَادُ الْقَوْمِ مِنْهُ كَبِيرٌ
فَقَالَ لِأَهْلِيهِ وَبَاقِيِّ صَاحِبِهِ
أَلَا إِنَّ لَبْشِي فِيكُمْ لِي سِيرٌ
عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْلَّيلِ فَاسْتَرْوَا بِهِ
فَقُومُوا وَجَدُوا فِي الظُّلَامِ وَسِيرُوا
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَبْتَغِيهِ قَدِيرٌ
فَقَالُوا مَعَاذُ اللَّهِ سَلْمَكُ لِلْعَدُوِّ
وَأَيِّ حَيَاةٍ بَعْدَ فَقْدِكَ تَرْتَجِي
وَلَكُمْ نَقِيٌّ عَنْكُمْ الرَّدِّي بِسِيَوْفِنَا
وَنَفْحٌ جَنَّاتُ النَّعِيمِ وَحُورٌ (٧٧)

المبحث الثالث: ما يفعله أصحاب الحسين عليه السلام في ليلة العاشر

وبعد جواب الأنصار على إذن الإمام عليه السلام بعدم مفارقتهم إياه دون الشهادة بين يديه، وإعلانهم التأهب وعدم التردد في النصرة، وتقديم كل ما يمكن تقديمه بإزاره حفظ الدين والدفاع عن أهل البيت عليه السلام قال الإمام الحسين عليه السلام لهم: «إنكم تقتلون غداً كذلك [أي كما أقتل] لا يفلت منكم رجل. قالوا: الحمد لله الذي شرفنا

بالقتل معك»^(٧٨).

وبعد ذلك دعا الإمام الحسين عَلَيْهِ الْمُسْتَقْبَلَةَ وقال لهم: «ارفعوا رؤوسكم وانظروا، فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم وإلى منازلهم من الجنة، وهو يقول: هذا منزلك يا فلان، وهذا قصرك يا فلان، وهذه درجتك يا فلان»^(٧٩).

وبات الحسين عَلَيْهِ الْمُسْتَقْبَلَةَ وأصحابه تلك الليلة، وهم دوي كدوبي النحل، ما بين راكع وساجد، وقائم وقاعد، فعبر إليهم في تلك الليلة من معسكر بن سعد اثنان وثلاثون رجلاً^(٨٠). فنالوا السعادة والشهادة بين يديه^(٨١).

المحور الرابع: في كيفية شهادته حَلَّتْ عَنْهُ وما وقع عليه يوم العاشر

وفيه مقدمة وخمسة مباحث:

لما طلع فجر يوم العاشر من المحرم، صَلَّى الإمام الحسين عَلَيْهِ الْمُسْتَقْبَلَةَ بأصحابه الغداة، وعَبَّأْهم تبعنة الحرب، وأمر بحفيرته التي حول عسكره، فأضرمت بالنار، ليقاتل القوم من وجه واحد^(٨٢).

وما هي إلا فترة قصيرة إلا وأصحاب عمر بن سعد لَعَنْهُمْ قد ركبوا خيولهم، مستعدين للهجوم على معسكر الحسين عَلَيْهِ الْمُسْتَقْبَلَةَ فوق فيهم الإمام عَلَيْهِ الْمُسْتَقْبَلَةَ خطيباً فلم ينتفعوا، وفي بعض المقاتل أنَّ الحسين عَلَيْهِ الْمُسْتَقْبَلَةَ لما أتم الخطبة قال: «أين عمر بن سعد؟ ادعوا إلى عمر» فدعى له، وكان كارهاً لا يحب أن يأتيه، فقال عَلَيْهِ الْمُسْتَقْبَلَةَ: «يا عمر أنت تقتلني؟ تزعم أن يوليك الدعي بن الدعي بلاد الري وجرجان، والله لا تتها بذلك أبداً، عهداً معهوداً فاصنع ما أنت صانع، فإنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، ولકأني برأسك على قصبة قد نصب بالكوفة يتaramاه الصبيان ويتخذونه غرضاً بينهم» فاغتاظ عمر من كلامه عَلَيْهِ الْمُسْتَقْبَلَةَ ثم صرف بوجهه عنه ونادى بأصحابه: «ما تنتظرون به؟ احلوا بآجمعكم إنما هي أكلة واحدة»، ثم إنَّ الحسين عَلَيْهِ الْمُسْتَقْبَلَةَ دعا بفرس رسول الله عَلَيْهِ الْمُسْتَقْبَلَةَ المرتجز

فركبه وعبأ أ أصحابه^(٨٣).

وزحف الباقي إلى مقرية من معسكر الحسين علیه السلام فأخذ سهماً فأطلقه نحو عسكر الإمام علیه السلام، وهو يصيح: "أشهدوا لي عند الأمير، آتني أول من رمى".^(٨٤)

فتراشقت السهام من معسكر ابن سعد لعنه الله على أصحاب الحسين علیه السلام، كأنها المطر حتى لم يبق أحد منهم إلا أصحاب سهم منها^(٨٥)، فقال سيد الشهداء علیه السلام لأصحابه: «قوموا رحمة الله إلى الموت الذي لا بد منه، فإن هذه السهام رسول القوم إليكم»^(٨٦). وتقدم الأسود البواسل من أصحاب الإمام علیه السلام إلى ساحة الحرب، وبدأت بذلك المعركة الرهيبة، واحتدم القتال بين الحق والباطل، كأشد وأعنف ما تكون المواجهة بينهما.

المبحث الأول: وقت الزوال

وبينما هم على هذا الحال، بان القتل في أصحاب الحسين علیه السلام لقلة عددهم، ولا يبين في أصحاب عمر بن سعد لعنة لهم لكثرةهم، وأشتد القتال والتحم، وكثر القتل والجرح في أصحاب أبي عبد الله علیه السلام، إلى أن حان وقت صلاة الظهر^(٨٧).
والتفت إلى حلول الزوال أبو ثامة الصائدي خطبته، فقال للحسين علیه السلام: "يا أبا عبد الله! نفسي لنفسك الفداء، هؤلاء اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك، وأحب أن ألقى الله ربى وقد صليت هذه الصلاة".

رفع الحسين علیه السلام رأسه إلى السماء، وقال علیه السلام: «ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين، نعم هذا أول وقتها»، ثم قال علیه السلام: «سلوم أن يكفوا عننا حتى نصلّى». وعندما سمع الحسين بن نمير لعنه الله كلام الإمام الحسين علیه السلام قال: "إنها لا تقبل"، فقال حبيب بن مظاهر خطبته له: "لا تقبل الصلاة زعمت من ابن رسول الله علیه السلام وتقرب منك يا خثار"، فحمل عليه حبيب بن نمير وحمل عليه حبيب فضرب وجه فرسه

بالسيف، فشبّ به الفرس وقع عنه الحصين، فاحتوشته أصحابه فاستنقذوه^(٨٨).

المبحث الثاني: صلاة الظهر يامامة الحسين علیه السلام

قام الإمام الحسين علیه السلام لأداء الظهر جماعة مع من بقي من أصحابه على قيد الحياة، وتقدم أمامه زهير بن القين وسعيد بن عبد الله الحنفي عليهما السلام، يقيانه بغى الأعداء^(٨٩).

وهناك قولان في منشأ تقدم زهير بن القين وسعيد الحنفي عليهما السلام أمام الإمام علیه السلام وهو قائم يصلي:

الأول: أنّ الإمام علیه السلام قد أمرهما بالتقدم أمامه، فقال لهما علیه السلام: «تقدماً أمامي حتى أصلّي الظهر»^(٩٠).

الثاني: أنهما تقدما من تلقاء أنفسهما يقيانه من ضرب السيوف والرماح والنبلاء، حينما شاهدا اقتراب الأعداء من الحسين علیه السلام وهو قائم بمكانه^(٩١).

والظاهر أنّ المنشأ الثاني أقرب لما عرف من شهامة وشجاعة سعيد الحنفي عليهما السلام، وهيامه لتعريض نفسه الطاهرة في سبيل الشهادة دون الحسين علیه السلام، ولائي عشقه كان يعشقه للإمام علیه السلام وهو لم يغب عن قلبه لحظة، فكيف له أن يتمالك نفسه حينما يرى نبال الأعداء وسيوفهم ورماحهم تغدو عليه من كل جانب.

وقد ذكر أكثر المؤرخين أنّ الإمام الحسين علیه السلام صلّى هذه الصلاة بنصف أصحابه صلاة الحروف^(٩٢)، وقيل: - وهو ضعيف - إنّه صلّى وأصحابه فرادى بالإيماء^(٩٣).

وأما الأعداء فلم يفوا بما وعدوا الحسين علیه السلام بالكف عنهم حتى يأدوا الصلاة، فهمجوا على المصليين بضربوهم بسيوفهم ورماحهم ويرموهم بالنبلاء^(٩٤).

وكان سعيد بن عبد الله الحنفي خليفة عنه واقفاً صامداً كالجبل لا تهزه الرياح أمام سيده ومولاه أبي عبد الله الحسين عليه السلام مباشرةً، يقيه بنفسه الطاهرة ضرب السيف والرماح مجسداً أروع وأجلـى صور التفاني والإيثار^(٩٥).

المبحث الثالث: حان وقت التضحية والوفاء

ولم يزل سعيد واقفاً يقي بنفسه مولاه، مضحياً بجميع ما يملك سواه، جاعلاً أعضاء جسمه وجسده فداء لسلامته من كيد الأعداء، وهذا إنما يكشف عن معرفته التامة بمقام الإمامة والعصمة والصد عنهم بكل ما يتاح به الدفاع، مفوضاً أمره وروحه بين يدي سيد شباب أهل الجنة، مبتغيًا بذلك رضي الله ورضي رسوله عليه السلام.

وبينما هو قائم كذلك بين يدي الحسين عليه السلام، وإذا بالنبل تترافق على سيد الشهداء عليه السلام من كل ناحية، فجلس سعيد خليفة عنه يقي سيد الشهاد السهام بننفسه الطاهرة، طوراً بوجهه وطوراً بصدره، وطوراً بيديه، وطوراً بجبينه، فلم يكدر يصل إلى الحسين عليه السلام شيء من ذلك حتى أثخن بالجراح، فسقط -بأبي وأمي- إلى الأرض، مخضباً بدمه الزاكي^(٩٦).

ويصور السيد رضا الهندي تلميذ هذا المشهد المروع في قصيده الحالدة:

بأبي من شروا لقاء حسين
وقفوا يدرأون سمر العوالى
فوقوه بيض الظبا بالتحور
البيض والنبل بالوجوه الصباح^(٩٧)

ويقول الكعبي في وصف هذا المقام الفجيع:

واستبانت على الوفا وتواصته
واضحت كما توافت وفاتها

لَيْت شِعْرِي هُلْ فِي فَنَاهَا
صَحّ لِي عَنْ طَرِيقِي وَهَدَاهَا
جَرَاحٌ إِلَّا عَقِيبٌ فَنَاهَا
دُونَ أَنْ تَفْتَدِي حَشَاهٌ حَشَاهَا
وَمَقْصُودُهَا لَنْحَرٌ سَوَاهَا
صَرْعَى سَافِي الرَّمَالٌ كَسَاهَا^(٩٨)

تَتَهَادِي إِلَى الطَّعَانِ اشْتِيَاقاً
وَلَقَدْ أَخْبَرَ الرَّوَاةُ حَدِيثاً
أَنَّهُ لَمْ يَصْبِحْ حَسِينَاً مِنَ الْقَوْمِ
لَمْ تَكُنْ تَرْتَقِي إِلَيْهِ سَهَامٌ
تَتَلَقَّى نَحُورُهَا الْبَيْضُ وَالسُّمْرُ
ذَاتٌ حَتَّى ثَوَتْ مَوْزِعَةً

وَهَذَا الْفَعْلُ الْعَظِيمُ يَنْبَئُ عَنْ تَفَانِيهِ وَشَدَّدَ بِأَسْهِ وَعَدْمِ خَضْوَعَهِ وَرَكْونَهِ عَمَّا
وَطَّنَ رُوحَهِ بِإِزَائِهِ، وَمِنْ سَجِيَّةِ الْبَشَرِ الْفَرَارِ مَا يَلْحِقُ الضرَرَ بِالنَّفْسِ، حَتَّى وَلَوْ
كَانَ الشَّيْءُ بِسِيَطَةً كَالشَّوْكَةِ مثَلًاً، وَهُنَّا نَرَى الْعَكْسَ تَمَامًا، نَرَى الإِقدَامَ دُونَ التَّرْدُدِ
وَالْخُوفِ وَالْجُبْنِ، نَرَى الْعَزِيزَةِ وَالْإِخْلَاصَ وَالثَّبَاتَ، وَكُلُّ هَذَا رَخِيصٌ فِي مَقَامِ الْفَداءِ
وَالدِّفَاعِ الْمَقْدِسِ عَنِ الْمَعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ جَسَدَ سَعِيدُ الْحَنْفِي جَهَنَّمَ أَعْظَمَ وَأَرْوَعَ
النَّمَاجِ الَّتِي جَسَدَتْ هَذَا الْوَاجِبُ الْإِلَهِيِّ.

المبحث الرابع: عروج الروح الطاهرة

وَمَا إِنْ سَقَطَ سَعِيدٌ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى دَعَا عَلَى الْقَوْمِ نَصْرَةً لِلْحَقِّ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ،
وَخَاطَبَ اللَّهَ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: "اللَّهُمَّ عَنْهُمْ لَعْنَ عَادٍ وَثَمُودٍ، اللَّهُمَّ أَبْلُغْ نَبِيَّكَ عَنِ السَّلَامِ،
وَأَبْلُغْهُ مَا لَقِيتَ مِنْ أَلْمِ الْجَرَاحِ، إِنَّمَا أَرَدْتَ ثَوَابَكَ فِي نَصْرَةِ نَبِيِّكَ"^(٩٩). وَأَيّْ مَعْرِفَةٍ
يَحْظَى بِهَا هَذَا الرَّجُلُ الشَّجَاعُ بِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَعْنِي مِنْ أَلْمِ
الْجَرَاحِ فِي ذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْلِمًا عَلَيْهِ يَطْلُبُ رِضَاهُ وَقَبُولَهُ.

وَفِي مَثِيرِ الْأَحْزَانِ دَعَاءً آخَرَ غَيْرَ مَا ذَكَرَهُ الْمَشْهُورُ وَهُوَ: "اللَّهُمَّ لَا يَعْجِزُكَ شَيْءٌ
تَرِيدُهُ، فَأَبْلُغْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصْرَتِي وَدَفْعَتِي عَنِ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَارْزُقْنِي مَرْاقِفَتِهِ فِي دَارِ
الْخَلْوَةِ"^(١٠٠).

ثم التفت إلى أبي عبد الله الحسين عليهما السلام ليرى هل أدى حقه ووفى له بعهده. قائلًا: "أوفيت يا بن رسول الله؟" فأجابه الإمام شاكراً له: «نعم أنت أمامي في الجنة»^(١٠١).

واترعت نفسه بالرضا والمسرات حينما سمع قول الإمام عليهما السلام، ثم فاضت نفسه الطاهرة الزكية إلى بارئها، وقد تحرق جسده من السهام والرماح، فقد أصيب بثلاثة عشر سهماً سوى طعن الرماح وضرب السيوف^(١٠٢)، لقد كان حقاً هذا هو الوفاء الذي لا يبلغه وصف ولا إطراء.

وقال عبيد الله بن عمرو البدي الكندي في حقه وحق الحرّ ومواساته مع زهير بن اليقين:

سعيد بن عبد الله لا تنسنه ولا الحر إذ آسى زهيراً على قسر
فلو وقفت صم الجبال مكانهم ملارت على سهل ودكت على وعر
فمن قائم يستعرض النبل وجهه ومن مقبل يستقبل الأسنة بالصدر^(١٠٣)
وما يميز سعيد الحنفي عن سائر الشهداء؛ أنه سقط شهيداً بين يدي الإمام عليهما السلام وأمام ناظره، وختم حياته المليئة بالمناقب والفضائل والتضحية والشموخ بشهادته ما أعظمها من شهادة وهو يقي بنفسه إمامه وسيده الحسين عليهما السلام أثنا عشر قيامه بالصلوة، فأي منزلة حظي بها عند الله وعند رسوله وأي مقام حازه في جنات الخلود.

وقد خرج من الدنيا يدافع عن الصلاة وعمن شرعاها وقام بها، محاماً بذلك عن عمود الدين وركنه الذي شهد على إثره الإمام الحسين عليهما السلام بقوله: «أشهد أنك قد أقمت الصلاة»، ولو لا وقاية سعيد^{عليه السلام} للسهام والرماح والسيوف لربما كان الحسين عليهما السلام صريعاً وهو قائم يصلبي لربه صلاة الخوف والوداع.

المبحث الخامس: بروز سعيد إلى المعركة مرتجزاً

وروي أنَّ سعيداً نزل إلى المعركة مبارزاً وقتل فيها، وكان رجزه بهذه الأبيات:

أقدم حسين اليوم نلقى أهدا	وشيذك الخير علياً ذا الندى
وحسناً كالبدر وافق الأسعدا	وعنك القرم الهجان الأصيذا
وحمنة ليث الإله الأسدوا	في جنة الفردوس نعلوا صعداً ^(١٠٤)

ولم ينسب هذا الرجز إلى عليه السلام إلا عددٌ مصادر يسير، وقد نسب السيد الأمين العاملي^(١٠٥) والشيخ الري شيري^(١٠٦) هذه الأبيات إلى سعيد بن عمرو بن أبي المطاع.

وليس هذا الرجز معروفاً عنه عليه السلام كما عليه أكثر المؤرخين، ولو صدر منه فإنه كان موقعاً للمبارزة في المعركة ولم يقتل فيها، للمتاز على شهادته وهو يقي الحسين عليه السلام بنفسه الزكية حتى لا يصل إليه شيء من سهام القوم وهو قائم يصلبي.

خاتمة في ذكر بعض النكات الرجالية المتعلقة بالبحث:

- ذكر الفضيل بن الزبير الأستاذ عليه السلام في مقتله: أنه لم يستشهد من بني حنيفة في فاجعة كربلاء سوى سعيد بن عبد الله الحنفي عليه السلام^(١٠٧).
- ذكره اليعقوبي في تاريخه بسعيد بن عبد الله المخعمي^(١٠٨)، وكذا في الأخبار الطوال، وأيضاً ذكره بعد سطرين بلقب الثقفي بدل المخعمي^(١٠٩).
- ذكر شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي قىٰ في رجاله سعيد بن عبد الله وليس فيه الحنفي، وقد عده من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام الراسخين^(١١٠).
- قال السيد أبو القاسم الخوئي قىٰ في رجال الحديث: "سعـد بن عـبد الله: مـن

أصحاب الحسين طائفة . هو من المستشهدين بين يديه طائفة وسلم عليه مع توصيفه بالحنفى فى الزيارة الخارجة من الناحية المقدسة إلا أن سندها ضعيف، وفى الزيارة الرجبية: سعيد بن عبد الله الحنفى وسندتها أيضاً ضعيف^(١١١). وقال عليه السلام عندما تعرّض لاسم سعيد بن عبد الله: "الحنفى: من المستشهدين بين يدى الحسين طائفة، وتقدم فى سعد بن عبد الله"^(١١٢).

- قال العلامة المامقاني نقش: "لو لم يكن إلا ما ورد فى الناحية المقدسة فى حقة لكتفى الكشف عن ثقته وجلالته، وقد بلغ ذرورة الجهاد والفداء والتضحية فى وقايته للحسين طائفة عند الصلاة"^(١١٣).

- في منتهى الآمال تعرّض الشيخ القمي عليه السلام إلى أحوال سعيد الحنفي عليه السلام قائلاً: "كان سعيد بن عبد الله من وجوه الشيعة بالكوفة، وهو رجل شجاع ذو عبادة كثيرة، وقد ذكر سابقاً أنَّ أهل الكوفة أرسلوه مع هانى السبئى إلى الحسين طائفة كى يعطيه كتبهم ويرغبه بالقدوم إلى الكوفة. وهما آخر من أرسلهما أهل الكوفة بكتبهم، وقد ذكر كلامه ليلة العاشر لما أذن لهم الحسين طائفة بالانصراف فى كتب المقاتل المعتبرة، وذكر اسمه فى الزيارة المشتملة على أسماء الشهداء"^(١٤).

- قال آية الله السيد حسين بحر العلوم عليه السلام في تعليقه على مصروع سعيد الحنفي عليه السلام الذي ذكره والده المرحوم آية الله السيد محمد تقى آل بحر العلوم نقش: "الحنفى من حنيفة بن لجيم من بكر بن وائل، كان من وجوه الشيعة بالكوفة، وذوى السيادة والعبادة فيهم ومن أصحاب أمير المؤمنين طائفة الذين حضروا حربه الثلاثة. وكان من المعارضين لبيعة الحسن طائفة وتنازله لمعاوية -فى بدايه الأمر- وكان من رسُل الشيعة فى الكوفة وحاملى كتبهم إلى الحسين طائفة، وممن يعتمد عليه الحسين طائفة فى إرجاع جوابات كتب أهل الكوفة، وممن أرسله الحسين طائفة إلى الكوفة قبل مسلم بن عقيل طائفة لتهيئة الجو وتوطيد الأمور. وبعثه مسلم بن عقيل بكتاب إلى الحسين طائفة فبقى مع الحسين إلى أن استشهد بين يديه فى موقف الصلاة. والدفاع

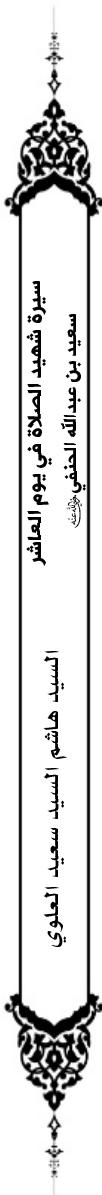
عن بيضة الإسلام^(١١٥).

● قال آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين نقش في كتابه المختص بدراسة أنصار الحسين عليهما السلام رجالياً: ذكره الطبرى، والخوارزمى، وابن شهر آشوب، والرجيبة، وذكر فى الزيارة باسم (سعد)، وذكره ابن طاوس. أحد الرسل الذين حملوا رسائل الكوفيين إلى الحسين عليهما السلام، من أعظم الثوار تحمساً. الحنفى: من حنفية بن لجيم من بكر بن وائل. عدنان (عرب الشمال)^(١١٦).

صلى الله عليك يا سيدى يا مولاي يا ناصر أبي عبد الله الحسين عليهما السلام، أسأل الله ألا يحرمنا من خدمتكم أجمعين، وأختتم القول بدعاء الحجة القائم الأمين عليهما السلام: «فقد لقيت حامك، وواسيت إمامك، ولقيت من الله الكراهة في دار المقام، حشرنا الله معكم في المستشهدين، ورزقنا مرفاقتكم في أعلى عليين»^(١١٧).
والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

- (١) أمالى الصدق، ص ٥٦١، ح ٩.
- (٢) لسان العرب، ج ٤، ص ٥٨٠، مادة بر.
- (٣) الخصال، ص ٦٠٣، أبواب المائة فما فوق، ح ٩.
- (٤) الخصال، ص ٤٤٧، باب العشرة، ح ٤٨.
- (٥) موسوعة في ظلال شهداء الطف، ج ١، ص ١٤، مبحث من هم أصحاب الحسين عليهما السلام؟.
- (٦) تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٦١٨. وقعة الطف، ص ١٩٧. إبصار العين، ص ٢٣. الملهوف، ص ١٥٠، مع اختلاف بسيط في كلام الإمام عليهما السلام.
- (٧) المزار الكبير، ابن المشهدى، ٤٩٢. إقبال الأعمال، ج ٢، ص ٥٧٦.
- (٨) تنقیح المقال، ج ٢، ص ٢٨.
- (٩) أعلام الهدایة، ج ٥، ص ٩٣.
- (١٠) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٦٢.



- (١١) سفينة البحار، ج ٦، ص ٥٥٧.
- (١٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٥.
- (١٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣٣.
- (١٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣٢.
- (١٥) إبصار العين، ص ١٦٥.
- (١٦) راجع: ١ - www.arab-ency.com - ٢ - <https://ar.wikipedia.org>
- (١٧) أعلام الهدایة، ج ٥، ص ١٠٢.
- (١٨) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ٤١.
- (١٩) منتهى الآمال، ص ٣٨٠. إبصار العين، ص ١٦٥. مقتل الإمام الحسين علیه السلام، بحر العلوم، ص ٤٣٢. الإمام الحسين علیه السلام وأصحابه، الفزوبي، ج ٢، ص ٩٢. فرسان الهيجاء، ج ١، ص ٢٠٨.
- (٢٠) مقتل الإمام الحسين علیه السلام، بحر العلوم، ص ٤٣٢. موسوعة الإمام الحسين علیه السلام، الريشهري، ج ٤، ص ٢١١.
- (٢١) الإحنة: المقد في الصدر، وربما قالوا: حنة. كتاب العين، ج ١، ص ٩٦، أحن.
- (٢٢) أعلام الهدایة، ج ٤، ص ١٥٤.
- (٢٣) مقتل الإمام الحسين علیه السلام، بحر العلوم، ص ٤٣٢. موسوعة الإمام الحسين علیه السلام، الريشهري، ج ٤، ص ٢١٢.
- (٢٤) منتهى الآمال، ص ٣٨٠. إبصار العين، ص ١٦٣. الحسين علیه السلام وأصحابه، ج ٢، ص ٩٢.
- (٢٥) المصدران السابقان.
- (٢٦) مقتل الإمام الحسين علیه السلام، بحر العلوم، ص ٤٣٢.
- (٢٧) البحار، ج ٤٤، ص ٤٦٩، باب ٣٧، ح ١.
- (٢٨) تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٥٣٦.
- (٢٩) تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٥٣٧ - ٥٣٩.
- (٣٠) شرح الأخبار، ج ٣، ص ١٠٣، ح ١٠٣٦.
- (٣١) المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٧، ح ١٠٠٦.
- (٣٢) ملاحظة: لم نر تقسيماً للدفعتين، وإنما هذا التقسيم باعتبار ما استظهرناه من الروايات.

(٣٣) راجع المصدر السابق.

(٣٤) راجع المصدر السابق. الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، الفزويني، ج ٢، ص ٩٢. إبصار العين، ص ١٦٥ - ١٦٦.

(٣٥) في بعض النسخ: أخضر الجناب.

(٣٦) في بعض النسخ: مجنددة لك.

(٣٧) الملهوف، ص ١٠٦.

(٣٨) المصدر السابق، مع إضافة.

(٣٩) المصدر السابق.

(٤٠) موسوعة الإمام الحسين عليه السلام، الريشهري، ج ٣، ص ٣٢.

(٤١) الأخبار الطوال، ص ٢٢٩.

(٤٢) إبصار العين، ص ١٦٦.

(٤٣) المصدر السابق. وانظر موسوعة الإمام الحسين عليه السلام، الريشهري، ج ٢، ص ٩٣.

(٤٤) مقتل الإمام الحسين عليه السلام، بحر العلوم، ص ٤٣٢.

(٤٥) نفس المهموم، ص ٧٢.

(٤٦) حياة الإمام الحسين عليه السلام، القرشي، ج ٢، ص ٣٤٣.

(٤٧) نفس المهموم، ص ٧٢.

(٤٨) الملهوف، ص ١٠٨.

(٤٩) حياة الإمام الحسين عليه السلام، القرشي، ج ٢، ص ٣٤٥.

(٥٠) فرسان الهيجاء، ج ١، ص ٢١١.

(٥١) مقتل الحسين عليه السلام، المقرم، ص ١٥٤. مقتل الإمام الحسين عليه السلام، بحر العلوم، ص ٤٣٢.

(٥٢) تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٥٦٣.

(٥٣) المصدر السابق.

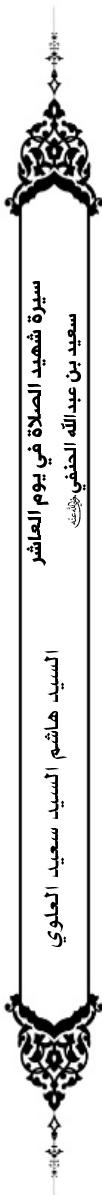
(٥٤) المصدر السابق؛ إبصار العين، ص ١٦٦. الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، ج ٢، ص ٩٢.

(٥٥) مقتل الحسين عليه السلام، المقرم، ص ١٩٤.

(٥٦) المصدر السابق، ص ١٩٥. وفي نفس المهموم، ص ٧٢.

(٥٧) وقعة الطف، ص ١١٢.

(٥٨) إبصار العين، ص ١٦٦.



- (٥٩) فرسان الهيجاء، ج ١، ص ٢١١.
- (٦٠) حياة الإمام الحسين عليه السلام، القرشي، ج ٢، ص ٣٤٨.
- (٦١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام، المقرم، ص ٢٢٣.
- (٦٢) الملھوف، ١٣٤.
- (٦٣) كشف الغمة، ج ٢، ص ٢٦٩.
- (٦٤) الملھوف، ص ١٩٣.
- (٦٥) إبصار العين، ص ١٦٦. فرسان الهيجاء، ج ١، ص ٢١١.
- (٦٦) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٢، ص ٤٥٠. تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٦١٧.
- (٦٧) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٢، ص ٤٥٠.
- (٦٨) الملھوف، ص ١٥٠.
- (٦٩) المصدر السابق.
- (٧٠) وقعة الطف، ص ١٩٧. تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٦١٨.
- (٧١) الملھوف، ص ١٥١.
- (٧٢) المزار الكبير، ابن المشهدى، ص ٤٩٢. إقبال الأعمال، ج ٢، ص ٥٧٦.
- (٧٣) الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، ص ٩٢.
- (٧٤) الملھوف، ص ١٥٣. تظلم الزهراء عليها السلام، ص ٢١٦.
- (٧٥) المزار الكبير، ابن المشهدى، ص ٤٩٢. إقبال الأعمال، ج ٢، ص ٥٧٦.
- (٧٦) أنصار الحسين، ص ١٠١.
- (٧٧) فرسان الهيجاء، ج ١، ص ٢١٠.
- (٧٨) بحار الأنوار، المخلسى، ج ٤٤، ص ٢٩٨.
- (٧٩) موسوعة الإمام الحسين عليه السلام، الريشهري، ج ٤، ص ٧٠، ح ١٥٩٠.
- (٨٠) الملھوف، ص ١٥٤.
- (٨١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام، بحر العلوم، ص ٢٩٨.
- (٨٢) الأمالى، الصدوق، ج ١، ص ٣٦٣، المجلس الثلاثون، ح ١، في الكتاب ح ٢٣٩.
- (٨٣) منتهى الآمال، ص ٣٥٩.
- (٨٤) الملھوف، ص ١٥٤.
- (٨٥) حياة الإمام الحسين عليه السلام، ج ٣، ص ١٩٩.

- (٨٦) الملهوف، ص ١٥٨.
- (٨٧) المصدر السابق.
- (٨٨) البحار، ج ٤٥، ص ١٨، باب ٣٧، ح ١.
- (٨٩) البحار، ج ٤٥، باب ٣٧، ص ١٨، ح ١. إيصار العين، ص ١٦٧. مقتل الإمام الحسين علیه السلام، بحر العلوم، ص ٤٣٢. مقتل الحسين علیه السلام، المقرن، ص ٣٥٠. منتهى الآمال، ص ٣٧٩. الملهوف، ص ١٦٥. تظلم الزهراء، ص ٢٢٢. حياة الإمام الحسين علیه السلام، ج ٣، ص ٢٢٢.
- (٩٠) البحار، ج ٤٥، باب ٣٧، ص ١٨، ح ١. الملهوف، ص ١٦٥. منتهى الآمال، ص ٣٧٩.
- (٩١) مقتل الحسين علیه السلام، المقرن، ص ٣٥٠. مقتل الإمام الحسين علیه السلام، بحر العلوم، ص ٤٣٢. إيصار العين، ص ١٦٧.
- (٩٢) الملهوف، ص ١٦٥.
- (٩٣) مشير الأحزان، ص ٦٥.
- (٩٤) فرسان الهيجاء، ج ١، ص ٢٠٨.
- (٩٥) المصادر السابقة.
- (٩٦) إيصار العين، ص ١٦٧.
- (٩٧) ديوان السيد رضا الهندي وأبنائه، ص ٧٨.
- (٩٨) أعيان الشيعة، ج ٧، ص ٧٢.
- (٩٩) الملهوف، ص ١٦٥.
- (١٠٠) مشير الأحزان، ص ٦٦.
- (١٠١) إيصار العين، ص ١٦٧.
- (١٠٢) البحار، ج ٤٥، باب ٣٧، ص ١٨، ح ١.
- (١٠٣) منتهى الآمال، ص ٣٨٠.
- (١٠٤) أنصار الحسين علیه السلام الثورة والثوار، ص ٤٤. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٢، ص ٤٥٤، ذكره دون (عمك) إلى آخر الذيل.
- (١٠٥) أنصار الحسين علیه السلام الثورة والثوار، ص ٤٤.
- (١٠٦) موسوعة الإمام الحسين علیه السلام، الريشهري، ج ٤، ص ٢١٤.
- (١٠٧) أصول المقتل الحسيني، ص ١٧٣. مجلة الإصلاح الحسيني، ص ٣٢٦.
- (١٠٨) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٤٢.

- . ٢٢٩) الأخبار الطوال، ص ٢٢٩.
 . ١٠١) رجال الطوسي، ص ١٠١.
 . ٧٣) رجال الحديث، ج ٨، ص ٧٣.
 . ١٢٤) المصدر السابق، ص ١٢٤.
 . ٢٨) تنقية المقال، ج ٢، ص ٢٨.
 . ٣٨٠) منتهى الآمال، ص ٣٨٠.
 . ٤٣٢) مقتل الإمام الحسين علیه السلام، بحر العلوم، ص ٤٣٢.
 . ١٠١) أنصار الحسين، ص ١٠١.
 . ٥٧٦) المزار الكبير، ابن المشهدی، ٤٩٢. إقبال الأعمال، ج ٢، ص ٥٧٦.

فَالْيَكْتَبُونَ
أَنَّ بْنَ عَبْدِ الْمَعْوِيِّ



نظريات في أهداف الثورة الحسينية

الشيخ منصور إبراهيم الجبيلي

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وللّعن الدائم المؤبد على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

السلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين.

كربلاء وما أدرك ما كربلاء، ثورة وملحمة لم ولن تنتصر مثلاها في تاريخ البشرية، ثورة تقابل فيها الحق كله مع الباطل كله، ثورة انتصر فيها الدم على السيف، ثورة زلزلت عروش الطواغيت، ثورة أرتنا بعض آثار غصب الخلافة.

ثورة أظهرت بعض أسباب الخطبة الشقشيقية، ثورة علمتنا دروساً في التضحية والإيثار والفداء، ثورة أعطتنا خارطة طريق نتعامل بها مع الظالمين، ثورة علمتنا أنّ في كل عصر حسيناً وفي قباله يزيد منهجاً وفكراً.

إنّ هذه الثورة المباركة ورأوها أهداف ومنظلات، لأجلها خرج الشهيد عليه السلام

وضحى من أجلها ما ضحى.

هناك آراء ونظريات في ذلك، نستعرضها واحدة بعد أخرى، ثم نردها
بلاحظات، وأسأل الله القبول.

هناك نظريات أربع في بيان أهداف الثورة الحسينية:

النظرية الأولى:

طلب الشهادة، وهذه النظرية أكثر من تفسير، ولكل منها قائل:

أ- التفسير الأول: الشهادة التكليفية، وهي عبارة عن أن الشهادة تكليف إلهي بالقتال والاستشهاد، بُنيت هذه النظرية على أساس بعض الروايات، وأشهرها روايتان:

إحداهما: رواية الإمام الصادق عليه السلام التي مفادها أن على كل إمام مسؤولية: «...لما توفي الحسن عليه السلام ومضى، فتح الحسين عليه السلام الخاتم الثالث، فوجد فيها أن قاتل فاقتل ثُقُل، واخرج بأقوام للشهادة لا شهادة لهم إلا معك»^(١).

الأخرى: رؤيا الإمام الحسين عليه السلام عند مسيره من مكة إلى الكوفة: «...يا حسين اخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلا»^(٢).

استناداً مثل هاتين الروايتين وما فهموا منها، ذهب أصحاب هذه النظرية إلى أن ثورة الإمام عليه السلام كانت تكليفاً شخصياً وأمراً خاصاً، بل هناك برنامج معد مسبقاً، وخطة سابقة وجاء الإمام عليه السلام ليسير بما هو مأمور به وفق خطة معينة، فلم تكن ردّة فعل، فيد الغيب هي التي وراء الثورة الحسينية، والحسين عليه السلام إنما هو المنفذ، ولا يمكن من بعدها الاقتداء به، وعلى هذه النظرية فإن الثورة الحسينية كانت حالة استثنائية تعبدية لا قاعدة عامة، فلا يمكن أن نجعل من هذا الاستثناء قاعدة.

ولهذه النظرية مؤيدون وأتباع.

فكتب أحدهم قائلاً: "لا يمكن أن يقال حول واقعة كربلاء شيء سوى التكليف الشخصي".

وكتب العالمة الجلسي رحمه الله قائلاً: "إن هذه القضية حكمية شهادة الإمام الحسين عليه السلام- هي في الحقيقة فرع من مسألة القضاء والقدر الذي نقل عن الأمير عليه السلام أنه يقول في شأنه: طريق مظلم فلا تسلكه وبحر عميق فلا تلجوه وسر الله فلا تتكلفوه"^(٣)، حيث ورد في أحاديث كثيرة النهي عن التفكير في هذه المسألة، وعلى هذا فإن عدم التفكير في هذه المسألة أحوط وأولى^(٤).

وكتب صاحب الجوهر رحمه الله قائلاً: "... له تكليف خاص قد قدم عليه وبادر إلى إجادته"^(٥).

وكتب باحث قائلاً: "لا يمكن بيانه -سبب ثورة الحسين- بحسب الواقع... بغیر المعصوم، بل إنه مثل الذات الأحادية خارج بشكل مطلق عن دائرة إحاطة العقول".

ويلاحظ عليه:

أولاً: هذا التفسير للنظرية ربما تكون فيه شمة جبر، وأن الإمام عليه السلام لا يد له في الثورة بل هو آلة.

ثانياً: إخبار الإمام عليه السلام بأمر غيبي وبتكلفه حين وقوع ذلك الأمر -بحسب ظاهر الروايتين- لا ينافي اختياره وكونه قدوة وإلا فإن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه لا شك في أنه عالم بما يجري عليه و بتكلفه بإخبار من الله تعالى فهل يقال: إنه لا يمكن الاقتداء به؟! فلا ملزمة بين كون التكليف شخصياً وبين كون ما فعله قاعدة، ثم ما هو الدليل على عدم جواز الاقتداء به؟ وغاية ما تدل عليه أمثل الروايتين أن الأمر لم يكن ردّ فعل وأن الإمام عليه السلام على علم بما يجري له، ولا تأتي شبهة الجبر لأن علمه لا ينافي اختياره بل هو عين التسليم والانقياد والطاعة للخالق.

ثالثاً: معرفة حكمة خروج الإمام عليه السلام هي كثير من الأحكام التي لا نعرف الحكمة الحقيقة منها ومن تشريعها، ولكن هذا لا ينافي الكلام في أهدافها المعلنة منها، وأن نختتم ونتوقع أهداهاً استلهاماً واستنطاقاً لكلمات وخطب الإمام عليه السلام لا بنحو الجزم، فما هو الضير والإشكال في ذلك؟

رابعاً: كون مسألة ثورة الإمام الحسين عليه السلام من مسائل القضاء والقدر التي ورد النهي عن الخوض فيها يحتاج إلى دليل، نعم الاعتراض والمناقشة في خروج الإمام الحسين عليه السلام وكأنه -والعياذ بالله- مغامر في خروجه وكأنه غير معصوم، ربا هو النهي عنه في الروايات بعد فرض صحتها وليس كذلك.

بـ- التفسير الثاني: شهيد الفداء، هذه النظرية تقول: إنَّ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام كان لأجل تطهير الأمة من ذنوبها ومعاصيها وإنقاذهَا بالشفاعة يوم الم Shr يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وهذه النظرية مؤيدون، فكتب أحدهم: "إنَّ الإمام الحسين عليه السلام مستجاب الدعوة، وعلى هذا فلو كان سيد الشهداء عليه السلام يريد أن يدعوا على أعدائه بالهلاك كما حدث لقوم عاد وثمود، لدعا عليهم قبل أن يظفروا به، ولأهلهم الله جميعاً، ولكنَّه يريد أن يُقتل كي يجزع عليه المؤمنون أولهم وأخرهم ويبيكونوا عليه، ويتمنوا أن يكونوا معه ليفوزوا معه الفوز العظيم المتمثل في الشهادة، كي تغفر لهم بذلك ذنوبهم، ويكون بكاؤهم وحزنهم كفارأة لذنبهم، وهذا البكاء والحزن لم يكونوا ليقعا دون شهادة مثل هذا الرجل العظيم، وبناء على ذلك فإنَّ شهادته عليه كانت الكفارأة لذنوب جميع المذنبين والعاصيـن".^(٦).

وكتب النراقي عليه السلام قائلاً: "لقد رضى الإمام الحسين بالشهادة ... من أجل بلوغ الشفاعة الكبرى والتي هي مقتضى استخلاص جميع المحبين والموالين ... كي تكون هذه المرتبة له، فلم يكن بلوغ هذه المرتبة ممكناً له دون الشهادة! ذلك لأنَّ تطهير هذه الأمة من معاصيها وشفاعتها، موقف على إرادة دمه وتألمه".^(٧).

ويلاحظ عليه:

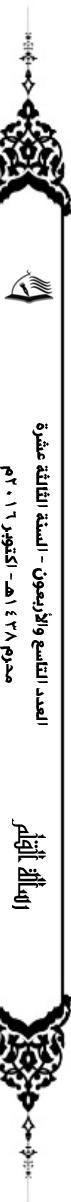
أولاً: إنّ هذا التفسير يشبه -والقياس مع الفارق- نظرية المسيحيين في صلب عيسى عليهما السلام، فكما أنّ عيسى عليهما السلام -بحسب قوله- ارتضى أن يُصلب كي يغدي البشر من ذنوبهم، كذلك الإمام علي عليهما السلام ارتضى لنفسه أن يستشهد لإنقاذهم.

ثانياً: هذه النظرية ليس لها سند في النصوص الدينية، نعم هذا المعنى قد يظهر من بعض القصائد الحسينية التي كتبت في شأن عاشوراء، إلا أنه لا بدّ من دليل على ذلك.

ثالثاً: إنّ الإمام الحسين عليهما السلام شفيع في يوم الحشر كغيره من الأئمة عليهما السلام، لشيعته ومحبيه سواء حدثت كربلاء أم لم تحدث، وهل شفاعة الإمام الحسين عليهما السلام متوقفة على قتلها وأهل بيته وأصحابه وبسي نسائه؟! نعم من أجل وصوله إلى مرتبة الشفاعة الكبرى ومراتب الكمال ولا ينكر ذلك، إلا أنّ تطهير الأمة من معااصيها واستنقاذها من جحيم الذنوب هل هو منحصر ومتوقف على إرادة دمه وذبح عياله؟!

على الإجمال ما أوردوه فيه ما هو مجانب للصحة وما هو ليس كذلك، نعم الإمام عليهما السلام لو دعا عليهم لأهلكم وأفناهم عن آخرهم، وهذا مما لا شك فيه ولا ينكره أحد، لكنه هل لا يريد الدعاء عليهم، لأجل أنه يقتل ويجزع عليه المؤمنون؟!

والإشكال الأبرز على هذا التفسير، هو عدم الفرق بين الأهداف والآثار، فإذا صنعت لي كرسيًّا وهدي في الجلوس عليه، وبعد أن فرغت منه، وجلست عليه، ثم جلس عليه غيري، فهل جلوس غيري عليه كان هدفاً لي؟! مقامنا نظير ذلك تقريباً -قياس مع الفارق ولكن من جهة معينة هي المراده من التمثيل-، فإنّ شفاعة الحسين عليهما السلام لشيعته أحد آثار يوم عاشوراء وليس هي الهدف.



ج- التفسير الثالث: الشهادة السياسية، يذهب هذا التفسير للنظرية إلى أن استشهاد الإمام الحسين عليه السلام من أجل الدفاع عن الدين وبقائه وصيانته بسبعين الإسلام من شرّ الجahليّة الجهلاء المتمثلة في بني أمية الذين أرادوا محق الدين، ومن أبرز القائدين بها السيد هبة الله الشهريستاني، حيث كتب قائلاً: "... فالحسين عليه السلام وجد نفسه مقتولاً إذا لم يبايع، ومقطولاً إذا بايع، لكنه إن بايع اشتري مع قتله قتل مجده، وأثار جده، أما إذا لم يبايع فإنّما هي قتلة واحدة تحيي بها الأمة، وشعائر الدين والشرفية الحالدة".^(٨)

وهذه النظرية لعلّها أشهر تفسير لثورة الإمام الحسين عليهما السلام - وإن كان سياق ما هو أنساب منها، وكثيراً ما تعرّض في الكتب والمحاضرات والأبحاث، ويُكَن أن نفهم هذا التفسير من بعض النصوص، وبعض كلام من كان مع الحسين عليهما السلام، كالرجز المنسوب للعباس عليهما السلام، حيث قال:

وَاللَّهُ إِنْ قَطَعْتُمْ يَمِينِي إِنِّي أَحَامِي أَبْدًا عَنِ الدِّينِ
وَعَنِ إِمامٍ صَادِقٍ لِلْيَقِينِ.

د- التفسير الرابع: الشهادة الأسطورية، هذا التفسير للنظرية يذهب إلى أن شخصية الإمام الحسين عليهما السلام أسطورية اقتضت أن يطلب الشهادة، وذلك لأنّ تأثيرها ليس على فئة محدودة بل هي فوق الزمان والمكان، فالذين استفادوا من الثورة المباركة ليسوا فئة معينة في زمان مخصوص، بل استفادت من الثورة المباركة فئات وفي أزمان مختلفة، ويتبيني هذه النظرية بعض الباحثين المعاصرين^(٩).

و ملاحظٌ عليه:

أولاً: لا دليل روائي عليها، فمن أين جيء بها؟

ثانياً: شبهة هذه النظرية بنظرية شهيد الفداء -كما ستأتي- إلى حد ما،

واستفادة جميع الناس من الثورة لا يجعلها أسطورية، وهذا خلط بين الأهداف والآثار.

النظرية الثانية: نظرية إقامة الدولة

هذه النظرية تذهب إلى أنَّ الإمام الحسين عَلَيْهِ الْمُصَاطَبَةَ ثار من أجل إقامة الحكم والدولة -إقامة حكم الله-، وأنَّه انطلق من المدينة المنورة إلى مكَّة المكرمة، كي لا يبايع يزيد بن معاوية، وعندما أكد له مسلم بن عقيل نصرة أهل الكوفة له، انطلق نحوها بهدف إقامة الحكم وإحياء سنة النبي ﷺ، وأنَّ هدف الإمام عَلَيْهِ الْمُصَاطَبَةَ هو الانتصار على الأعداء وإقامة الدولة المنشودة، كما هو شأن باقي الثوار والمجاهدين.

ومن القائلين بهذه النظرية بعض كبار علمائنا، كالشيخ المفيد والشريف المرتضى وبعض المعاصرين^(١٠)، وهو الرأي الشائع بين أهل العامة، فقد قال الشيخ المفيد عَلَيْهِ الْمُصَاطَبَةَ: "... وما بال الإمام الحسين عَلَيْهِ الْمُصَاطَبَةَ صار إلى الكوفة وقد علم أنَّهم يخذلونه ولا ينصرونه وأنَّه مقتول في سفرته تلك... فاما علم الإمام الحسين عَلَيْهِ الْمُصَاطَبَةَ بأنَّ أهل الكوفة خاذلوه، فلسنا نقطع على ذلك؛ إذ لا حجة من عقل ولا من سمع".^(١١).

وقد يلاحظ عليه:

أولاً: إنَّه لا بدَّ من التفريق بين الأمانة والطموح وبين الواقع والمعطيات.

هناك فرق بين ما يتمناه الشخص وبين ما يهدف إليه بحسب المعطيات والواقع، فالمرء يرسم أهدافه بحسب علمه بالمعطيات والواقع الخارجي، نعم إقامة حكم الله في الأرض والشريعة المقدسة أمنية كل مصلح وكل من يدعو إلى دين الله ويحمله همَّ الرسالة -ولذلك ينقل عن الشهيد الصدر عَلَيْهِ الْمُصَاطَبَةَ أنه قال في السيد الإمام عَلَيْهِ الْمُصَاطَبَةَ وثورته بأنه حقَّ حلم الأنبياء-، وهذا ما لا شك فيه، إلا أنَّه ليس هو المدف، لأنَّه لو قلنا بذلك لزم منه، أن لا تتحقق أهداف الثورة الحسينية وأنَّها ذهبت أدراج الرياح!

ولا قائل به.

ثانياً: رعا أصحاب هذه النظرية لم يسلطوا الضوء على مسألة علم الإمام عاشورى، فهو عالم بأهل الكوفة وبما يجري عليه وأنه لن تقوم الدولة الإسلامية حتى غيره من الأقارب والأبعد كانوا عالمين بذلك -والشاهد على ذلك ما سيأتي-، ولذلك لم يضعه هدفاً له، ولا يقال بأنه أقدم على قتل نفسه، بل هو عين التسليم لأمر الله تعالى، كما هو شأن باقى الموصومين عليهما السلام في علمهم باستشهادهم، ثم أصحاب هذه النظرية لم يأتوا بدليل ونص من كلام الموصومين عليهما السلام في هذا الشأن.

ثالثاً: لعل من ذهب إلى هذه النظرية من علمائنا، استند إلى مبني عدم علم الإمام عاشورى بالمواضيعات الخارجية، فالمسألة حينئذٍ مبنائية.

وقد تواترت الأخبار من الفريقين في أن النبي عليهما السلام قد أخبر بأن الإمام الحسين عليهما السلام سيقتل في العراق، ومن ذلك ما أخرجه أحمد أنه قال: «دخل عليّ البيت ملك لم يدخل على قبلها فقال: إن ابنك هذا -يعنى حسيناً- مقتول؛ وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها»^(١٢).

والدليل على أن الإمام الحسين عليهما السلام كان على علم ويقين تامين بنيات القوم وما سيقع عليه، أنه عليهما السلام صرّح بذلك في كل مرحلة من مراحل سيره إلى كربلاء: فتارة قال: «والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة - وأشار إلى قلبه الشريف - من جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يذلّم، حتى يكونوا أذل من فرم الأمة»^(١٣).

وآخرى قال عند خروجه من مكة: «والله لإن أقتل خارجاً منها بشير أحب إلي من أن أقتل داخلاً منها بشير، وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوا لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم، ووالله ليعدن على كا اعتدت اليهود في السبت»^(١٤).

وثلاثة لما وَجَهَ مسلماً إلى أهل الكوفة، قال له: «... وسيقضى الله من أمرك ما يحب ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء»^(١٦).

بل لقد علم بذلك حتى الأبعد أيضاً، ونشير إلى موردين:

المورد الأول: ما أخرجه ابن سعد بإنصاته عن العربان بن الهيثم أنه قال: "كان أبي يتبدى فينزل قريباً من الموضع الذي كان فيه معركة الحسين علـيـهـ الـطـلاقـيـهـ، فكـنـاـ لـاـ نـبـدوـ إـلاـ وـجـدـنـاـ رـجـلـاـ مـنـ بـنـيـ أـسـدـ هـنـاكـ، فـقـالـ لـهـ أـبـيـ: أـرـاـكـ مـلـازـمـاـ هـذـاـ المـكـانـ؟ـ قـالـ: بـلـ غـنـىـ أـنـ حـسـيـنـ يـقـتـلـ هـنـاـ؛ـ فـأـنـاـ أـخـرـجـ لـعـلـىـ أـصـادـفـهـ فـأـقـتـلـ مـعـهـ".

فلما قتل الحسين علـيـهـ الـطـلاقـيـهـ، قال أبي: انطلقوا ننظر هل الأسدى قتل؟

فأتينا المعركة فطوقنا، فإذا الأسدى مقتول^(١٧).

المورد الثاني: عن عبد الله بن شريك العامري أنه قال: "كنت أسمع أصحاب على علـيـهـ الـطـلاقـيـهـ -إـذـ دـخـلـ عمرـ بنـ سـعـدـ مـنـ بـابـ المسـجـدـ- يـقـولـونـ: هـذـاـ قـاتـلـ الحـسـيـنـ بنـ عـلـيـهـ الـطـلاقـيـهـ، وـذـلـكـ قـبـلـ أـنـ يـقـتـلـ بـزـمانـ"^(١٨).

بل حتى النساء في البيوت بلغهن الخبر، وفي ذلك نورد شاهداً:

وهو أنه حينما عزم الإمام الحسين علـيـهـ الـطـلاقـيـهـ، على الخروج من مكة نحو العراق، كتبت إليه عمرة بنت عبد الرحمن، تعظّم عليه ما يريد أن يصنع، وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة، وتخبره أنه إن لم يفعل إنما يُساق إلى مصرعه، وتقول: "أشهد لسمعت عائشة أنها تقول: إنها سمعت رسول الله يقول: يقتل الحسين علـيـهـ الـطـلاقـيـهـ بأرض بابل.

فلما قرأ كتابها قال: فلا بد لي إذاً من مصرعي ومضي"^(١٩).

النظريّة الثالثة: نظرية المحافظة على النفس

أصحاب هذه النظريّة يذهبون إلى أنَّ الإمام علـيـهـ الـطـلاقـيـهـ لم يغادر مكة المكرمة ولا

المدينة المنورة، إلا للحفاظ على نفسه، وقليل من ذهب إلى ذلك، ومنهم أحد الكتاب المعاصرين، فكتب: "لقد كان الهدف من مغادرة الإمام الحسين عليه السلام من المدينة المنورة إلى مكان المكرمة ومنها إلى العراق الحفاظ على النفس، لا الخروج والثورة ولا محاربة الأعداء ولا إقامة الحكم".^(٢٠)

ويلاحظ عليه:

هذه النظرية -إن صح تسميتها بذلك- لا دليل عليها، وهذا الهدف المذكور لا ينبغي أن ينسب إلى مصلح وقائد فضلاً عن أن ينسب إلى أبي الضيم عليه السلام، فكيف يرضى أن تسب عياله وتقتل رجاله حفاظاً على نفسه!! فليست هذه سيرة أهل البيت عليهم السلام، فهم الذين يضحيون بأنفسهم وأرواحهم فداء للدين والعقيدة.

النظرية الرابعة: نظرية الجمع

أصحاب هذه النظرية يذهبون إلى أنه يمكن الجمع بين النظرية الأولى والثانية، حيث إنَّ الإمام عليه السلام من جانبٍ قد بيَّن في خطبه وكتبه وكذلك إخبار الأئمَّة عليهم السلام، بشهادة الإمام الحسين عليه السلام، ومن جانب آخر فإنَّ الإمام الحسين عليه السلام نفسه يؤكِّد على الأهداف الملموسة، مثل الإصلاح وأحقiqته بالخلافة، فقد دفعت هاتان الحقائقتان التأريخيتين إلى أن تظهر آراء مختلفة للجمع بين النظريتين:

الرأي الأول: تحقيق الهدف على مراحل، وأنَّ الإمام الحسين عليه السلام يهدف في المرحلة الأولى إلى إقامة الحكم، ثم أصبح هدفه بعد استشهاد مسلم بن عقيل الشهادة، بدليل أنَّ الإمام الحسين عليه السلام عندما يئس من نصرة أهل الكوفة له بعد سيطرة ابن زياد على الكوفة وقتل مسلم بن عقيل اشتَدَّت اللهجة الحماسية في خطبه، ومَنْ ذهب إلى هذا الرأي الشهيد مطهرى^(٢١).

يلاحظ عليه:

بأنه يلزم منه عدم علم الإمام عليه السلام بما يكون له ويجري عليه، ولا شك في أنه عالم بما يجري له ويقع عليه من مصائب، وهذا الرأي يسائل النظرية الثانية، وتغير خطب الإمام عليه لا يلزم تغيير الأهداف، فهل تغير وتبدل الخطاب يستتبع تغييراً في الأهداف؟، إذ ربما يكون التغير تحفيزاً لمن لم يتحقق به حتى يتحقق به ويفوز بالسعادة أو وإرهاقاً للأعداء.

الرأي الثاني: القصد المباشر وغير المباشر، فإنَّ الإمام عليه قصد الشهادة بشكل مباشر والحكم بقصد غير مباشر، وكان الشهادة جسر ووسيلة للوصول إلى الحكم، وذهب إلى هذا الرأي السيد العسكري^(٢٢).

وقد يلاحظ عليه:

إنَّ هذا الرأي يشابه إلى حدٍ ما النظرية الثانية وهي إقامة الدولة، ويلاحظ عليه ما تقدم في النظرية الثانية من مسألة علم الإمام عليه.

الرأي الثالث: إقامة الحكم مع العلم بالشهادة، فخذلان أهل الكوفة وشهادته كان عالماً بهما قبل حدوثهما، ومع ذلك كانت ثورته لأجل إقامة الحكم، ومن ذهب إلى ذلك الشيخ أستاذى^(٢٣).

ويلاحظ عليه:

كيف يضع الإمام هدفاً وهو يعلم عدم تتحققه!، فلا يضع العاقل أهدافاً وهو يعلم بعدم تتحققها ومع ذلك يسعى لأجلها، هذا نوع عبث، لا يفعله الإنسان العاقل فضلاً عن المقصوم، وجملة ما لوحظ على النظرية الثانية من التفرقة بين الأممية والمهدف يلاحظ هنا.

الرأي الرابع: الجانبي الظاهري والباطني، وذلك جماعاً بين علم الإمام عليه الغيبى بالشهادة وكلامه بشأن إقامة الحكم وإصلاح الأمة، فإنَّ الإمام عليه لما دعا أهل

الكوفة كانت دعوته ظاهرية لا واقعية، لأنّه كان يعلم باستشهاده، وعلى هذا فإنّ ظاهر عمل الإمام علّي عليهما السلام أنّه يريد أن يقيم الحكم في الكوفة ولكنّه تحرك في الباطن بهدف أن يقتل في كربلاء، ومن ذهب إلى هذا الرأي مؤلفوا كتاب (باسداران وحي) ^(٢٤).

يلاحظ عليه:

نعم، نتفق أنّ الإمام علّي عليهما السلام كانت دعوته ظاهرية، إلا أنّ الإمام علّي عليهما السلام لم يكن هدفه القتل في كربلاء، فالقتل بما هو قتل لا يسمّن ولا يغّني من جوع، بل لأجل الإصلاح والحفاظ على الدين من بني أميّة، اللهم إلا أن يكون قصدهم القتل لأجل ما ذكر فحينئذٍ يصحّ نسبة الهدف إلى القتل بما هو موصّل للهدف، وهو من إقامة السبب مقام المسبب.

ويكّن الجمع بين التفسير الثالث للنظرية الأولى وهي الشهادة السياسية والرأي الأخير في نظرية الجمع، وهذا الرأي يمكن أن يجمع كل النظريات بتاويل، فطلب الشهادة هو الوسيلة للوصول إلى الأهداف، وإقامة الدولة قد يكون هدفه الظاهر لا الحقيقي، وهدفه إنّما كان الحفاظ على الدين والإصلاح في أمّة جدّه فقد روى الله جاء رجل إلى الإمام السجاد علّي عليهما السلام يسألـه من المنتصر؟ قال علّي عليهما السلام: «إذا أردت أن تغلـم منْ غلبَ وَدَخَلَ وَثُ الصَّلَاةَ فَأَدْنِ ثُمَّ أَقِمْ» ^(٢٥).

وقد أعلن عن أهداف ثورته في وصيّته الخالدة: «... وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظلماً، وإنّما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمّة جدي محمد علّي عليهما السلام، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسir بسيرة جدي علّي عليهما السلام وسيرة أبي علي بن أبي طالب علّي عليهما السلام...» ^(٢٦).

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

- (١) الكافي، الكليني، ج ١، ص ٢٨٠.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٤، ص ٣٦٤.

(٣) بحار الأنوار، ج ٥، ص ١٢٦.

(٤) مجموعه رسائل اعتقادی (بالفارسي)، للعلامة محمد باقر المجلسي، ص ٢٠٣.

(٥) جواهر الكلام، ج ٢١، ص ٢٩٦.

(٦) أسرار شهادة آل الله، محمد باقر شريف الطباطبائي، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٧) محرق القلوب، للترانقی، ص ٤.

(٨) هنضة الحسين، السيد هبة الله الشهريستاني، ص ٣١.

(٩) زیر آسمان های جهان (بالفارسي)، ص ١٥٥ + ص ٥٦ داریوش شایکان ورامین جهانپکلو.

(١٠) كالشيخ الصالحي نجف آبادی في كتابه شهید جاوید (بالفارسي)، ص ٢١٥.

(١١) المسائل العبرکرية للشيخ الفیدی، ص ٦٩، ٧١.

(١٢) مسند أحمد بن حنبل، ج ٦، ص ٢٩٤.

(١٣) فرم الأمة: خرقة الحيض.

(١٤) تاريخ الطبری، ج ٣، ص ٣٠٠.

(١٥) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٦، ص ٤٢٨.

(١٦) الفتوح لابن أعثم، ج ٥، ص ٣٦.

(١٧) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ج ٦، ص ٤٢١.

(١٨) كشف الغمة لأبي الفتح الاربلي، ج ٢، ص ٩.

(١٩) البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٣١.

(٢٠) هفت سال به جرا صدار آورد (بالفارسي)، الشيخ علي بناء إشتھاردي، ص ١٩٣، ١٩٤.

(٢١) مجموعه آثار شهید مطہری (بالفارسي)، ج ١٧، ص ٣٧١.

(٢٢) معالم المدرستین، للعلامة العسكري، ج ٣، ص ٣٠٨.

(٢٣) سرگذشت کتاب جاوید (بالفارسي)، الشيخ رضا استادی، ص ٣٣٩.

(٢٤) باسداران وحی، للشیخین محمد فاضل اللنکرانی والشیخ شهاب الدین اشرافی، الفصل الرابع، ص ٣٧ - ٣٨.

(٢٥) البحار، ج ٤٥، ص ١٧٧.

.٢٦٦) كشف الارتياط، للسيد محسن الأمين، ص

قال لكونين حسين واننا ين

نظريات في أهداف الثورة الحسينية

الشيخ منصور ابراهيم الجبيلي

أنصار الحسين عليه السلام

ورحلة العشق الإلهي

الشيخ مجید عبدالرسول السهلاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب الله العالمين أبي القاسم

محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تمهيد:

لعل من أبرز خصائص النهضة الحسينية والتي تلفت الأنظار هي حالة الإتقان والجودة العالية في أداء الوظيفة والتكليف، التي اتصف بها كل مكون من مكونات هذه النهضة العظيمة.

وهذا ما نراه جلياً واضحاً على مستوى قيادة الثورة المتمثلة بالحسين عليه السلام وعلى مستوى الجنود والأنصار الذين آمنوا بالحسين عليه السلام واستلهموا كل أفكاره وقيمه، وكذا على مستوى البقية الباقية من حضر هذه الثورة وخرج منها أسيراً.

حيث قام -على وجه المخصوص- الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام وعمته العقيلة زينب عليها السلام بدور الجهاز الإعلامي لهذه الثورة المجيدة حيث تكفل هذا الجهاز

بيان أغراض النهضة الحسينية ومساوى الحكم الأموي وخطورته على حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها.

وبسبب هذا الإتقان والاحترافية العالية في أداء الوظيفة، ولأنَّ الأغراض والقيم التي نهض من أجلها الحسين عليهما السلام هي أرقى الأغراض والقيم التي رفعها الإنسان منذ اليوم الأول لوجوده على هذه الأرض لذلك كتبت هذه الثورة لنفسها الخلود أبد الدهر وحافظت على حيويتها وحرارتها في القلوب وكأنها وقعت بالأمس، وخير بيان لهذا المعنى ما جاء عن الإمام الصادق عليهما السلام أنه قال: «إِنَّ لِقَتْلِ الْحُسَينِ حَرَاءً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، لَا تَبْرُدُ أَبْدًا»^(١).

ونحن في هذا المقال نحاول الوقوف على بعض أحوال أنصار الحسين عليهما السلام وبعض أسرار المواقف العظيمة التي جسّدّها هؤلاء الشهداء يوم عاشوراء مما جعلهم خالدين بخلود الحسين وبخلود هذه القيم الإنسانية الأصيلة.

وما يلفت انتباه الباحث أنَّ معسّر الباطل المتمثل في يزيد لعنة الله وجيشه قد نجح أيّما نجاح في إبراز الشر والإفساد في الأرض في أجلٍ وأوضحت صوره بما هو سر التمايز الصارخ بين الفريقين؟

الإيمان هو السر:

ولعلَّ السر في هذا التمايز الصارخ بين الفريقين -فريق الخير وفريق الشر معسّر الحق ومعسّر الباطل- يكمن في الإيمان بالله واليوم الآخر، الإيمان بالنشر والحساب والجنة والنار، لذلك وجدنا معسّر الحسين عليهما السلام يتشوّقون للشهادة طمعاً في مرضاة الله وإحقاقاً للحق ووجدنا معسّر يزيد يلهثون خلف حطام الدنيا الزائل محاولين درس كل قيم الخير.

فالإيمان إذاً هو العنصر الفاعل والباعث الحقيقي نحو متعلقاته، هو الإكسير الذي

أسر حياة الشهداء يوم عاشوراء وحياة سيدهم الحسين بن علي سلام الله عليه وجعله يردد وهو في أشد اللحظات صعوبة وقسوة عليه -وذلك حين استشهاد طفله الرضيع مذبوحاً على صدره-: «هَوْنَ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بَعْنَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ هَذَا يُؤْضِيكَ فَخُذْ حَتَّى تَرْضَى»، كلمات قليلة ولكنها ذات معانٍ سامية وتحتفي رحمةً امتدّت ثمانية وخمسين عاماً هي سنين عمره الشريف، كلمات تُمثل حالة الفداء في الله بحيث لا يعود للنفس والمال والولد من قيمة تذكر في جنب الله، فما دام الله هو الأمر وهو الأخذ لا يعود لشيءٍ كبر أم صغر أهمية تذكر وهكذا حتى لحظات استشهاده عليه السلام كان لسان حاله يقول:

تركت الخلق طرًا في هواك	وأيتمت العيال لكي أراك
فلو قطعني بالسيف إربا	لما مال الفؤاد إلى سواك

حال أنصار الحسين:

وأما أنصاره وأهل بيته الذين شاركوه في ثورته فقد كانوا على قدر كبير من الوعي وال بصيرة بالظرف التاريخي الذي يعيشونه وعلى معرفة تامة بأنّ الحسين عليه السلام يمثل الامتداد الطبيعي لرسول الله عليه السلام وأنّ الفلاح كلّ الفلاح هو في الوقوف معه ومؤازرته ولو أدى ذلك للاستشهاد بين يديه.

وينبغي أن نشير إلى أنّ هؤلاء الأنصار يمثلون صفة المسلمين آنذاك وهم قلة قليلة سواء على مستوى البيت الهاشمي أو عموم المسلمين وهنا يكمن التلّق والوعي فإنّ رأي الغالبية يمثل ضغطاً آخر على النفس ويوجب تشكيكاً في الخيار المتخد وخاصةً إذا كان هذا الخيار قد يؤدي إلى القتل في نهاية المطاف؛ لذلك وجدنا أنّ الكثير أبدى تعاطفه مع الحسين في بداية الأمر والتحق برकابه ولكن عندما عرف بأنّ الحسين يضيي لمصرعه آخر حفظ نفسه على أن يرخصها فداء للحسين عليه السلام، وهذا المعنى يدلّ بوضوح على عظيم المنزلة التي بلغها هؤلاء

الشهداء حيث شاركوا الحسين عليه السلام في رعي شجرة الإسلام وحفظ دوحته المباركة.

أنصار الحسين ورحلة العشق الإلهي:

امتازت مجموعة أنصار الإمام الحسين عليهما السلام بأنّها تكونت من خليط استثنائي من الناس ولم يظهر الجوهر الحقيقي والقيمة الفعلية لهؤلاء الأبطال إلا في يوم العاشر من المحرم.

فقد ضمّت هذه الجموعة الكبير والصغير، السيد والعبد، الغني والفقير، العالم والكاسب، والعري والأعمى، كما أنّ حالم من حيث الانتماء الفكري والعقائدي وقربهم وبعدهم من أحكام الشريعة الإسلامية ليس واحداً، بل إنّ ظاهر علاقتهم بالله مختلف أيضاً فمنهم من هو صلب الإيمان ونافذ البصيرة، ومنهم الجندي في ركب الظالمين، ومنهم من يعتقد أنه عثماني الهوى^(٢) بل ادعت بعض المصادر أنّ وهب بن وهب وهو أحد الشهداء بين يدي الحسين كان ناصريّاً حتى الأيام الأخيرة من حياته^(٣) وأسلم على يد الحسين في الطريق إلى كربلاء. وهكذا باقي الأنصار فقد كانوا مختلفين على مستوى السمات الشخصية، ولكنّهم يوم عاشوراء رأيناهم متّحدين في الصفات والسمات فقد ظهر المعدن الأصيل وظهرت الحقيقة الواحدة التي ينتسبون إليها فلا عجب أن يضع الحسين عليهما السلام خده الشريف على خدّ جون مولى أبي ذر رضوان الله عليهما ويؤبّنه ويدعوا له قاماً كما يفعل مع ابنه علي الأكبر شبيه رسول الله عليهما السلام وحفيده وكما يفعل مع القاسم وحبيب بن مظاهر فقد انعدمت الفوارق وظهرت الحقائق.

إذاً هو ذوبان للخصوصيات الفردية فكلّهم على مستوىً واحد من الصبر والبصيرة والفناء في الحسين عليهما السلام والشوق للشهادة بين يديه حتى ذكر الطبراني في تاريخه نقاً عن محمد بن قيس بن الأشعث عليه لعائن الله وهو من القادة البارزين في جيش عمر بن سعد في واقعة عاشوراء أنه قال:

”أن أصحاب الحسين عليه السلام لما رأوا أنهم قد أكثروا، وأنهم لا يقدرون على أن يمنعوا حسيناً ولا أنفسهم تنافسوا في أن يقتلوا بين يديه“.

وينقل الطبرى نفسه في موضع آخر من كتابه: ”أنه عندما اشتد القتل في جيش الأمويين صاح عمرو بن الحاج عليه لعائن الله وكان قائداً للجند يا حمفى أتدرؤن من تقاتلون؟ فرسان مصر، قوماً مستميتين، لا يبرُّن لهم منكم أحد بل أهجموا عليهم هجمة رجل واحد“.

ونحن عندما نقف على أحوالهم وموافهم في ذلك اليوم العصيب قد نتصور مبررات كثيرة لكي يقف العباس بن علي وأخوه من أم البنين عبد الله وعثمان وجعفر هذه المواقف المشرفة وفق قياس الأخوة والدم وهكذا باقي إخوة الحسين الذين استشهدوا معه في كربلاء فقد ذكرت المصادر التاريخية^(٤) أن للحسين أخوين آخرين استشهدوا معه وهم أبو بكر بن علي و محمد بن علي الملقب بالأصغر وهكذا نجد المبررات ل موقف علي الأكبر والقاسم وأخوه وكذلكبني عقيل وأبناء عبد الله بن جعفر، ولكن ما هي مبررات الموقف الذي اتخذه زهير بن القين الذي تمنى القتل دون الحسين عليه السلام ولو تكرر ألف مرة!

ما هي مبررات جون مولى أبي ذر لكي يستقبل السيف بشوق ولهفة!

ما هي مبررات الحر الذي خرج يطلب الدنيا فإذا هو أحρص الناس على الموت والشهادة بين يدي الحسين عليه السلام. لذلك لا ينبغي أن تدرس حادثة عاشوراء دراسة تاريخية سردية بل دراسة تدبر وتحليل.

على أن الملاحظ من كلمات أنصار الحسين -من أخيته وأهل بيته- أن نصرتهم للحسين لم تكن بداعي الأخوة أو الحمية النسبية وإنما كانت بداعي الدفاع عن دين الإسلام وإياناً بالحق والعدل الذي يمثله الحسين عليه السلام والشواهد من كلمات العباس بن علي عليه السلام وعلي بن الحسين الأكبر عليه السلام والقاسم بن الحسن عليه السلام.

وغيرهم كثيرة ومشهورة وتدلّ بوضوح على أنّ الحمية العائلية ليس لها أية أهمية في قاموس هؤلاء العظام.

إذاً عظمة عاشوراء هي من عظمة أبطالها ورقي مبادئها ومستوى الصمود الذي أبدوه وهم يواجهون ذلك الجيش الجرار الذي ضمّ في صفوفه أراذل الناس وأكثر الناس خسّة وبطشاً.

إنّ حادثة عاشوراء تكون مبتورة بدون فصلٍ باسم العباس بن علي، وفصل باسم جون مولى أبي ذر، وحبيب وزهير بن القين وغيرهم.

كما أنّ عاشوراء ليست وليدة الجهد والتضحيات الحسينية فقط وإن كان هو سلام الله عليه مجرّر كلّ تلك الطاقات الكامنة في أعماق أصحابه بل وليدة نجاحات كلّ عنصر في موقعه الخاص.

وستتناول بعض غاذج الفداء والإباء التي جسّدّها أنصار الحسين عليه السلام، ولكن قبل ذلك نذهب إلى القرآن الكريم للبحث عن أخبار أو إشارات لهذه الملحة التاريخية كذلك نبحث في تعاطي المعصومين وتصنيفهم لأنصار أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

أنصار الحسين عليه السلام في القرآن الكريم:

عندما نتصفح القرآن الكريم ونتمعن في آياته ونبحث فيها عن واقعة عاشوراء وعن الملحة الحالدة التي سطّرها الأنصار فإنّنا قد لا نجد لهذه الحادثة من وجود، وليس ذلك لكون القرآن متقدّماً على هذه الحادثة بل لأنّ الله أراد من هذه الحادثة أن تكون محطةً فارقة على مستوى الأمة الإسلامية وامتحاناً وفتنة بها يميز الخبيث من الطيب والمسلم من المنافق فلا شك في أنّ مودةً أهل البيت عليهم السلام - التي نطق بها القرآن وأكّد عليها الرسول محمد صلوات الله عليه وآله - هي أكبر من لقلقة لسان أو دعوى

فارغة بل هي عقيدة راسخة في النفس وانقياد تام وهذا مقتضى التعبير القرآني بالملودة، فإن المودة كما يعرّفها أهل الاختصاص هي خالص الحب وألطافه وأرقه الذي لا يرتخي منه الحب منفعة من محبوه غير القرب منه^(٥).

إذا مثّلت واقعة عاشوراء حالة الصدمة الشديدة لل المسلمين وقد رأيناها بوضوح على ملامح الحرّ الرياحي وعمر بن سعد الدين وقفوا في حيرة وذهول وهما يخierان أنفسهما بين الجنة والنار فاختار الأول الجنّة واختار الثاني النار.

ثم إننا إذا جئنا للقرآن الكريم وتعنّا فيه أكثر نجد نماذج مشابهة لأنصار الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ من حيث الثبات والصبر على الحق حتى آخر لحظة ولو كانت النتيجة هي القتل والفناء.

ومن أمثلة ذلك أصحاب الكهف الذين ذكرهم القرآن الكريم بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمَ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَّابًا * إِذَاً أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبُّنَا آتَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيَّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَّاً * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِتَعْلَمَ أَيُّ الْحَزَبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَيْثُوا أَمَدًا﴾^(٦) هؤلاء الفتية الأبطال الذين اختاروا حياة المواجهة مع الظالمين وإن اقتضت السجن والتشريد على حياة الجاه والقصور في ظلّ ال欺ّ والظلم فكان حقاً على الله أن ينزل فيهم قرآنًا يقرأ حتى يوم القيمة ونلاحظ أن الآيات التي نزلت فيهم لم تعتن ببيان بعض التفاصيل التي قد يراها المخاطب مهمة بل منعت الكلام فيهم بغير ما هو ظاهر من القرآن فيقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كُلُّهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُلُّهُمْ رَّجُمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كُلُّهُمْ قُلْ رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٧) فأراد الله أن يسلط النور فقط على العبر من هذه القصة التاريخية والتي من أهمّها رفض الباطل والهجرة إلى الله والطمع في رضوانه.

كذلك نجد هذا المعنى أيضاً في قصة السحرة الذين جلبهم فرعون من أنحاء مملكته ليحضوا ما اسمه سحر موسى، فكانت النتيجة أن طلقوا الدنيا التي يعبدون والتحقوا بقافلة العاشقين، إنّ قصة هؤلاء الذين كانوا ينون أنفسهم بأعلى المناصب في حكومة الفرعون -كما يصرح القرآن بذلك فيقول: ﴿وَجَاءَ السَّحْرُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لِمِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾^(٨) - هي قصة فريدة شاهدة على نصر الله لأوليائه من جهة، ومن جهة ثانية أنّ نور الإيمان عندما يتغلغل وينفذ في نفس الإنسان يكون هذا الإنسان أثبت وأقوى من الجبال الرواسي، تزول الجبال ولا يزول، بل إن الأئيام الحقيقي بالله هو الضالة التي يقضى الإنسان حياته بحثاً عنها فإذا وجدها لم يلتفت لغيرها، وهكذا كان فإنّ إيمانهم المفاجئ برب موسى وهارون بعد أن تجلّت القدرة الإلهية لهم بذلك الشعبان الذي أكل ما يأكلون جعل الفرعون يتخبّط في كلامه فهو يقول للسحرة: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمِنْتُمْ بِهِ قُلْ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرُ مَكْرُّتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٩)، فهل الإيمان الذي هو شعور قلبي تكويني يحتاج للإذن؟ وهل سيأخذ لهم ويقرّ بهزيمته المدوية؟ ولكن هي المزية النفسية والفشل الذريع أمام القدرة الإلهية.

وكم كان الثمن غالياً جراء هذا الإيمان وكم كان يقينهم بالله متيناً وصافيًّا بحيث لم يظهر عليهم أي خوف أو وجل مما يتطلّبهم من عذاب وبطش، بل قالوا له: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١٠) ويتحدّث القرآن في شاهد آخر عن مستويات راقية من العرفان بالله وصل إليها هؤلاء السحرة ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا تَنِيمُ مِنَ إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبِّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾^(١١). وهكذا تجلّى النصر الإلهي لنبيه موسى في هذا المقطع الزمانى الحساس والمهم من دعوته وقد كتب السحرة المؤمنون فصلاً مهما من فصول هذه القصة الخالدة العظيمة.

إِذَا قَصَّةُ أَهْلِ الْكَهْفِ شَاهِدَتْ قَصَّةَ الْأَنْصَارِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ مِنْ حِيثِ الْقِيَامِ بِالْحَقِّ
وَالشُّورَةِ عَلَى الْبَاطِلِ وَالْهِجْرَةِ إِلَى اللَّهِ وَالتَّحْرِيرِ مِنَ الْأَغْلَالِ وَالْقِيُودِ الَّتِي تَكَبَّلَ بِهَا
الْدُّنْيَا رُوحُ الْإِنْسَانِ وَجَسْدُهُ.

وَكَذَلِكَ الْمُشَابِهَةُ مَعَ قَصَّةِ السَّحْرَةِ فِي عَدَمِ الْاِسْكَانَةِ لِلظَّالِمِ وَالصَّابِرِ وَالظَّمِعِ فِي
رَضْوَانِ اللَّهِ وَنَعِيمِهِ وَلَوْ أَدْعَى ذَلِكَ لِأَبْشُعِ صَنْوَفِ الْقَتْلِ وَالْتَّعْذِيبِ.

أَنْصَارُ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الرِّوَايَاتِ:

كَثِيرَةٌ هِيَ الرِّوَايَاتُ الَّتِي تَحَدَّثُ عَنْ مَقَامِ أَنْصَارِ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْهَا مَا جَاءَ
عَلَى لِسَانِ الْإِمَامِ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفْسُهُ عِنْدَمَا خَطَبَ فِيهِمْ لِيَلَةَ الْعَاشِرِ فَقَالَ فِيمَا قَالَ:
«إِنِّي لَا أَعْلَمُ لِي أَصْحَابًا أَوْفَى وَلَا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِي»^(١٢)، وَلَا شَكَ فِي أَنَّ التَّعْبِيرَ بِأَنَّهُمْ
الْأَوْفَى وَالْأَخْيَرَ الصَّادِرُ مِنَ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ لِهِ دَلَالَتِهِ الْخَاصَّةِ كَذَلِكَ مَا جَاءَ فِي الْزِيَارَةِ
الرَّجِيبِيَّةِ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَئِمَّهَا الرَّبَّانِيُّونَ، أَنْتُمْ خَيْرُ الْلَّهِ، اخْتَارَكُمُ اللَّهُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ
السَّلَام»^(١٣)، وَكَمَا جَاءَ فِي زِيَارَةِ النَّاحِيَةِ الْمَقْدِسَةِ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا خَيْرَ أَنْصَارِ».

كَذَلِكَ الرِّوَايَةُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ: سَأَلَتِ الْإِمَامَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيْفَ كَانَ
أَصْحَابُ الْإِمَامِ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْتَقْبِلُونَ الْمَوْتَ؟ فَأَجَابَ قَائِلًا: «إِنَّهُمْ كُشِّفُ لَهُمْ
الْعِطَاءُ حَتَّىٰ رَأُوا مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ»^(١٤).

وَجَاءَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ عَنِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ عِنْدَمَا أَذْنَ الْإِمَامِ
الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ أَنْ يَتَرَكُوهُ وَحِيدًا، فَلَمْ يَوَافِقُوهُ عَلَىٰ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُمْ
الْحَسِينُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّكُمْ تُقْتَلُونَ غَدًا كَذَلِكَ، لَا يُفْلِتُ مِنْكُمْ رَجُلٌ».

قَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنَا بِالْقَتْلِ مَعَكَ.

ثُمَّ دَعَا، وَقَالَ لَهُمْ: «ارْفِعُوا رُؤُوسَكُمْ وَانْظُرُوا». فَجَعَلُوا يَنْظَرُونَ إِلَىٰ مَوَاضِعِهِمْ
وَمَنَازِلِهِمْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَهُوَ يَقُولُ لَهُمْ: «هَذَا مَنْزِلُكَ يَا فُلَانُ، وَهَذَا قَصْرُكَ يَا فُلَانُ، وَهَذِهِ

درَجْتُكَ يا فُلانُ».

فَكَانَ الرَّجُلُ يَسْتَقِيلُ الرِّمَاحَ وَالسُّيُوفَ بِصَدْرِهِ وَوَجْهِهِ لِيَصِلَّ إِلَى مَنْزِلِهِ مِنَ
الجَنَّةِ^(١٥).

فلعلّ هذا سرّ حالة الاطمئنان والسكينة وإشراق الوجه التي كان عليها الأنصار
وهم يلاقون الموت، ونجد هذا المعنى جلياً واضحاً في كلمة للإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث
يقول: «وَكَانَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ وَبَعْضُ مَنْ مَعَهُ مِنْ خَصَائِصِهِ، تُشَرِّقُ الْوَاهِمُ، وَتَهَدُّ
جَوَارِحُهُمْ، وَتَسْكُنُ نُفُوسُهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضِنِ: انْظُرُوا، لَا يُبَالِي بِالْمَوْتِ»^(١٦).

كما لُقْبَ الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَيِّدِ الشَّهَادَةِ، فإنّ أصحابه أيضًا عُدُوا من سادة
الشهداء، كما قال رسول الله ﷺ في رواية في معرض إشارته إلى مستقبل الإمام
الحسين عَلَيْهِ وَقَضَيَّةُ كربلاء: «تَنْصُرُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أُولَئِكَ مِنْ سَادَةِ شَهَادَةِ
أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١٧).

وقال الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في حق عمه العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ لِلْعَبَاسِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارِكَ
وَتَعَالَى مَنْزِلَةٌ يَغْيِطُهُ بِهَا جَمِيعُ الشَّهَادَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١٨).

كما أنّ كلماتهم التي دونها التاريخ بأحرف من نور تشهد على المقام السامي
وببلغتهم قمة اليقين الذي وصلوا إليه؛ فهذا سعيد بن عبد الله الحنفي يخاطب الإمام
الحسين عَلَيْهِ بِتَلْكَ الكلمات: "وَاللَّهِ، لَوْ عَلِمْتُ أَنِّي أُقْتَلُ، ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أَحْرَقْ حَيَا، ثُمَّ
أَذْرُ، يُفْعَلُ ذَلِكَ بِي سَبْعِينَ مَرَّةً مَا فَارَقْتُكَ حَتَّى أَلْقَى حِمَامِي دُونَكَ، فَكَيْفَ لَا أَفْعَلُ
ذَلِكَ! إِنَّمَا هِيَ قَتْلَةُ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ هِيَ الْكَرَامَةُ الَّتِي لَا انْقِضَاءَ لَهَا أَبَدًا!"^(١٩).

وكذلك موقف آخر لزهير بن القين، حيث يقول: "وَاللَّهِ، لَوْدِدْتُ أَنِّي قُتِلْتُ، ثُمَّ
نُشِرتُ، ثُمَّ قُتِلتُ حَتَّى أُقْتَلَ كَذَا أَلْفَ قَتْلَةً، وَأَنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ بِذَلِكَ القَتْلَ عَنْ نَفْسِكَ وَعَنْ
أَنْفُسِ هُؤُلَاءِ الْفِتَنَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ".

كذلك ما جاء في حال الأخيون الجابرية الهمدانيين سيف ومالك -أخوان من الأم-، أنهم جاءوا إلى الحسين عليهما السلام يوم العاشر وهو يبكيان، فقال لهم الحسين عليهما السلام: «أي أباً أخوي ما يبكيك؟ فوالله إني لأرجو أن تكونوا بعد ساعة قريري العين»، فقلالا: جعلنا الله فداك، لا والله ما على أنفسنا نبكي، ولكن نبكي عليك نراك قد أحطت بك ولا نقدر على أن ننفك بأكثر من أنفسنا، فقال الحسين عليهما السلام: «جزاك الله يا أبي أخوي عن وجدك من ذلك ومواساتك إلّا أحسن جزاء المتقين»^(٢٠).

ولا شك في أن هذه الكلمات والمقابل التي صدرت عن أفراد غير مجبورين على اختيار طريق الشهادة، حيث من الممكن أن يسلكوا سبيل العافية وأن يواصلوا حياتهم بابتعادهم عن الإمام، إلا أنّا وجدناهم أشوق الناس للقتل والشهادة. فإن دل ذلك على شيء فإثما يدل على استحکام إيمانهم وأن حركتهم يضئها نور اليقين، من هنا نسلط الضوء على مقتطفات من حياة مجموعة من الشهداء كنموذج تضيء لنا الطريق.

١. مسلم بن عقيل بن أبي طالب:

وهو ابن عم الحسين وسفيره إلى أهل الكوفة. وقتل قصته معلماً من معالم واقعة عاشوراء حيث ضرب للأجيال أروع معاني البطولة والانقياد التام لتعاليم الإسلام فقد خرج إلى الكوفة لأخذ البيعة للحسين عليهما السلام، وبالفعل نجح فيأخذ البيعة وتنظيم الصفوف في مواجهة الحكم الأموي، ولكن بسبب اضطراب المجتمع الكوفي آنذاك وسيطرة عبيد الله بن زياد وإلى الكوفة الجديد على الأمور حيث استعمال رموز الكوفة ورؤساء العشائر فيها من قبيل محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، وعمر بن الحاج الزبيدي، وعمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري وغيرهم، وكذلك سياسة البطش والفتوك التي انتهجهها ضد كل من يثبت أنه يناصر الحسين في ثورته كل ذلك أدى إلى فشل المجتمع الكوفي في الاستفادة من حركة

مسلم بن عقيل مما خلق الظروف المؤاتية لسيطرة الأمويين على هذا المجتمع وما تبع ذلك من ويلات ومصائب على هذا المجتمع^(٢١).

٢. قيس بن مسهر الصيداوي:

كان قيس بن مسهر أحد أصحاب الإمام الحسين الأوفياء الذين عملوا في حمل الكتب والرسائل بين الحسين وأهل الكوفة فكان له الدور المشهود في نهضة أهل الكوفة حتى قبض عليه الحسين بن قيم وهو في طريقه إلى الكوفة لإيصال كتاب إلى مسلم بن عقيل فسلّمه إلى عبيد الله بن زياد، فأمره بالصعود إلى أعلى القصر وسبّ الحسين والتبرّي منه أمام الناس وكذلك حتّى الناس على التفرق عن مسلم بن عقيل فوافق على ذلك، وعندما صعد خاطب الناس وقال: هذا الحسين بن علي خير خلق الله وأنا رسوله إليكم فأجيبيوه وأطيعوه وانصروه وأخذ بلعن عبيد الله بن زياد فأمر اللعين جلاوزته برميه من أعلى القصر فرمي فمات عليه السلام^(٢٢) ويعتبر قيس بن مسهر من الشهداء الأول في النهضة الحسينية.

٣. زهير بن القين البجلي:

وقد كان -كما يعتقد- عثماني الهوى كما تذكر بعض المصادر^(٢٣) وهو أحد أبرز أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وقد كان يتولى قيادة ميمنة جيش الإمام يوم عاشوراء.

ينقل المؤرخون أنّ زهيراً وفي طريق عودته من الحج عرف بوجود قافلة الحسين في نفس الطريق فأخذ بالتحرج عن لقاء الإمام رغبة في الانزواء والتعاطي السلبي مع المشاكل التي يضج بها العالم الإسلامي آنذاك حتى جاءه رسول الحسين فذهب إليه وهو كاره لذلك، وما لبث حتى عاد من اللقاء ووجهه يتهلل فرحاً وقد وصفت زوجته هذا المشهد فقالت: لقد خرج للقاء الحسين وهو كاره وعاد وهو

مشرق الوجه قائلاً أذهي مع إخوانك، فإني قد وطنت نفسي على الموت مع الحسين عليهما السلام. وقال لمرافقه وأصحابه: من أحب منكم الشهادة فليأتي معي ومن لم يحب فلينصرف عننا^(٢٤). ولم تذكر المصادر ما الذي جرى في هذا اللقاء الذي دخله زهير بحقيقة معينة وخرج منه بحقيقة أخرى.

ينقل الطبرى في تأريخه عن ابن مخنف: "لما عارض الحر بن يزيد الحسين عليهما السلام فى الطريق وأراد أن ينزله حيث يريد فأبى الحسين عليه، ثم إن سايره، فلما بلغ ذلك حسم خطب أصحابه خطبته التى يقول فيها: «أما بعد، فإنه نزل بنا من الأمر ما قد ترون...» إلخ، فقام زهير وقال لأصحابه: أتكلمون أم أتكلّم؟ قالوا: بل تكلّم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: قد سمعنا هداك الله يا ابن رسول الله مقالتك، والله لو كانت الدنيا لنا باقية، وكنا فيها مخلدين، إلا أن فراقها فى نصرك ومواساتك، لأنّنا النهوض معك على الإقامة فيها.

فدعوا له الحسين وقال له خيراً^(٢٥).

موقف آخر لزهير يوم العاشر يخاطب الحسين بقوله: "يا ابن رسول الله! لو ددت أنني قلت ثم نشرت ثم قلت ثم نشرت، يفعل بي ذلك سبعون مرة على أن أتركك ما تركتك".

٤. الحر بن يزيد الرياحي:

وهو قائد عسكري كوفي مهم جعله عبيد الله على ألف فارس مهمتهم منع الحسين من دخول الكوفة، ويستفاد من بعض كلماته أنه لم يكن يعتقد أن الأمور ستصل إلى الحرب بل سرعان ما سيكون هناك صلحًا بين الإمام الحسين وحكومة بني أمية، فأراد أن يصيّب بعض المصالح الدنيوية من بني أمية بوقوفه الجامل لهم، ولكن عندما علم أن الغرض هو اجتثاث البيت النبوى وقتل عترة رسول الله عليهما السلام وجد نفسه أمام حقيقتين لا ثالث لهما، إما الجنة وإما النار، فكان يقول: "والله إنّي

أخير نفسي بين الجنة والنار، ووالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت^(٢٦)،
فقد المصالح الأخروية على المصالح الدنيوية والتحق بقافلة الحسين علیه السلام.

٥. جون مولى أبي ذر الغفارى:

وكان عبداً أسوداً تشرب الولاء للبيت الهاشمي من سيده الصحابي الجليل أبي ذر الغفارى رضوان الله عليه، فخامر هذا الولاء والفاء لحمه ودمه؛ لذلك حين طلب منه الإمام الحسين الانصراف وعدم تعريض نفسه للقتل خاطب الحسين قائلاً: "إني في الرخاء أحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم، والله إن ريحى لمتن وإن حسبى للثيم ولوني لأسود فتنفس على بالجنة، فيطيب ريحى ويشرف حسبى ويبين وجهى، لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود بدمائكم"^(٢٧) فما لبث هذا المولى الصادق حتى قتل بين يدي الحسين علیه السلام فجاءه الحسين ووضع خده على خده ودعا له قائلاً: «اللهم بيض وجهه، وطيب ريحه واحشره مع الأبرار، وعرف بيته وبين محمد وآل محمد»^(٢٨).

٦. سعيد بن عبد الله الحنفى:

وهو من الوجوه التي ناصرت الحسين علیه السلام من بداية ثورته؛ حيث ينقل الطبرى في تاريخه أن سعيد بن عبد الله كان من الذين دعموا حركة مسلم بن عقيل في الكوفة وقتل ذلك بكلمة ألقاها وحرّض فيها الناس على البيعة لمسلم بن عقيل والقيام والثورة ضدّ بنى أمية، وبعد تغير الظروف في الكوفة وانقلاب الوضع رأساً على عقب اختفى عن الأنوار ليظهر ثانية مع الحسين في كربلاء ليسجل بكلماته المدوية مشهداً قل نظيره من الإقدام والشجاعة واليقين بالله عزوجل فقد نقل المؤرخون أنه قال للحسين علیه السلام حين أمر أصحابه بالانصراف عنه: "والله لو علمت أنى أُقتل ثم أحياء ثم أحرق حياً ثم أذْر في الهواء يفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك حتى

ألقى حمامي دونك"، وهكذا كان حيث كان رضوان الله عليه أحد الذين وقفوا يصدّون السهام عن الحسين حين كان يصلّي فجعل جسمه درعاً للحسين^(٢٩).

٧. نافع بن هلال الجمري:

هو نافع بن هلال بن نافع المدحجي الجمري وكان سيداً شريفاً في قومه ومن وجوه الشيعة في الكوفة ومن الذين تشرّبوا الولاء والإخلاص لأهل البيت علیهم السلام، وهو من الأبطال المميزين الذين جسدوا بمواففهم البطولية أروع معاني التضحية والفاء والإخلاص لأهل بيته علیهم السلام.

فقد شارك نافع مع أمير المؤمنين علیهم السلام في حربه الثلاث كما كان من قادة جيش الإمام الحسن علیهم السلام، وقد التحق بالإمام الحسين علیهم السلام من بداية مسيرته حتى استشهد معه يوم العاشر.

ذكر المؤرخون أنه من قراء القرآن والحديث ومن حملة علوم أمير المؤمنين علیهم السلام^(٣٠).

ورد في البحار: "لما ضيق الحر على الحسين علیهم السلام خطب أصحابه بخطبته التي يقول فيها: أما بعد، فقد نزل من الأمر ما قد ترون وأن الدنيا قد تنكرت وأدبرت... إلخ. قام إليه زهير فقال: قد سمعنا هداك الله مقالتك... إلخ. ثمَّ قام نافع فقال: يا بن رسول الله! أنت تعلم أنَّ جدك رسول الله علیهم السلام لم يقدر أن يشرب الناس محبيه، ولا أن يرجعوا إلى أمره ما أحب، وقد كان منهم منافقون يعدونه بالنصر، ويضمرون له الغدر، يلقونه بأحلى من العسل، ويختلفونه بأمر من الحنظل حتى قبضه الله إليه، وأنَّ أباك علياً قد كان في مثل ذلك، فقوم قد أجمعوا على نصره، وقاتلوا معه الناكثين والقاسطين والممارقين، وقوم خالفوه حتى أتاه أجله ومضى إلى رحمة الله ورضوانه، وأنت اليوم عندنا في مثل تلك الحالة، فمن نكث عهده وخليع نيته فلن يضر إلا نفسه والله مغن عنه، فسر بنا راشداً معافي، مشرقاً إن شئت وإن شئت مغرباً، فو الله ما أشفقنا من قدر

الله، ولا كرهنا لقاء ربنا، فإنّا على نياتنا وبصائرنا، نوالى من والاك ونعادى من عاداى" (٣١).

وموقف آخر يذكره الطبرى يبين عظمة هذه الشخصية الاستثنائية في جيش الإمام الحسين عليهما السلام قال الطبرى: "من الماء فى الطف على الحسين عليهما السلام، فاشتدّ عليه وعلى أصحابه العطش، فدعا أخاه العباس، فبعثه فى ثلاثة فارساً وعشرين راجلاً وأصحابهم عشرين قرية، فجاءوا حتى دنووا من الماء ليلاً واستقدم أمامهم باللواء نافع بن هلال فحسن بهم عمرو بن الحاج الزبيدي - وكان حارس الماء - فقال: من؟ قال: من بني عمّك. فقال: من أنت؟ قال: نافع بن هلال. فقال: ما جاء بك؟ قال: جئنا نشرب من هذا الماء الذى حلامونا عنه، قال: اشرب هنئاً. قال: لا والله لا أشرب منه قطرة والحسين عطشان ومن ترى من أصحابه. فطلعوا عليه، فقال: لا سبيل إلى سقى هؤلاء، إنما وضعنا بهذا المكان لنمنع الماء. فلما دنا أصحابه منه قال: أملئوا قربكم.

فنزلوا فملئوا قربهم، فثار عمرو بن الحاج وأصحابه، فحمل عليهم العباس بن على عليهما السلام ونافع بن هلال الجملى ففرقواهم وأخذوا أصحابهم، وانصرفوا إلى رحالهم، وقد قتلوا منهم رجالاً" (٣٢).

الخاتمة: عاشوراء للعبرة والعبرة

إننا ونحن نستمع إلى قصص الأنصار يوم عاشوراء قد يخطر في أذهاننا أنَّ هذه المواقف حصلت اتفاقاً أو جراء العاطفة الجياشة نحو الحسين أو بمقتضى خيار شخصيٍّ أو حزبيٍّ أو فئويٍّ ولم يكن من المناسب لكرامة الرجل العربي التراجع عنه. ولكننا عندما نتمعن قليلاً نكتشف غير ذلك وأنَّ خيار الأنصار كان هو الانقياد التام لتعاليم الإسلام وطاعة مطلقة الله عزوجل ورسوله الكريم، فلم يكن غايتهم رضا الحسين عليهما السلام وأهل بيته، بل رضا الله وأداء التكليف وما الحسين عليهما السلام ورضاه إلا علامة على الطريق المؤصل إلى رضا الله عزوجل ويدلل على ذلك كلماتهم التي

خلّدتها التاريخ فهي كاشفة عن مراتب عالية من العرفان وشهود الحقائق الغيبية التي وصلوا إليها.

لقد كانت مبررات التخاذل والانصراف عن الحسين موجودة إلا أنّ وعي اللحظة كان سيد الموقف، لقد وجد الأنصار ضالتهم في العروج إلى الله وتحصيل أعظم المكانة والزلفى لديه وكان ذلك من خلال الصبر وتحمل المشاق الجسيمة.

إنّ الصبر مع الحسين حتى اللحظات الأخيرة هو أعظم مجاهدة للهوى والشيطان لذلك لم ينالوا الشهادة إلا وهم في أعلى مرتب الطهارة والسمو فاستحقوا كلّ هذه المزايا والألقاب الدالة على عظيم المنزلة، وهذا المستوى من الصبر والمجاهدة لم يكن بلا مقدمات بل هو النتيجة.

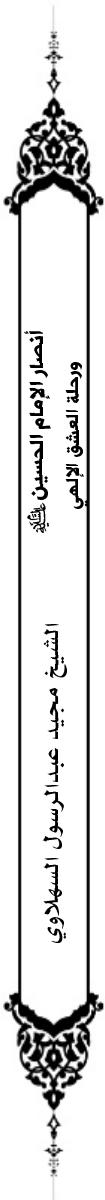
وهذا واضح وجلّي لجموعة من الشهداء كالعباس بن علي وعلي بن الحسين الأكبر وحبيب بن مظاهر ونافع بن هلال الذين كتب التاريخ عنهم الشيء الكثير حقّ قبل واقعة عاشوراء ولكن ما ظهر لغيرهم من الشهداء يثبت بأنّهم لم يكونوا أقلّ شأنًا منهم.

كذلك العاقبة السيئة لعمر بن سعد وشر بن ذي الجوشن ومحمد بن الأشعث وغيرهم من قتلة الإمام الحسين عليهما السلام لم تكن وليدة الصدفة أو لحظة من لحظات الطيش والجهالة بل هي نتيجة طبيعية وحصاد لما في النفس من بذور خبيثة ﴿وَالْبَذَلَةُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ يَأْذِنُ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾^(٣٣).

ولا شك في أنّ أهمّ بذور الشر التي لا يأمن الإنسان منها هو حبّ الدنيا والشهوات واتباع الهوى، ولا شك في أنّ أهمّ بذور الخير في النفس هو الزهد والقناعة واتباع العقل والفطرة فإنّ من يتحلى بالصفات الأولى لا يأمن العاقبة السيئة والفشل في أيّ لحظة ومن يتحلى بالصفات الثانية يكون مؤهلاً لتجاوز أشدّ الامتحانات والبلاءات.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآلـه الطاهرين.

الهوامش:



١٠٩

- (١) مستدرك الوسائل، ج ١٠، ص ٣١٨.
- (٢) جاء هذا الوصف في حق زهير بن القين البجلي، وينسب إلى البلاذري في أحد كتبه.
- (٣) وهب بن وهب أو وهب بن حباب الكلبي، وقد وقع خلط كثير في ترجمته وقد قال عنه الصدوق في أماليه بأنه نصراني أسلم هو وأمه على يد الحسين وتبعاه إلى كربلاء.
- (٤) تاريخ الطبرى، ج ٥، ص ٤٤٩. مقاتل الطالبيين، ص ٩٠.
- (٥) روضة المحبين ونرفة المشتاقين، ص ٧٤.
- (٦) سورة الكهف: ٦ - ١٢.
- (٧) سورة الكهف: ٢٢.
- (٨) سورة الأعراف: ١١٣ - ١١٤.
- (٩) سورة الأعراف: ١٢٣.
- (١٠) سورة طه: ٧٢.
- (١١) سورة الأعراف: ١٢٥ - ١٢٦.
- (١٢) أمالى الشیخ الصدوق، ص ٢٢٠.
- (١٣) الإقبال، ج ٣، ص ٣٤١.
- (١٤) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٤٩٧.
- (١٥) نفس المصدر.
- (١٦) معانى الأخبار، ص ٢٨٨.
- (١٧) أمالى الشیخ الصدوق، ص ١٧٧.
- (١٨) الحصول، ص ٦٨، ح ١٠١.
- (١٩) تاريخ الطبرى، ج ٥، ص ٣٥٥.
- (٢٠) تاريخ الطبرى، ج ٥، ص ٤٤٢.
- (٢١) رأينا فيما بعد كيف أن عبيد الله بن زياد قد أمضى السيف في رقب الكوفيين، وزج بالآلاف منهم في السجون، ثم جاء دور الحجاج بن يوسف الثقفي الذي قيّز عهده بالبطش والتنكيل بالکوفيين خاصة.

- (٢٢) تاريخ الطبرى، ج، ٥، ص ٤٠٥.
- (٢٣) ينسب هذا القول إلى البلاذري في أحد كتبه.
- (٢٤) الكامل في التاريخ، ج، ٢، ص ٥٦٨.
- (٢٥) تاريخ الطبرى، ج، ٣، ص ٣٠٧.
- (٢٦) تاريخ الطبرى، ج، ٥، ص ٤٢٧.
- (٢٧) الملهوف على قتلى الطفواف، ص ١٦٣.
- (٢٨) بحار الأنوار، ج، ٤٥، ص ٢٣.
- (٢٩) الكامل في التاريخ، ج، ٢، ص ٥٦٨.
- (٣٠) الحدائق الوردية، ج، ١، ص ١٢٢.
- (٣١) بحار الأنوار، المجلسي، ج، ٤٤، ص ٣٨٣.
- (٣٢) تاريخ الطبرى، ج، ٣، ص ٣١٢.
- (٣٣) سورة الأعراف: ٥٨.

حبُّ الحسين عليهما السلام

بين الخير الدنيوي والأخروي

الشيخ جعفر محمد السعيد

مقدمة

تعدُّ شعيرة زيارة الحسين عليهما السلام من الشعائر التي حثَّ عليها الشارع المقدس حتَّاً واضحاً، فقد جاءت روایات عديدة مستفيضة متحدثةً عن عظم هذه الشعيرة، رابطةً المؤمن ارتباطاً عقائدياً مع الدين بثورة الحسين بن علي عليهما السلام في أرض كربلاء، ولم يكن الحثُّ من باب التعبُّد فقط؛ بل بيّنت بعض تلك الروایات الجزاء الذي أعدَّ الله تعالى لمن عظَّم الشعيرة، وبينت مضامين هدف الوصال بالحسين عليهما السلام في تأثيره على المؤمن في الدين والعقيدة والسلوك، ف تكون بذلك مدرسة للأجيال في تلك الاتجاهات الثلاثة.

ومن تلك الروایات ما رُوِيَ عن الإمام الصادق عليهما السلام: «مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بِهِ الْخَيْرَ قَدَّفَ فِي قَلْبِهِ حُبَّ الْحَسَنِ وَحُبَّ زِيَارَتِهِ، وَمَنْ أَرَادَ اللَّهَ بِهِ السُّوءَ قَدَّفَ فِي قَلْبِهِ بُغْضَ الْحَسَنِ وَبُغْضَ زِيَارَتِهِ»^(١)، فإنَّ هذه الروایة تناولت قضية التفاعل العاطفي مع الحسين عليهما السلام على مراحلتين: الأولى: فهي مرحلة الحب. والثانية: مرحلة البغض. حيث قرنت الأولى حبَّ الحسين عليهما السلام اقتراناً واضحاً وجلياً بالخير المطلق، معنى أنَّ الإنسان إن تعاطف مع الحسين عليهما السلام حباً وشوقاً له، ناله الخير بكلِّ أفراده ومصاديقه.

وقرنت الثانية بغضّ الحسين عليهما السلام بالسوء والشقاء، والنصب، والتعب، بكل أفراده ومصاديقه.

وجاء هذا البحث ليبيّن تلك الشعيرة العظيمة من خلال ربط الخير الوارد في آيات القرآن الكريم وفي روایات أهل البيت عليهما السلام.

وأما خطّة هذا البحث؛ فتتّبع مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

فالمبحث الأول: في المراد من معنى الخير في القرآن الكريم، والمراد من معنى الخير في اللغة العربية.

وأما المبحث الثاني: ففي الجواب عن العلة من ربط حبّ الحسين عليهما السلام بالخير في الروایات.

بينما يُعقد المبحث الثالث: في مظاهر حبّ الحسين عليهما السلام، والتأكيد على زيارته كأبرز مظهر من مظاهر الحبّ والانتماء.

وتبقى الخاتمة في بيان النتائج المتوصّل إليها في هذا البحث.

المبحث الأول: لفظ الخير في القرآن واللغة

ولنأخذ لفظ الخير على مقامين، الأول في معناه في اللغة، والثاني في بيانه في القرآن الكريم.

معنى الخير في اللغة:

يدلّ لفظ الخير في الأصل اللغوي على العطف والميل، وعليه قالوا: الخير ضدّ الشرّ؛ لأنّ كلّ أحد يميل إليه، ويعطف على صاحبه؛ بل وقالوا أيضًا: الاستخاراة هي الاستعطاف، لأنّ المستخير يسأل خير الأمرين، ويُقدم عليه؛ والخيرية: هي الاختيار؛ لأنّ المختار لأمرٍ إِنَّمَا هو مائل إليه، ومنعطف عليه دون غيره.

وأما لفظ الخير كمصطلح ومفهوم: فهو ما يرغب فيه كل الناس، كالعقل، والعدل، والفضل، والشيء النافع، وضدّه: الشر.

وبهذا المفهوم يتضح لنا أن للخير أفراداً عديدة ذكرت فيه، وبما أن رغبات الناس متفاوتة فهو -أي لفظ الخير- مختلف باختلاف الرغبات، فتجدها تارة رغبة مستمرة شاملة لكل الأفراد -بل وتجدها أحياناً مستمرة وإن كانت غير شاملة لكل الأفراد-، وأخرى غير مستمرة وغير شاملة لكل الأفراد ومن هنا قالوا بأن الخير يطلق على نوعين:

الأول: وهو الخير المطلق، بمعنى أن يكون مرغوباً في فرد الخير بكل حال، كطلب الجنة مثلاً. والثاني: وهو الخير النسبي، والذي يكون مقابلًا للشر، كالمال؛ فإنه يكون خيراً للبعض، بينما يكون شرّاً لآخرين.

لفظ الخير في القرآن الكريم:

إن لفظ الخير من الألفاظ الأساسية في القرآن الكريم، وقد ورد هذا اللفظ ما يقرب من مائة وثمانين مرة، جاء في معظمها (اسماء)، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُم﴾^(١)، وجاء في سبعة مواضع فقط (فعلا)، منها قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَبِخُتَارٍ﴾^(٢).

ومع تطبيقنا لهذين النوعين -الخير المطلق والخير النسبي- على آيات القرآن الكريم، نجد أن القرآن لا يفهم المراد منه تماماً -فيما نحن بصدده- إلا من خلال معرفة السياق الذي ورد فيه، فعلى الرغم من أن لفظ الخير قد ورد في كثير من الآيات القرآنية بمعنى (المال)، إلا أنه قد ورد في آياتٍ غير قليلة مغايراً لهذا المعنى، مما يحتم علينا ضرورة معرفة السياق الذي ورد فيه هذا اللفظ في هذه الآية أو تلك.

فنجده تارة مقابلًا للشر، كما في قوله سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ

* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(٤)، وأخرى مُقابلاً للضرّ، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسِسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسِسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٥).

وبتفحّصنا لأكثر آيات القرآن الكريم الواردة في معرفة معنى الخير، نجد أنّ لفظ الخير كثيراً ما يُطلق فيها ويراد به الخير النسبي - أي: النوع الأول - لا الخير المطلق.

فمنها: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَكْتَرُتُ مِنَ الْخَيْر﴾^(٦)، فإنَّ (من) هنا تفيد التبعيّض، بمعنى الخير النسبي، أي الله لو كان يعلم الغيب لاستكثراً من ذلك الخير الذي رأه. وقد اعتبر بعض المفسرين أنَّ هذا الخير هو المال - الذي هو فرد من أفراد الخير -، أي أنَّ الإنسان لو كان يعلم الغيب لاستكثراً من هذا المال، وهذه الآية خير شاهد على إفاده الخير النسبي لا الخير المطلق.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَالْبَدْنَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَيْر﴾^(٧)، فإنَّ لفظ الخير هنا قد ورد نكرة في سياق الإثبات، وهو دالٌّ على الامتنان، وظهوره في العموم، واضح أنَّ العموم أمر مغاير للإطلاق.

ومنها: قوله تعالى: ﴿مَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُزَكَّرَ عَلَيْكُمْ مَنْ خَيْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَحْتَصُرُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٨)، ودخول (من) على لفظ (الخير) هنا واضح في إفاده التبعيّض والخير النسبي، لا المطلق.

وغيرها من الشواهد الموجودة في طيّات الكتاب الكريم من الآيات المباركات، فهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم لا يسع المقام لذكر جميعها هنا.

والخلاصة واضحة في أنَّ أغلب الآيات التي تتناول موضوع الخير تتناوله بمعنى الخير النسبي لا الخير المطلق وذلك بالدلالة الواضحة من خلال سياق الآيات.

المبحث الثاني: لماذا رُبطَ حُبُّ الحسين بالخير في الرواية؟

لقد بين الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ من خلال ظاهر الرواية الواردة في كامل الزيارات^(٤) أنَّ الخير المتعقب لحبِّ الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ هو النوع الأول من الخير، وهو الخير المطلق، لا النسبي، إذ يقول الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في الرواية: «مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ الْخَيْرَ قَدَّفَ فِي قَلْبِهِ حُبُّ الْحَسَنِينِ عَلَيْهِ وَحْبُّ زِيَارَتِهِ...»^(١٠)، فإنَّ دخول الألف واللام على لفظ الخير في الرواية دالٌّ على الشمول لكلَّ أفراد الخير، مما يعني أنَّ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ الْخَيْرَ به كُلُّ خير وكلُّ فرد من أفراد الخير -كامل، وحسن الحال، والقوَّة، والعبادة والطاعة، والتفضيل وغيرها- قدَّفَ في قلبه حُبُّ الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وحبُّ زيارته، مع أنها بينت في مقطعها الثاني «... وَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ السُّوءَ قَدَّفَ فِي قَلْبِهِ بُغْضَ الْحَسَنِينِ وَبُغْضَ زِيَارَتِهِ»، والسُّوءُ هنا بشمول جميع أفراده، كما هو الحال في لفظ الخير المبين آنفًا.

وهذه نتيجة مهمة تبيّنها الرواية، حيث تُظهر في أنَّ حُبَّ الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فيصلٌ بين الخير وبين السوء، إذ أنها قد جعلت الخير في مقابل السُّوء، ويظهر هذا بحبِّ الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وبغضه، فحبُّه وموالاته هو الفيصل بين الخير وبين السوء.

هذا؛ وقد دأب أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ في الحديث على حبِّ الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين وركَّزَ في تعليمه على حبِّ سبطه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى ينال الحبُّ الخير الذي أعدَّ الله لمحبِّي الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكان يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مسامع المسلمين: «حُسَيْنٌ مِّتِي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبُّ اللَّهَ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا»^(١١)، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأخذ بيده سبطه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ويقول: «أَئِهَا النَّاسُ، هَذَا الْحَسَنِينُ بْنُ عَلِيٍّ فَاعْرِفُوهُ، فَوَالذِّي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَنِي الْجِئْنَةُ، وَمُحِبِّيَهُ فِي الْجِئْنَةِ، وَمُحِبِّيَهُ فِي الْجِئْنَةِ»^(١٢).

فكأنَّ الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في الرواية الآنفة يريد بيان عظم حبِّ الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما ذلك إلا ليعنق المسلمون حبَّ الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ليصلوا بذلك إلى الخير المطلق،

الذى أعدَهُ الله تعالى لهم بحبهم الحسين عليه السلام وحب زيارته، ذلك الحبُّ الذى يكون مدخلًا لطاعة الإمام الذى أرادها الله تعالى، ليكون الحبُّ بحبِّه عبدًا لله يحرّكه حبه نحو العبودية، وهو مستعدٌ للتضحية في سبيلها، لا كحبٍّ أهل الكوفة، الذين كانوا يحبون الحسين عليه السلام، حبًا بقلوبهم، ويبغضونه بغضًّا بسيوفهم، فقلوبهم تظهر الحبُّ له، وحدود سيوفهم قد سلطوها عليه!

المبحث الثالث: التأكيد على زيارة الحسين عليه السلام من أجل مظاهر حبه

أكَّدَ أهل البيت عليهما السلام على شعيرة زيارة الحسين عليه السلام باعتبارها من أجل مظاهر الحب والولاء له عليه السلام، فمما ورد عن حنان بن سدير: «قال: كنت عند أبي جعفر عليهما السلام فدخل عليه رجل فسلم عليه وجلس، فقال أبو جعفر عليهما السلام: من أتي البلدان أنت؟ فقال له الرجل: أنا رجل من أهل الكوفة، وأنا محبٌ لك؛ موالي، فقال له أبو جعفر عليهما السلام: أفتزور قبر الحسين عليه السلام في كل جمعة؟ قال: لا، قال: ففي كل شهر؟ قال: لا، قال: ففي كل سنة؟ قال: لا. فقال له أبو جعفر عليهما السلام: إنك محروم من الخير»^(١٣).

فقد انصبَتْ عناية أئمة أهل البيت عليهما السلام على تسليط الأضواء على زيارة قبر الحسين عليه السلام، وذلك لتوثيق كربلاء أثرها في الوجدان، بل وتكون تلك الزيارة وتلك المبادئ صادرة عن وعي دور الحسين عليه السلام في حركة الإسلام، وموقعه من الجهاد في سبيل الله وبسبيل دينه.

ومن تلك الروايات ما عن ذريح المخاربي، قال: «قلت لأبي عبدالله عليهما السلام: ما ألقى من قومي ومن بيَ إذا أنا أخبرتهم بما في إثبات قبر الحسين عليه السلام من الخير، إنهم يكذبون، ويقولون: إنك تكذب على جعفر بن محمد!. قال عليهما السلام: يا ذريح! دع الناس يذهبون حيث شاؤوا، والله إنَّ الله ليياهي يزائر الحسين بن عليٍّ والواحد يفده الملائكة المقربون وحملة عرشه حتى أنه ليقول لهم: أما ترون زوار قبر الحسين أتوه شوقاً إليه

وإلى فاطمة بنت رسول الله محمد عليهما السلام، أما وعْرَقِي وجَلَالِي وَعَظَمَتِي لأُوجَبِنِي لَهُمْ
كَرَامَتِي؛ ولأَدْخَلَتَهُمْ جَنَّتِي الَّتِي أَعْدَدْتَهَا لِأُولَئِي وَلِأَنْبِيائِي وَرَسُولِي. يَا مَلَائِكَتِي! هُؤُلَاءِ رُؤَارِ
قَبْرِ الحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَبِيبِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولي، وَمُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَبِيبِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي أَحَبَّ
حَبِيبِي، وَمَنْ أَحَبَّ حَبِيبِي أَحَبَّ مَنْ يَحْبُّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَ حَبِيبِي أَبْغَضَنِي وَمَنْ أَبْغَضَنِي
كَانَ حَقًّا عَلَيَّ أَنْ أُعَذَّبَ بِأَشَدِ عَذَابِي وَأَحْرَقَهُ بَحْرُ نَارِي، وَأَجْعَلَ جَهَنَّمَ مَسْكَنَهُ وَمَأْوَاهَهُ،
وَأُعَذَّبَهُ عَذَابًا لَا أُعَذَّبَهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ»^(١٤).

ومعاضدة هذه الرواية مع الرواية الآففة في صدر البحث واضحة جلية، لا ينكرها ذو لبٌ.

فمع التمعن نجد أنَّ هذه الرواية تأخذ جانبين، فتارة تأخذ جانب الخير في الزيارة، وتبيّن ما ينال الزائر من الحيرات والبركات بمحبه للحسين وحب زيارته، وأخرى جانبسوء، مبيّنةً ما ينال ذلك المبغض من العذاب الشديد لبغضه للحسين علَيْهِ السَّلَامُ وبغض زيارته.

ومنها: ما روي عن أبي بصير، عن أبي جعفر علَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ مَسْكَنَهُ
الجَنَّةُ وَمَأْوَاهُ الْجَنَّةِ فَلَا يَدْعُ زِيَارَةَ الْمَظْلُومِ، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: الْحَسِينُ بْنُ عَلِيٍّ علَيْهِ
صَاحِبُ كَرِبَلَاءَ، مَنْ أَتَاهُ شَوْقًا إِلَيْهِ وَجْهًا لِرَسُولِ اللَّهِ وَجْهًا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجْهًا
لِفَاطِمَةِ علَيْهِ السَّلَامُ أَقْعَدَهُ اللَّهُ عَلَى مَوَائِدِ الْجَنَّةِ، يَأْكُلُ مَعَهُمْ وَالنَّاسُ فِي الْحِسَابِ»^(١٥).

وأي خير يرجوه المؤمن أفضل من أن يكون في الجنة يأكل من موائدها، ويأكل معه الناس!

ومنها: ما عن معاوية بن وَهْبٍ، عن أبي عبد الله الصادق علَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال لي -
أبي الصادق -: يا معاوية لا تدع زيارة قبر الحسين علَيْهِ السَّلَامُ لخوف، فإنَّ مَنْ ترَكَ زيارته رأى
من الحشرة ما يتمتَّى أَنَّ قبره كان عِنْدَهُ، أما ثُحبَّ أَنْ يَرَى اللَّهُ شَخْصَكَ وَسَوَادَكَ فَيُمَنِّ
يَدُّوكَ لِرَسُولِ اللَّهِ علَيْهِ السَّلَامُ وَعَلَيْهِ فَاطِمَةُ وَالْأَئِمَّةُ علَيْهِمُ السَّلَامُ؟»^(١٦).

وهل يخطر ببال أحد من الناس أكثر من سوء الحسرة وسوء تبني الموت كائناً
قبره عنده؟! وما أفضل الخير من أن يكون المؤمن مشمولاً في دعاء النبي ﷺ وأهل بيته عليهما السلام، فهذا هو الخير كلّ الخير!

ومنها: ما عن معاوية بن وہب، قال: استأذنت على أبي عبد الله علیه السلام فقيل لي:
ادخل، فدخلت فوجده في مصلاه في بيته فجلست حتى قضى صلاته فسمعته
يناجي ربه وهو يقول: «الله يا من خصنا بالكرامة؛ ووعدنا بالشفاعة؛ وخصنا
بالوصيّة؛ وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقى؛ وجعل أئتها من الناس ثبوتي إلينا، أعزز
لي ولإخواني ولزوج ابنة أبي الحسين، الذين أنفقوا أنموالهم وأشحضوا أبدائهم رغبة في
رسانا، ورجاء لما عندك في صلتنا، وسورو أدخلوه على نبيك، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظا
أدخلوه على عدوينا، أرادوا بذلك رضاك، فكافحهم عنا بالرضوان، وأكلهم بالليل والنهار،
وأخذل على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، وأصحابهم وأكفهم شر كل
جيبار عنيد؛ وكل ضعيف من حقيقك وشدید، وشر شياطين الإنس والجن، وأطعمهم
أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثروا به على أبنائهم وأهاليهم
وقراباتهم.

الله إن أغداةنا عابوا علينا بمحروجهم، فلم ينهم ذلك عن الشخص إلى خلافاً
مثيم على من خالقنا، فازحم تلك الوجوة التي غيرتها الشمس، وازحم تلك الحندوة التي
تتقلب على حفراً أبي عبد الله الحسين علیه السلام، وازحم تلك الأعين التي جرث دموعها
رحمة لنا، وازحم تلك القلوب التي جرّعث واخترقت لنا، وازحم تلك الصرخة التي كانت
لنا، الله إنني استودعك تلك الأبدان وتلك الأنفس حتى ترويهم على الحوض يوم
العطش الأكبر»^(١٧).

قال الروي: فما زال يدعو علیه السلام وهو ساجد بهذا الدعاء، فلما انصرف قلت:
جعلت فداك لو أن هذا الذي سمعت منك كان لمن لا يعرف الله لظننت أن
النار لا تطعم منه شيئاً أبداً!! والله لقد تمنيت أنني كنت زرته ولم أحجز، فقال لي: «ما

أقربك منه؛ فما الذي يمنعك من زيارته؟ ثم قال: يا معاوية لم تدع ذلك؟ قلت: جعلت فداك لم أر أن الأمر يبلغ هذا كله. فقال: يا معاوية ومن يدعو لزواره في السماء أكثر من يدعو لهم في الأرض»^(١٨).

ومن الواضح أن دعاء الإمام لا يُرد من قبل الله تعالى، وناهيك عن الذي طلبه الإمام من الله تعالى لزوار الحسين عليهما السلام، حتى أنه استودع زوار قبر الحسين عليهما السلام عند الله عز وجل وديعة ترد يوم الفرع الأكبر، وأي خير أفضل من ذلك الخير الذي يخلص زائر الحسين عليهما السلام من الفرع الأكبر يوم الطامة الكبرى!

زيارة الحسين بمعرفة حقه:

وكل ذلك مرهون بمعرفة الحسين وحب الحسين عليهما السلام؛ حيث وردت روايات عديدة تحت على الزيارة مع حالة الوعي التي يجب أن يحملها الزائر الحب للحسين عليهما السلام، والتي تعبّر عنها الروايات في شأن من زاره عليهما السلام: «من زار الحسين عارفاً بحقه...» فيوجب له ذلك الخير كلّه، وهو غفران كل الذنوب، والفوز بالجنة!

فمنها ما هو مروي عن بشير الدّهان، قال: قال أبو عبد الله عليهما السلام: «أيّما مؤمن زار الحسين عليهما السلام عارفاً بحقه في غير عيد ولا عَرفة كتب الله له عشرين حجّة، وعشرين عمرة مبرورات متقبّلات، وعشرين غزوة مع نبي موسى أو إمام عدل»^(١٩).

وهذا كافٍ في فضل زيارته وما أعدّه الله تعالى لمن زار الحسين عليهما محبّة له ولجدّه وأمه وأبيه من الفضل والفوز العظيم.

واعلم؛ إنك عندما تأتي لزيارة من تعتقد أنه صاحب المبادئ الإلهية الحقّ - التي حدثت الروايات بفضلها وثوابها وخيرها - وتتمعن في تلك الكلمات الواردة في طريقة زيارته، تنطبع وتترسخ تلك المعاني في قلبك، فتكون كأنك صاحب ذلك المبدأ، تتحرّك بت حرّكاته، تعتقد باعتقاداته، فتكون بذلك اغواً سالكاً خطّ ذلك

الرّجُلُ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ مِّنْ أَجْلِ الدِّينِ وَالإِنْسَانِيَّةِ.

فِزِيَارَةُ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَتْ تَسْلِيَّةً وَعَمَلاً دُنْيَوِيًّا، بَلْ هِيَ عِبَادَةٌ رُوحِيَّةٌ، وَعَمَلٌ يَرَادُ بِهِ التَّقْرِبُ إِلَى اللَّهِ تَبارَكَ وَتَعَالَى، فَيَنْدِي الزَّائِرُ فِي زِيَارَتِهِ: «...وَأَشْهَدُ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعَالَى وَكَفَى بِهِ شَهِيدًا، وَأَشْهِدُكُمْ أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَلَكُمْ ثَابَةٌ فِي ذَاتِنِّي، وَشَرَاعِي دِينِي، وَخَواتِيمِ عَمَلي، وَمُنْقَلِّي وَمُمْثَوَّيِ...»^(٢٠).

وَيَتَذَكَّرُ تَلْكَ الرِّزِيَّةُ الْعَظِيمُ، فَيَقُولُ: «وَهَذَا يَوْمٌ فَرَحَتْ بِهِ آلُ زِيَادٍ وَآلُ مَزَوَّانَ بِقَتْلِهِمُ الْحَسِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٢١)، فَيُدْرِي الدَّمْوعُ وَيَنْتَهِي بِصَرْخَتِكَ مَدُونِيًّا طَالِبًا الشَّفَاعَةَ، مَتَوَسِّلًا بِالْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا شَفَاعَةَ الْحَسِينِ يَوْمَ الْوَرَودِ، وَثَبِّتْ لَنَا عِنْدَكَ قَدْمَ صَدْقَةِ مَعِ الْحَسِينِ وَأَصْحَابِ الْحَسِينِ الَّذِينَ بَذَلُوا مَهْجُومَهُمْ دُونَ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَوَافَنَا لَحْبَنَا لِلْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْفَرَزِ الْأَكْبَرِ.

الخاتمة

وَمَا تَقْدِمُ؛ اتَّضَحَتْ لَنَا أَمْوَرُ:

أُولَاؤْ: أَنَّ الْخَيْرَ لَهُ نُوْعَانَ، نُوْعٌ مَطْلُقٌ يَشْمَلُ جَمِيعَ أَفْرَادِ الْخَيْرِ، وَنُوْعٌ نَسْبِيٌّ يَشْمَلُ بَعْضَ أَفْرَادِ الْخَيْرِ.

ثَانِيًّا: أَنَّ الْخَيْرَ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ غَالِبًا مَا يُطْلَقُ وَيَرَادُ بِهِ الْخَيْرُ النَّسْبِيُّ لَا الْخَيْرُ الْمَطْلُقُ، وَبِعَبَارَةٍ أُخْرَى: إِنَّ أَغْلَبَ الْآيَاتِ الَّتِي تَتَناولُ مَوْضِعَ الْخَيْرِ تَرِيدُ بِذَلِكَ الْخَيْرَ النَّسْبِيَّ لَا الْخَيْرَ الْمَطْلُقَ، بِالدَّلَالَةِ الْوَاضِحةِ مِنْ سِيَاقِ الْآيَاتِ.

ثَالِثًا: إِنَّ الْخَيْرَ الْمَتَعَقِّبُ لِحُبِّ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحُبِّ زِيَارَتِهِ هُوَ خَيْرٌ مَطْلُقٌ، شَامِلٌ لِكُلِّ أَفْرَادِ الْخَيْرِ، كَمَا بَيَّنَتْهُ الرِّوَايَاتُ الَّتِي ذَكَرْتُ.

رَابِعًا: إِنَّ الْزِيَارَةَ ارْتِبَاطٌ وَثِيقٌ بِالدِّينِ، وَبِالْمَبَادِئِ، بِجَهَنَّمْ تَنْطَبِعُ وَتَتَرَسَّخُ تَلْكَ

المبادئ في قلب المؤمن، فيتمثل صاحب ذلك المبدأ، يتحرك بحركاته، يعتقد باعتقاداته، فيكون بذلك أفعوجاً سالكاً خطأ المزور الذي أعطى كل شيء من أجل الدين والإنسانية، فيضحي الزائر كما ضحى المزور.

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

- (١) كامل الزيارات، ب٥٥، ح٣.
- (٢) سورة البقرة: ٤٥.
- (٣) سورة القصص: ٦٦.
- (٤) سورة الزمر: ٧ - ٨.
- (٥) سورة الأنعام: ١٧.
- (٦) سورة الأعراف: ١٨٨.
- (٧) سورة الحج: ٣٦.
- (٨) سورة البقرة: ١٠٥.
- (٩) كامل الزيارات، ب٥٥، ح٣.
- (١٠) كامل الزيارات، ب٥٥، ح٣. وكذا في بحار الأنوار، المجلسي، ج١٠١، ص٧٦.
- (١١) كامل الزيارات، ب١٤، ح١٢.
- (١٢) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٣٨، ح٣١.
- (١٣) كامل الزيارات، ب٩٧، ح٥.
- (١٤) كامل الزيارات، ب٥٦، ح٥.
- (١٥) كامل الزيارات، ب٥٦، ح٢.
- (١٦) كامل الزيارات، ب٤٠، ح١.
- (١٧) كامل الزيارات، ب٤٠، ح٢.
- (١٨) كامل الزيارات، ب٤٠، ص٢.
- (١٩) كامل الزيارات، ب٧٤، ص١.
- (٢٠) كامل الزيارة، ب٧٩، ح٢١.
- (٢١) مقطع من زيارة عاشوراء.

الحسين عَلَيْهِ الْسَّلَامُ ثَارَ اللَّهُ

الشيخ محمد جعفر المعاميري

روي عن الصادق عَلَيْهِ الْسَّلَامُ في كيفية زيارة الحسين عَلَيْهِ الْسَّلَامُ: «ثُمَّ امْشِ إِلَيْهِ حَتَّى تَأْتِيهِ مِنْ قَبْلِ وَبِهِ فَاسْتَقِلْ وَبِهِ فَيَوْجِهُ وَتَجْعَلُ الْقِبْلَةَ بَيْنَ كَتَفَيْكَ ثُمَّ قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَجَّةَ اللَّهِ وَابْنَ حَجَّيْهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا قَبْيلَ اللَّهِ وَابْنَ قَبْيلِهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ وَابْنَ ثَارِهِ»^(١).

من الكلمات التي تستوقف قارئ الزيارات المعصومية للإمام الحسين عَلَيْهِ الْسَّلَامُ كلمة (ثار الله)، وهي تحمل مفهوماً يفتح علينا آفاقاً واسعة للتفكير والتأمل، ويطرح علينا مسائل من صلب الرسالة والعمل والحركة والجهاد، وهي مسائل بالغة الحساسية والأهمية مما تواجهها أمتنا اليوم؛ ولذلك فسوف نتوقف قليلاً عند هذه الكلمة، لتأمل معطياتها وإيحاءاتها^(٢).

أولاً: البحث اللغوي والتاريخي

كلمة (ثار الله) مخففة الهمزة؛ وذلك بتبدل همزتها حرف مدّ من جنس حركة ما قبلها، فأصلها ثار الله، قال المجلسي رضي الله عنه: "ثُمَّ اعْلَمْ إِنَّا لَمْ تَجِدْ"^(٣) في كتب الزيارات والأدعية إلا غير مهموز^(٤)، والثار بالهمزة: الدم وطلبه، قال ابن فارس: "وَهُوَ الدَّخْلُ"

المطلوب^(٥):

ولهذه الكلمة جذور تاريخية عند العرب، فقد كان الدم يستثير أولياء المقتول وذويه للقصاص والانتقام من القاتل، إذ لا بقاء لقبيلة تتخلّى عن الطلب بدماء من يقتل من رجالها، مما يجعلها عرضة لطمع القبائل فيها فتجترئ على العداون عليها وقتل رجالها.

ومن كان صاحب ثأر كان يحرّم على نفسه شرب الخمر والاتصال بالنساء وتناول اللحم، وقد ينذر ألا يمسّ الماء جسده حتى يأخذ بثأره، ولا يغادر الشائر هذه الحالة المسمّاة (بالإحرام) إلاّ بعد إنجاده نذرها وأخذها بالثار، فقد كانت هذه الشرعة منزلة مقدسة في نفوس العرب قبل الإسلام.

ولكى لا يتهاون القوم في طلب الثأر من وتروهم راجت في المجتمع القبلي القديم أسطورة الهامة، والهامة نوع من أنواع الboom وطائر من طيور الليل يألف الأماكن المهجورة كالمقابر، وكانت العرب تزعم أنّ روح القتيل الذي لا يدرك ثأره تصير هامة وتقف على قبره، وقيل: تخرج من رأسه، ولا تزال تصيح: اسقوني اسقوني، أي من دم قاتلي، فلا تكفّ عن الصياح حتى يؤخذ بثأر القتيل فإذا أدرك ثأره طارت^(٦).

وتقع تبعه الطلب بدم القتيل عادة على أقرب الناس إليه رحمةً، فإن عجز عن ذلك كانت القبيلة كلها تلزم نفسها بإنفاذ هذا الأمر، فأيّ رجل من رجالها في وسعه أن يتولى هذا الأمر، ولكن العرب في الجاهلية كانوا يتتجاوزون في الثأر الحدود المعقوله، حتّى قتلَ (مهمل) بأخيه (كليبي) من بكر بن وائل مقتلة كبيرة، وكاد يُفني بكر بن وائل^(٧).



ثانياً: القصاص في الإسلام وحق الولي في ذلك

والسرّ في هذا الاهتمام والتعريم في مسألة الدم، أنّ القبيلة العربية كانت تعتبر الدم حقاً للجميع، وعلى الجميع أن يعملوا لحماية دمائهم، وللشأن من القاتل أو القبيلة التي تُؤوي القاتل وتنحه الحماية، فالدم للقبيلة وليس للفرد، والدفاع عن الدم يقع على القبيلة وليس مسألة فردية^(٨).

وعلى أي حال فقد جاء الإسلام وهذب هذه الحالة في مسألة القصاص والقود، واعتبر هذا التصور لقضية الدم صحيحاً في بعض جوانبه، فمثلاً: يرى أنّ الدم قضية لا تخص المقتول فقط بل تعمّ الجميع، قال الله تعالى في ذيل قصة ابني آدم: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِعَيْرَ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٩)، فقد ذهب بعض المفسرين: أنّ معناه هو أنّ الناس كلهم خصماً في قتل ذلك الإنسان، وقد وترهم وثر من قصد لقتلهم جميعاً، فأوصل إليهم من المكره ما يشبه القتل الذي أوصله إلى المقتول^(١٠)؛ فالعدوان على شخص عدوان على الجميع، أو كأنّه عدوان على الجميع.

ثم أنّ الإسلام جعل حق القصاص والقود لوليّ الميت دون غيره من سائر الناس قال تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾^(١١)، بل ذهب مشهور الفقهاء إلى لزوم الاستئذان من الإمام علّي عليه السلام حين إرادة الاستيفاء^(١٢).

ولا يتعدى الولي في القصاص إلى غير القاتل وهذا واضح من ذيل الآية السابقة: ﴿فَلَا يُسْرِفِ فِي الْقُتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾، بل حتى ولو تواطأ جماعة على تخلص القاتل من يد أولياء المقتول، فإنه لا يحق للولي أن يقتل مكان القاتل أحداً من هذه الجماعة حتى ولو مات، وإنما يلزم حبس الجماعة حبسًا حتى يتمكن من القاتل وإذا ما مات القاتل لزمت الدية على المخلص دون القصاص، وهذا مفاد صحيح حرزيز، عن أبي عبد الله علّي عليه السلام قال: «سَأَلَهُ عَنْ رَجُلٍ قَتَلَ رَجُلًا عَنْدَهُ فَرِيقٌ إِلَى الْوَالِي،

فَدَفَعَهُ الْوَالِي إِلَى أَوْلَيَاءِ الْمَقْتُولِ لِيُقْتَلُوهُ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ قَوْمٌ فَخَلَصُوا الْقَاتِلَ مِنْ أَيْدِي الْأَوْلَيَاءِ؟، قَالَ: أَرَى أَنْ يَخْبَسَ الَّذِينَ حَلَصُوا الْقَاتِلَ مِنْ أَيْدِي الْأَوْلَيَاءِ حَتَّى يَأْتُوا بِالْقَاتِلِ، قِيلَ: فَإِنْ مَاتَ الْقَاتِلُ وَهُمْ فِي السِّجْنِ؟، قَالَ: إِنْ مَاتَ فَعَلَيْهِمُ الدِّيَةُ يُؤَدُّهَا جُوْبِيًّا إِلَى أَوْلَيَاءِ الْمَقْتُولِ»^(١٣).

فهذا كله وغيره من الأحكام التي وردت في أبواب القصاص كان هدف الإسلام منها أن يحفظ نظام المجتمع من الفوضى ويحقن دماء البشرية بذلك، قالت السيدة الزهراء علیها السلام: «وَالْقِصاصَ حِنْنا لِلَّدَمَاءِ»^(١٤)، أي: وجعل الله القصاص وشرعه من الحافظة على حياة الناس، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَيَاةٌ يَا أَوْلَيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١٥).

كيف يكون الحسين علیه السلام هو ثار الله؟

ذهب جمـع من العلماء إلى أنّ معنى كلمة ثار الله الموجودة في الزيارة «أنك أهل ثار الله»^(١٦) أي: أنت يا أبا عبد الله المؤهل لأن يكون الله هو الطالب بثارك.

ولكن مع هذا يبقى السؤال كيف يتحقق الثأر لدم الحسين علیه السلام؟، أقول: أجيـب على هذا السؤال باحتمالين:

الاحتمال الأول:

أنّ الحسين علیه السلام هو الذي يطالب بدمه ودماء أهل بيته بأمره تعالى في الرجعة، حيث وجدت عندنا روايات كثيرة تؤكد رجوع بعض الخلائق إلى دار الدنيا وأنّ أول من يرجع هو الحسين علیه السلام، فقد روي عن أبي عبد الله علیه السلام: «أُولُو مَنْ تَشَقَّّ الأَرْضُ عَنْهُ وَيَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ علیه السلام، وَإِنَّ الرُّجُوعَةَ لَيُسْتَ بِعَامَةٍ، وَهِيَ خَاصَّةٌ لَا يَرْجِعُ إِلَّا مَنْ مَحْضَ الإِيمَانَ مَحْضًا أَوْ مَحْضَ الشِّرَكَ مَحْضًا»^(١٧)، وبعضها أكدت أنّ الحسين علیه السلام وهو (المنتصر أو المنصور) الذي يخرجه الله فيطلب بدمه

وَدَمُ أَصْحَابِهِ فِي قَتْلِ وَيَسِّيٍّ^(١٨)، وَأَنَّهُ عَلَيْهِ يَمْلِكُ حَتَّى يَقْعُدَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنِيهِ مِنْ كَبَرٍ^(١٩).

الاحتمال الثاني:

أَنَّ اللَّهَ يَطْلُبُ بَدْمَ الْحَسِينِ عَلَيْهِ الْمَهْدِيَّةِ مِنْ أَعْدَاءِهِ؛ وَذَلِكَ بِنَصْرِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ^{عَلَيْهِ السَّلَامُ} وَتَحْقِيقِ مِبَادِئِهِ ﴿وَرُغِيدُ أَنْ تَمُّنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٢٠)، وَهَذَا الْمَعْنَى يَجْرِي إِلَيْهِ فَهُمْ أَنَّ دَمَ الْحَسِينِ عَلَيْهِ لَيْسَ دَمًا شَخْصِيًّا، وَالثَّارُ فِيهِ لَيْسَ فِي حَدُودِ الْقِصَاصِ وَالْقَوْدِ مِنَ الظَّالِمِ وَالْقَاتِلِ، وَمِنْ هَنَا قَالَ الشَّيْخُ الْأَصْفَى^{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ}: "وَعِنْدَمَا تَكُونُ إِرَاقَةُ دَمٍ مِنْ أَجْلِ قَضِيَّةِ التَّوْحِيدِ وَالْعِبُودِيَّةِ لِلَّهِ وَتَحْكِيمِ رِسَالَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، إِنَّ الْأَمْرَ يَخْتَلِفُ؛ فَإِنْدَمَ هُنَا أُرْبِقُ فِي قَضِيَّةِ رِسَالَيَّةِ وَلَيْسَ فِي قَضِيَّةِ شَخْصِيَّةِ، وَالْأَمْرُ يَعْلَقُ بِأُسْرَةِ التَّوْحِيدِ، وَلَا يَعْلَقُ بِالْأُسْرَةِ الْعَائِلِيَّةِ بِمَعْنَاهَا الصَّيْقِ"^(٢١).

وَلَكِي يَتَّسْعَ هَذَا الْاحْتِمَالُ مَعَ الْكَلَامِ الْمُنْقُولِ عَنِ الشَّيْخِ عَلَيْنَا أَنْ نَذْكُرَ مَجْمُوعَةً مِنَ النَّقَاطِ، نَضَعُهَا أَمَامَ النَّتْيَاجَةِ:

النقطة الأولى: ورد في الأثر روايات كثيرة تُوجِدُ علاقَةً بين الإمام المهدى وبين الإمام الحسين عَلَيْهِمَا، منها ما يجعل للقائم عَلَيْهِ الْمَهْدِيَّةِ دوراً في المطالبة بدم الإمام الحسين عَلَيْهِ، فقد أخرج السيد هاشم^{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ} في البرهان عن ابن قولويه ما نصه: «... عَنْ رَجُلٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمَهْدِيَّةِ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ قُبِّلَ مَظْلومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾، قَالَ: ذَلِكَ قَائِمُ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَعَلِيهِمُ السَّلَامُ، يَخْرُجُ فَيُقْتَلُ بِدَمِ الْحَسِينِ عَلَيْهِ فَلَوْ قَتَلَ أَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكُنْ مُشْرِفًا، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ أَيْ لَمْ يَكُنْ لِي صُنْعَ شَيْئًا يَكُونُ سَرْفًا، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمَهْدِيَّةِ: يُقْتَلُ وَاللَّهُ ذَرَارِي قَتْلَةُ الْحَسِينِ عَلَيْهِ بِعَالٍ آبَاهَا»^(٢٢).

النقطة الثانية: ينقسم الناس على أساس التوحيد والشرك إلى أسرتين:

إحداهما: أسرة (التوحيد) والأخرى: أسرة (الشرك)، وإذا كان ولـيـّ الأسرة في المجتمع الأب أو الجد، فإنـّ الوليـّ في هاتين الأسرتين اللهـّ والطاغوت، وهذا آية من سورة البقرة توضح لنا ذلك بصورة لا غبار فيها ولا غموض ﴿اللـّهـّ وـلـيـّ الـّذـّيـنـّ آمـنـوا يـخـرـجـهـمـ مـنـ الـّظـلـمـاتـ إـلـىـ التـّوـرـ وـالـّذـّيـنـ كـفـرـوـاـ أـوـلـيـاـهـمـ الطـّاغـوـتـ يـخـرـجـهـمـ مـنـ التـّوـرـ إـلـىـ الـّظـلـمـاتـ أـوـلـيـكـ أـصـحـاحـبـ النـّارـ هـمـ فـيـهـاـ خـالـدـوـنـ﴾^(٢٣)، ثم ما يجمع البشرية على اختلاف ألوانها وزمامها ومكامنها العقيدة والحب والبغض والرضا والسخط، روي عن أمير المؤمنين عـلـيـهـ السـلامـ: «إـنـّمـاـ يـجـمـعـ الثـّائـسـ الرـّضاـ وـالـسـخـطـ فـمـنـ رـضـيـ أـمـرـاـ فـقـدـ دـخـلـ فـيـهـ، وـمـنـ سـيـحـطـةـ فـقـدـ خـرـجـ مـنـهـ»^(٢٤).

النقطة الثالثة: ما وقع في يوم الطف من الصراع بين معسكر الحسين عـلـيـهـ السـلامـ ويزيد ليس صراعاً شخصياً؛ وإنـّما الصراع صراع حضاري، وانتقام من الخطـّ الحضاري الذي يريد أن ينال من خطـّ الرسالة، فالحسـنـ عـلـيـهـ السـلامـ كان يقاتل في سبيل اللهـّ ولتشبيـتـ كلمة اللهـّ علىـّ وجهـّ الأرضـ، ولإسـقـاطـ الطـّاغـوـتـ وإـحـبـاطـ دورـهـ وعملـهـ فيـّ الأرضـ وفيـّ المجتمعـ، ولـإـزـالـةـ الفتـنـةـ التيـّ تعـيـقـ النـّاسـ عنـ سـبـيلـ اللهـ، ولهـذاـ رـوـيـ عنـ الإمامـ عـلـيـهـ السـلامـ أـنـّهـ كـتـبـ فيـ وـصـيـتـهـ لـحـمـدـ لـمـ أـرـادـ الخـروـجـ مـنـ المـدـيـنـةـ: «وـلـيـ لـمـ أـخـرـجـ أـشـراـ وـلـأـ بـطـراـ وـلـأـ مـفـسـداـ وـلـأـ ظـالـيـاـ، وـإـنـّمـاـ خـرـجـتـ لـطـلـبـ الإـصـلـاحـ فـيـ أـمـةـ جـدـيـ عـلـيـهـ السـلامـ، أـرـيـدـ أـنـّ أـمـرـاـ بـالـمـغـرـوفـ وـأـمـيـرـاـ عـنـ الـمـثـكـرـ، وـأـسـيـرـ بـسـيـرـةـ جـدـيـ عـلـيـهـ السـلامـ وـأـبـيـ عـلـيـهـ السـلامـ أـبـيـ طـالـبـ عـلـيـهـ السـلامـ»^(٢٥).

النتيجة:

إنـّ دـمـ الحـسـنـ يـثـلـ التـوـحـيدـ، ولـلـعـلـمـ أـنـّ دـمـ الذـيـ يـسـفـكـ فـيـ سـبـيلـ التـوـحـيدـ دـمـ لاـ يـخـصـ المـقـتـولـ، وـإـنـّمـاـ يـعـمـ كـلـ أـفـرـادـ أـسـرـةـ التـوـحـيدـ، كـمـاـ أـنـّ العـدـوـ القـاتـلـ المـتـمـثـلـ فـيـ زـيـدـ وـأـعـوـانـهـ يـثـلـ أـسـرـةـ الشـرـكـ أـجـمـعـ، فـالـعـدـوـانـ فـيـ حـقـيقـتـهـ هوـ عـدـوـانـ أـسـرـةـ الشـرـكـ عـلـىـ أـسـرـةـ التـوـحـيدـ، وـإـنـّاـ كـذـلـكـ فـيـنـ المـطـالـبـ بـهـذـاـ دـمـ لـاـ تـتـوـقـفـ عـنـ

القاتل والمعتدٰي فقط من أسرة الشرك والماهليّة، وإنما تعم كلّ أطراف العداون من تلك الأسرة، ومن هنا نفهم اللعن الوارد فيزيارة: «وَلَعْنَ اللَّهِ أُمَّةً سَمِعَتْ بِدُلْكَ فَرَضَيْتُ بِهِ»^(٢٦).

إنْ كان في القصاص حق لولي الأسرة الصغيرة في استيفاء القصاص وأخذ القوَد، فإنْ لولي الأسرة التوحيدية الإبراهيمية الحق في المطالبة بدم الشهيد الذي يسقط من أجل التوحيد، وبهذا فإنَّ الله هو المطالب بحق هذا الأسرة، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَصْرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٢٧).

إنَّ النصر هنا لا يتمثّل في القتل فقط، وما نراه من الانتقام والقتل الذي يقوم به المهدي المنتظر^{عليه السلام} في دولته ما هو إلا وسيلة لإنفاذ مشيئة الله وحاكميته بحيث تطهر الأرض من كل دنس، وهذا تفسير قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَخْرُجُ فَيُقْتَلُ بِدَمِ الْحَسِينِ فَلَوْ قُتِلَ أَهْلُ الْأَرْضِ لَمْ يَكُنْ مُشْرِفًا»، كذلك فإنَّ قتل ذراري قتلة الحسين ليس لأنَّهم أبناء لهم فقط، بل لأنَّهم ينتمون لأسرة الشرك والطاغوت الممانعة لإرادة الله في الأرض وهذا جاء في رواية عبد السلام بن صالح الهروي عن أبي الحسن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ بْنُ مُوسَى الرِّضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا تَقُولُ فِي حَدِيثٍ رُوِيَّ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِذَا خَرَجَ الْقَاتِمُ قُتِلَ ذَرَارِيُّ قَتْلَةِ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُفْعَالُ أَبَاهِيهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُوَ كَذَلِكَ، فَقُلْتُ: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ ذِيَّلَهُ: ﴿وَلَا تَرُ وَازِرَةُ وِزْرَ أُخْرَى﴾ مَا مَعْنَاهُ؟، قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ، وَلَكِنَّ ذَرَارِيُّ قَتْلَةِ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُصْنَوُنَ يُفْعَالُ أَبَاهِيهِ وَيَفْتَحُرُونَ بِهَا، وَمَنْ رَضِيَ شَيْئًا كَانَ كَمْثُ أَتَاهُ وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا قُتِلَ بِالْمَشْرِقِ فَرَضَيْتُ بِقَتْلِهِ رَجُلًا بِالْمَغْرِبِ لَكَانَ الرَّاضِيُّ عِنْدَ اللَّهِ بِرَبِّكَ شَرِيكَ الْقَاتِلِ، وَإِنَّمَا يُقْتَلُهُمُ الْقَاتِمُ إِذَا خَرَجَ لِرِضاَهُمْ يُفْعَلُ أَبَاهِيهِمْ...﴾^(٢٨).

وَهِينَ بَذَلَ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَمَهُ لَمْ يَكُنْ بَذَلَهُ لِأَمْرِ بَسِيطٍ، بَلْ مِنْ أَجْلِ قَضِيَّةِ التَّوْحِيدِ وَالْعَبُودِيَّةِ لِلَّهِ وَتَحْكِيمِ رَسَالَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا كَانَ دَمُ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا

هدفه فإنّ في نصرة المهدي عَلَيْهِ الْمُشَكُّنَةِ وتغليبه والمنّ عليه وعلى المستضعفين نصر لدم الحسين عَلَيْهِ الْمُشَكُّنَةِ وتغليب مبادئه وشاراته ومن هنا كان شعار المنتظر الموعود عَلَيْهِ الْمُشَكُّنَةِ يا لثارات الحسين^(٢٩).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـه الطاهرين.

الهوامش:

- (١) فروع الكافي، كتاب الحج، أبواب الزيارات، باب زيارة قبر أبي عبد الله الحسين بن علي عَلَيْهِ الْمُشَكُّنَةِ، ج ٢، ص ٥٨٥.
- (٢) في رحاب عاشوراء، الشيخ محمد مهدي الأصفي عَلَيْهِ الْمُشَكُّنَةِ، ص ٢٩.
- (٣) هكذا في المصدر.
- (٤) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج ١٨، ص ٢٩٨.
- (٥) معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٣٥٨.
- (٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٢٨٣.
- (٧) في رحاب عاشوراء، ص ٣٠.
- (٨) نفس المصدر السابق، ص ٣١-٣٠.
- (٩) سورة المائدة: ٣٢.
- (١٠) مجعـمـ البـيـانـ فـيـ تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ، ج ٤-٣، ص ١٨٦-١٨٧.
- (١١) سورة الإسراء: ٣٣.
- (١٢) راجـعـ المسـأـلةـ الـحـكـيـةـ فـيـ (ـمـيـانـيـ تـكـمـلـةـ الـمـهـاجـ)، ج ٢، ص ١٢٨؛ ثم راجـعـ وجهـ المسـأـلةـ الصـنـاعـيـ فـيـ (ـتـفـصـيلـ الشـرـيـعـةـ كـتـابـ الـقـصـاصـ)، ص ٢٩٨-٢٩٦.
- (١٣) وسائل الشيعة، ج ٢٩، أبواب القصاص في نفس، الباب ١٦: باب حكم من خلّص القاتل من يد الولي، ص ٤٩، ح ١.
- (١٤) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٢٩، ص ٢٢٣.
- (١٥) سورة البقرة: ١٧٩.
- (١٦) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج ١٨، ص ٢٩٨.
- (١٧) بحار الأنوار، ج ٥٣، تاريخ الإمام الثاني عشر، باب ٢٩ باب الرجعة، ص ٣٩، ح ١.

- (١٨) نفس المصدر، ج ٥٣، تاريخ الإمام الثاني عشر، باب ٣٠ خلفاء المهدي عليه السلام، ص ١٤٧، ح ٥.
- (١٩) نفس المصدر، ج ٥٣، تاريخ الإمام الثاني عشر، باب ٢٩ باب الرجعة، ص ٤٤، ح ١٤.
- (٢٠) سورة القصص: ٥.
- (٢١) في رحاب عاشوراء، ص ٣٢.
- (٢٢) أخرجه في (البرهان في تفسير القرآن)، ج ٤، ص ٥٥٩ عن كامل الزيارات (وبحسب مؤسسة نشر الفقاهة ص ١٣٥، ح ٥) مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، مما جعلنا نقدم الحديث بحسب ما هو في التفسير على ما ذكر في كامل الزيارات، ومن شاء فليراجع الكتابين.
- (٢٣) سورة البقرة: ٢٥٧.
- (٢٤) وسائل الشيعة، ج ١٦، أبواب الأمر والنهي، الباب ٥ باب وجوب إنكار المنكر بالقلب، ص ١٤٠، ح ٩.
- (٢٥) نفس المهموم، ص ٦٩.
- (٢٦) بحار الأنوار، ج ٩٨، أبواب فضل زيارة سيد شباب أهل الجنة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، الباب ١٨ زياراته صلوات الله عليه المطلقة، ص ٢٠١، ح ٣٢.
- (٢٧) سورة غافر: ٥١.
- (٢٨) وسائل الشيعة، ج ١٦، أبواب الأمر والنهي، الباب ٥: باب وجوب إنكار المنكر بالقلب، ص ١٣٩، ح ٤.
- (٢٩) بحار الأنوار، ج ٩٨، أبواب فضل زيارة سيد شباب أهل الجنة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، الباب ١٤: فضل زيارته صلوات الله عليه في يوم عاشوراء، ص ١٠٣، ح ٣.

طلب العلم في النصوص الدينية

(القسم الثاني)*

الشيم جاسم بدر المطوع

ليس خافياً على أحد أهمية العلم وطلبه، ولا ينكر أحد مقدار الدعم والتشجيع الذين أبداهما الإسلام لحتى الإنسان ليطلب العلم في مختلف الحالات لاسيما الحالات التي تخدم الأمة، وعلى رأسها أحكام الشريعة.

وكنا في القسم السابق قد تحدثنا حول جملة من النقاط المهمة في هذا الشأن في فصلين، أحدهما: حول تعريف العلم، وثانيهما: حول العلم في القرآن... وفي هذا القسم نستكمل بقية الفصول حول الحث على طلبه والغاية من طلبه ونصائح من أهل البيت عليهما السلام لطلابه.

الفصل الثالث: الحث على طلب العلم وأهميته في النصوص الدينية

العلم أولًا:

أكثر المفسرين يقولون إنَّ أول ما نزل من القرآن هو قول الله تعالى: ﴿أَقْرِأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ إِلَيْنَا مِنْ عَلَيِّ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَنْ﴾

عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ^(١)، وبذلك نستطيع أن نقول: إن "أساس الإسلام أقيم منذ البداية على أساس العلم والقلم"^(٢).

وكان الأمر الإلهي في الآية الشريفة ﴿أَفَرُّ أَمْرًا بِوجُوبِ الْحَرْكَةِ نَحْوِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفِ وَالْأَخْذِ بِسَبِيلِ التَّعْلِيمِ وَيَكْفِي لِإِدْرَاكِ أَهْمَيَّةِ طَلْبِ الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَا نَزَّلَ عَلَى النَّبِيِّ الْخَاتَمِ عَلَيْهِ وَآلِهٖ وَسَلَّمَ هُوَ هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي تَكْرُرُ فِيهَا الْأَمْرُ بِالْقِرَاءَةِ، وَسَوَاءٌ كَانَ الْمَرَادُ مَطْلُقُ الْقِرَاءَةِ أَمْ خَصُوصُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ - حِيثُ اخْتَلَفَ الْمُفْسِرُونَ فِي ذَلِكَ - فَلَا ضَيْرٌ فِي ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ كَانَ الْقُرْآنُ ﴿تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣).

وجوب طلب العلم:

ما أكثر النصوص الدينية الدالة على وجوب طلب العلم إجمالاً، فمنها ما عن رسول الله ﷺ، قال: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، أَلَا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ بُغَاثَةَ الْعِلْمِ»^(٤). "الفرض": الإيجاب، تفرض على نفسك فرضاً، والفرضية الاسم^(٥)، والعلم الواجب هو معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله والمصطلح عليه بأصول الدين، ومعرفة أحكامه الإلزامية والمصطلح عليه بفروع الدين، وكل منها ينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية، فهذه أربعة أقسام وبيانها بنحو الاختصار كما يلي:

١. الواجب العيني من أصول الدين: معرفة الله وصفاته وأفعاله بنحو يحصل له الاطمئنان بها وتسكن نفسه لصحتها وإن لم يتمكن من رد الشبهات والإشكالات لعدم معرفته باصطلاحات العلماء.

٢. الواجب الكفائي من أصول الدين: معرفة ذلك بمستوى رد الشبهات وحل الإشكالات ودفع المغالطات.

٣. الواجب العيني من فروع الدين: معرفة أحكام المسائل - من العبادات والمعاملات - التي يكون في معرض الابتلاء بها وال الحاجة لها.

٤. الواجب الكفائي من فروع الدين: معرفة أحكام المسائل بأداتها التفصيلية وهو المصطلح عليه في هذه الأعصار بالاجتهاد.

والظاهر أنّ مراده عَلَيْهِ وَاللَّهُ بَارَكَ اللَّهُ بِنَعْمَتِهِ بالفرضية هو فرض العين من القسمين، ولذلك ربعاً رغب في طلب العلم بقوله عَلَيْهِ وَاللَّهُ بَارَكَ اللَّهُ بِنَعْمَتِهِ: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ بَعَثَةَ الْعِلْمِ»؛ فإن بعثة العلم وطلبها العلم ظاهر عرفاً في من يكون اشتغاله به دائماً، وكان شغله الذي يعرف به، ويعد من أحواله طلب العلم^(٧).

ومنها: ما عن الإمام الصادق عَلَيْهِ وَاللَّهُ بَارَكَ اللَّهُ بِنَعْمَتِهِ، قال: «لَا يَسْعُ النَّاسَ حَتَّى يَسْأَلُوا، وَيَتَفَقَّهُوا وَيَعْرِفُوا إِمَامَهُمْ...»^(٨). ينفي الإمام السعة للناس - أي الجواز - فالناس في ضيق ولا يكتفهم نسبة اعتقادهم وأعمالهم إلى الدين إلا إذا تفهوموا وتعلموا. وفي حديث آخر سُئِلَ أَبُو الْحَسَن عَلَيْهِ وَاللَّهُ بَارَكَ اللَّهُ بِنَعْمَتِهِ: هل يسع الناس ترك المسألة عمما يحتاجون إليه؟ فقال: «لا»^(٩).

كمال الدين والنفس:

روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ وَاللَّهُ بَارَكَ اللَّهُ بِنَعْمَتِهِ أنه قال: «أَيُّهَا النَّاسُ، اغْتَمُوا أَنَّ كَمَالَ الدِّينِ طَلَبُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلُ بِهِ، أَلَا وَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ أَوْجَبَ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِ الْمَالِ؛ إِنَّ الْمَالَ مَقْسُومٌ مَضْمُونٌ لَكُمْ، قَدْ قَسَمَهُ عَادِلٌ بَيْنَكُمْ، وَضَعِيفٌ لَكُمْ، وَالْعِلْمُ مَخْزُونٌ عِنْدَ أَهْلِهِ، وَقَدْ أُمْرِزْتُمْ بِطَلَبِهِ مِنْ أَهْلِهِ، فَاطْلُبُوهُ»^(١٠).

الحديث عن كمال الدين أي كمال التدين، ويجد ذكر نقاط:

١. كمال تدين المؤمن يعتمد على أمرتين: طلب العلم، والعمل بما يحصله من العلم، نعم لا يمكن العمل بدون علم فالعلم مقدم إلا إنه لا يكفي لتحصيل الكمال.
٢. صيغة التفضيل (أوجب) تفيد أن طلب المال واجب وذلك بقدر الحاجة المعيشية، وأن طلب العلم أشد وجوباً؛ وذلك لأن الرزق المالي تكفل به المولى عَلَيْهِ وَاللَّهُ بَارَكَ اللَّهُ بِنَعْمَتِهِ

والعلم يحتاج للطلب.

٣. لا مانع من طلب المال ما لم يمنع من تحصيل العلم الواجب، خصوصاً إذا استعان به المؤمن للإعداد لآخرته.

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «الكمال كُلُّ الكمال: التفقة في الدين...»^(١١). والكمال في هذا الحديث لم يضف لشيء، والظاهر أنه كمال نفس المؤمن، وقد جعله الإمام عليه السلام في ثلاث خصال أولها «التفقة في الدين»، ونقل عن الشيخ البهائي قائله: «ليس المراد بالفقه الفهم ولا العلم بالأحكام الشرعية العملية عن أدلةها التفصيلية فإنه معنى مستحدث بل المراد به البصيرة في أمر الدين والفقه أكثر ما يأتي في الحديث بهذا المعنى والفقيhe هو صاحب هذه البصيرة»^(١٢)، ولا يخفى أن هذه البصيرة لا تحصل بدون طلب العلم الديني فهو جزء علة لها.

التفقة حق:

قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له خطب به على المتنبر: «وَإِنْ مِنْ الْحَقِّ أَنْ تَفَقَّهُوا»^(١٣). أي: من الواجب لأنّ «الحقّ نقىض الباطل». [قولك] حق الشيء يحقق حقاً أى وجباً وجوباً^(١٤).

لا تكونوا أعراباً:

«الأعرابيُّ في التعارف صار اسمًا للمنسوبيين إلى سكان البدية»^(١٥)، حال هؤلاء في العادة هو الجهل وإهمال أحكام الدين وتکاليفه حتى قال الله تعالى عنهم: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنَفَاقًا وَاجْدَرُ أَلَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾^(١٦)، نعم هذا لا يمنع أن يكون ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾^(١٧)، وعلى كل حال فإن الغالب منهم الجاهلون بأحكام الدين، لذلك كان تارك التفقة كالإعلاني، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «تفقهوا في الدين؛ فإنه من

لَمْ يَتَفَقَّهُ مِنْكُمْ فِي الدِّينِ، فَهُوَ أَغْرَابٌ؛ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلَيُئْدِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(١٨)، وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «عَلَيْكُمْ بِالشَّفَقَةِ فِي دِينِ اللَّهِ، وَلَا تَكُونُوا أَغْرَابًا؛ فَإِنَّمَا مَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ فِي دِينِ اللَّهِ، لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَمْ يَرَكِ لَهُ عَمَلاً»^(٢١)، وَكَانَ أَبُو جَعْفر عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «تَقْهِنُوهُ وَإِلَّا فَأَثْمَمُ أَغْرَابًا»^(٢٢).

العلماء ورثة الأنبياء:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَذَاكَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِثُوا دِرْهَمًا وَلَا دِينارًا، وَإِنَّمَا أُورِثُوا أَحَادِيثَ مِنْ أَحَادِيثِهِمْ، فَمَنْ أَخْدَى بِسَيِّئَاتِهِمْ فَقَدْ أَخْدَى حَظًّا وَافِرًا، فَأَنْظُرُوهُمْ هَذَا عَمَّنْ تَأْخُذُونَهُ؟ فَإِنَّ فِيهَا -أَهْلَ الْبَيْتِ- فِي كُلِّ خَلْفٍ عُدُولًا يَتَفَقَّهُونَ عَثَةً تَخْرِيفَ الْغَالِيَّةِ وَاتِّحَادَ الْمُبْطَلِيَّةِ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِيَّةِ»^(٢٣). المراد هنا أنّ العلماء "يرثون منهم العلوم والمعارف والحكم، إذ هذه عمدّة ما يتمتعون به في دنياهم، ولذا عللّه بقوله: إنّ الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، أي لم يكن عمدة ما يحصلون في دنياهم ويتنفع الناس به منهم في حياتهم وبعد وفاتهم الدينار والدرهم، ولا ينافي أن يرث وارثهم الجسماني منهم ما يبقى بعدهم من الأموال الدنيوية، أو يقال وارثهم من حيث النبوة المختصة بهم العلماء فلا ينافي ذلك كون وارثهم من جهة الأسباب الجسمانية يرث أموالهم الظاهرة، فأهل البيت علليهم ورثوا النبي علليهم من الجهتين معاً، على أنه يتحمل أن يكون الأنبياء علليهم لم يبق منهم خصوص الدينار والدرهم بعد وفاتهم، لكن الظاهر أنه ليس المراد حقيقة هذا الكلام، بل المراد ما أؤمننا إليه من أنّ عمدّة أموالهم وما كانوا يعتنون به ويرثونه هو العلم، دون المال وذكر الدينار والدرهم على المثال.

ويخطر بالبال وجه آخر وهو أن يكون المراد بقوله علليهم: «أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِثُوا» بيان الموروث فيه، لأنّه علليهم لما قال: إنّ العلماء ورثة الأنبياء فكان سائلاً يسأل أي شيء أورثوا لهم؟ فأجاب بأنه لم يورثوا لهم الدرهم والدينار ولكن أورثوا لهم

الأحاديث، ولذا قال أحاديث من أحاديثهم، لأنّ جميع علومهم لم يصل إلى جميع العلماء، بل كل عالم أخذ منها بحسب قابلته واستعداده، ففي الكلام تقدير: أى لم يورثوا لهم، فيشعر بأنّ لهم ورثة يرثون أموالهم ولكن العلماء من حيث العلم لا يرثون إلا أحاديثهم، وهذا وجه وجيه وإن كان قريباً مما مرّ^(٢٤).

وعلى كل حال، فالإمام عَلَيْهِ السَّلَام يقول أيضاً أنّ «مَنْ أَخْذَ بِشَيْءٍ مِّنْهَا، فَقَدْ أَخْذَ حَظًّا وَأَفِرْأِ». ﴿٦﴾

أصل كل خير:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدِ حَيْزَرًا، فَقَهْهَهُ فِي الدِّينِ»^(٢٥). تقدم أنّ المراد من الفقه في الأحاديث: البصيرة في أمر الدين - وذلك بالتوفر على الاعتقادات الحقة والإتيان بالتكاليف الشرعية - وهل يكن لمن افتقر لهذا أن يجد خيراً؟ فالخير في معرفة الله عَزَّوجلَّ ودينه والخلل في الاعتقادات ونقصان العمل بالتكاليف شر.

إنّ الخير - قليله وكثيره - متفرّع عن التفقه في الدين ولذلك صح نفي الخيرية عن تارك التفقه، وقد قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ لبشير الدهان: «لَا حَيْزَرٌ فِيمَنْ لَا يَتَفَقَّهُ مِنْ أَصْحَابِنَا، يَا بَشِيرُ، إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ إِذَا لَمْ يَشْتَغِلْ بِفَقْهِهِ، اخْتَاجَ إِلَيْنِّي»^(٢٦)، فـإِذَا اخْتَاجَ إِلَيْنِّي، أَذْخُلُوهُ فِي بَابِ ضَلَالِهِمْ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ^(٢٧). حيث إنّ المؤمن وقد علم بتتكاليف توجهت إليه من المولى عَزَّوجلَّ لن يتركها؛ فإن لم يأخذها من أهلها أخذها من غيرهم فيفضل العياذ بالله عَزَّوجلَّ.

والحياة إن لم ترتبط بالله عَزَّوجلَّ لا يكون فيها هباء، وتحتول إلى شقاء ذلك أنه عَزَّوجلَّ^(٢٨) الحالق العالم بما يصلح شؤون المخلق، فإذا انسجم علم الإنسان وعمله - رؤيته الكونية وحركته السلوكية - مع الكون وأدرك ما يصلح شأنه سعد وكان عيشه خيراً، وإذا جهل بالله عَزَّوجلَّ أو بأفعاله وأخلّ بتطبيق شريعته لم يكن له الانسجام مع

الكون ولم يدرك ما به صلاحه فيشقى ويكون عشه كدرًا، ومن هنا نفهم ما رواه الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه عليهما السلام، قال: قال رسول الله عليهما السلام: «لا حَيْزٌ فِي الْعُيْشِ إِلَّا لِرَجُلَيْنِ: عَالِمٌ مُطَاعٌ، أَوْ مُسْتَمِعٌ وَاعِ»^(٢٨). فالخير في عيش الدنيا بما تقدم من معرفة الله تعالى وطاعته، وفي عيش الآخرة بالفوز بجواره في جنته، وقد حصر الإمام عليهما السلام نيل ذلك باثنين: العالم المطاع ولا يكون مطاعاً إلا بعد الأمر والنهي عند التبليغ والدعوة إلى الله عزوجل والعمل بما يدعوه له، المستمع الوعي الذي أخذ عن ذلك العالم وحفظ ما أخذه فهماً وعملاً.

العالم أفضل من العابد:

عن أبي عبد الله عليهما السلام، قال: قال رسول الله عليهما السلام: «وَفَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ النَّجْوَمِ لَيْلَةَ الْبَذْرِ»^(٢٩). وعن أبي جعفر الباقر عليهما السلام: «عَالَمٌ يَنْتَفِعُ بِعِلْمِهِ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفِ عَابِدٍ»^(٣٠). وعن معاوية بن عمارة، قال: قُلْتُ لِأَبِي عبد الله عليهما السلام: رَجُلٌ رَاوِيَةٌ لِحَدِيثِكُمْ يَبْثُثُ ذِلْكَ فِي النَّاسِ، وَيُشَدِّدُهُ فِي قُلُوبِهِمْ وَقُلُوبِ شِيعَتِكُمْ، وَكَعَلَّ عَابِدًا مِنْ شِيعَتِكُمْ لَيْسَتْ لَهُ هَذِهِ الرَّوَايَةُ، أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الرَّاوِيَةُ لِحَدِيثِنَا يَشْدُدُ بِهِ قُلُوبَ شِيعَتِنَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ»^(٣١).

من الواضح أنّ أفضلية العالم على العابد إنّما تكون إذا لم يكن العابد عالماً، وإلا فالعامل أفضل بلا شك، وكذلك الأمر في الرواية كما لا ريب في أنّ العالم إذا لم يكن عالماً بعلمه لا يستحقّ الأفضلية. وقد بيّنت الأحاديث أنّ الأفضلية إنّما تكون من جهة أنّ العالم ينفع بعلمه والرواية يثبت القلوب بروايته لحديث أهل البيت عليهما السلام، فالمراد -والله العالم- أنّ اشتغال العالم بتحصيل العلم والتعليم خير من اشتغال العابد المجهل بالعبادة أو من اشتغال العالم بالعبادة مع ترك وظيفته من إرشاد غيره وتعليمهم.

ذم تارك التفقه:

تعددت الأحاديث الشريفة التي تذمّ من يترك التفقه في الدين، وتعددت الجوانب التي طرق من خلالها المعصومون هذا الباب، فمن جهة أهمية تحصيص وقتٍ للتفقه في الدين ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفِ لِرَجُلٍ لَا يُفَرِّغُ نَفْسَهُ فِي كُلِّ جَمْعَةٍ لِأَمْرِ دِينِهِ؛ فَيَتَعَاهَدُهُ وَيَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ»^(٣٣).

"أصل الأُفِ": كل مستقدر من وَسَخٍ وَفُلامَةٍ ظُفْرٍ وما يجري مجرها، ويقال ذلك لكل مستخفٍ به استقداراً له^(٣٤) و"فيه ثلاثة لغات: الكسر والضم والفتح بلا تنونين، وأحسنـه الكسر، فإذا نوـنت فارفعـ، تقولـ: أـفـ، لأنـه يـصـيرـ اسمـاً بـمنـزلـهـ قولـكـ: وـيلـ لهـ"^(٣٥) والمشهور أنها تقال للتضجر ربـعاً استقداراً للمتضجر منهـ. وعلى أيـ حالـ فالحادـيثـ عنـ عـامـةـ المؤـمنـينـ منـ شـغـلـهـ المـعاشـ وـطـلـبـ الرـزـقـ عنـ تـلـمـعـ مـسـائـلـ الدـينـ -ـ منـ الأـصـولـ وـالـفـروعـ -ـ حيثـ يـذـمـ الإـمامـ عـلـىـ الـلـهـ منـ لاـ يـجـعـلـ لهـ وقتـاـ يـتـفـقـهـ فـيـ دـيـنـهـ وـيـجـدـ فـيـهـ مـعـلـومـاتـهـ الـدـينـيـةـ، وـذـلـكـ بـالـتـواـصـلـ مـعـ أـهـلـ الـعـلـمـ كـمـ يـدـلـ عـلـيـهـ قـوـلـهـ: «وَيَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ»، كما يـدـلـ قـوـلـهـ: «فِي كُلِّ جَمْعَةٍ» عـلـىـ أـلـاـ يـقـلـ ذـلـكـ عـنـ مـرـّـةـ فـيـ الـأـسـبـوـعـ.

وفي جهة شدة النكير على تاركي التفقه يروى عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لَوِدَثْ أَنَّ أَصْحَابِي صُرِبَتْ رُؤُوسُهُمْ بِالسِّيَاطِ حَتَّى يَتَفَهَّمُوا»^(٣٦)، وتتضح الشدة في خطاب الإمام عليه السلام حيث إنـه ذـكـرـ الرـؤـوسـ دونـ سـائـرـ أـعـضـاءـ الـجـسـمـ معـ آنـهـ أـشـرـفـهاـ وقدـ نـهـيـ عـنـ ضـربـهـ فـيـ الـحـدـودـ^(٣٧)، وـقـرـيبـ مـنـهـ ماـ وـرـدـ عـنـ آبـيـهـ الـبـاقـرـ عـلـىـ الـلـهـ: «لَوْ أُتِيتُ بِشَابٍ مِنْ شَبَابِ الشِّيَعَةِ لَا يَتَفَقَّهُ لِأَدْبُرِهِ»^(٣٨).

وفي جهة رجحان التفقه على العزلة روي أنـ رـجـلاـ قالـ لأـبـيـ عـبـدـ اللهـ عـلـىـ الـلـهـ: جـعـلـتـ فـيـدـاـكـ، رـجـلـ عـرـفـ هـذـاـ الـأـمـرـ لـزـمـ بـيـتـهـ وـلـمـ يـتـعـرـفـ إـلـىـ أـحـدـ مـنـ إـخـوـانـهـ؟ فـقـالـ: «كـيـنـفـ يـتـفـقـهـ هـذـاـ فـيـ دـيـنـهـ؟!»^(٣٩)، فقدـ اسـتـنـكـرـ الإـمامـ عـلـىـ الـلـهـ تركـ التـفـقـهـ فـيـ الـدـينـ

ولم يستنكر العزلة، وفي هذا تنبئه على ما جاءت به الشريعة من مدح الاعتزال مع مراعاة عدم التفريط في الواجبات الشرعية أو المندوبات ذات الأهمية.

ومن هنا يلزم الالتفات إلى مراعاة الأهم فالمهم عند الترجيح بين المتزاحمات، وهذا بنفسه يحتاج إلى تفقه وتعلم، والله أعلم بِحَكَمِ الْهَادِيِّ لِمَا فِيهِ الْخَيْرُ وَالصَّالِحُ.

ويحتمل أن يراد بالتفقه في هذا الحديث الشريف خصوص العلم بالأحكام الشرعية؛ وذلك لما ذكره السائل من أنّ الرجل يعرف هذا الأمر أي أمر الإمامة وهي من الأصول كما أنّ معرفته لا تتم إلا بمعرفة ما سواه من أصول الدين، إلا أنه يدفعه أنّ معرفة أمر الإمامة قد تكون إجمالية أو أولية فتحتاج إلى مزيد تعميق وتشبيط، فضلاً عن أنّ كثير من المسائل المتعلقة بأصول الدين مما لا يلامس أمر الإمامة مباشرة فلا ريب أنّ هناك حاجة لتعلمها، والله العالم.

العلم الحقيقي:

ما أكثر أبواب العلم والمعرفة، ولكل منها حاجة، فمنها ما يساعد على التفكير في الخلق ومعرفة الخالق، ومنها ما تتقدم به الحضارة البشرية ويعمر الإنسان الأرض، ومنها ما يوفر وسائل الراحة والرفاهية، ومنها غير ذلك. ولا ريب أنّ تعلم ما به قوام حياة المجتمعات وحفظ نظامها من الواجبات الكفائية التي تجحب بقدر ما يرفع الحاجة إليها وليس كلّ العلوم كذلك، وما يؤسف له أن يصرف الإنسان عمره الشرين في تحصيل علم لا ثمرة فيه لخدمة الإنسانية في الدنيا فضلاً عن أن يكون منتجاً للنجاة في الآخرة، ولا يغيب عن العارف بتاريخ العرب -خصوصاً في الجاهلية- انشغالهم بما لا فائدة فيه من العلوم وبهذا تطالعنا الرواية عن أبي الحسن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا جَمَاعَةٌ قَدْ أَطَافُوا بِرَجُلٍ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقَيْلَ: عَلَامٌ، فَقَالَ: «وَمَا الْعَلَامَةُ؟» فَقَالُوا إِلَهٌ: أَعْلَمُ النَّاسِ بِأَسَابِبِ الْعَرَبِ، وَوَقَائِعَهَا وَأَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْأَشْعَارِ وَالْعَرَبِيَّةِ.

قالَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «ذَاكَ عِلْمٌ لَا يَصْرُئُ مَنْ جَهَلَهُ، وَلَا يَتَنَعَّمُ مَنْ عَلِمَهُ»، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّمَا الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ : آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، وَمَا خَلَاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ»^(٤٠).

انشغال أفراد المجتمع بعلم لا يضمن لهم الفوز في آخرتهم أو على الأقل تقدم مجتمعهم مع إهمال العلوم التي تؤدي لذلك أمر خطير، لذلك كان لازماً على الرسول ﷺ أن يُرَشِّد هذه الظاهرة وأن يصحح البواصلة، فبين أن العلم الحقيقي الذي ينبغي اكتسابه هو ما كان فقدانه ضرراً والعلم به نفعاً، وليس ذلك غير علم الدين -بأصوله وفروعه- وقد عبر عنه ﷺ بثلاثة أقسام اختلفت أقوال العلماء في بيان المراد منها، ولعل المناسب أن الآية المحكمة هي العلم بالأصول الاعتقادية والفرضية العادلة هي العلم بالأحكام الشرعية والسنن القائمة هي العلم بتهذيب الأخلاق، كما نسب للسيد الداماد قدس شرطه^(٤١)، أما غير ذلك من العلوم فهو فضل أي زيادة قد تكون مفيدة وقد لا تكون كذلك، وعليه وبعد تحصيل الواجب العيني من المعرف الذي تقدم بيانه لا مانع من اكتساب غيره من العلوم خصوصاً تلك التي تفيد المجتمع وتتقدم بالحضارة، ومن نافلة القول بيان أن الترخيص لا يشمل العلوم التي منع منها الشارع وتفصيل ذلك موكل إلى محله.

طريق إلى الجنة:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُّ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضَا بِهِ، وَإِنَّهُ لَيَشْتَغِفُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحُوتَ فِي الْبَحْرِ، وَفَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ النُّجُومِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَئِمَّةِ؛ إِنَّ الْأَئِمَّةَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينًا وَلَا ذِرَّةً، وَلَكِنْ وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ مِنْهُ، أَخَذَ بِمَحَظَّهِ وَأَفِرَّ»^(٤٢).

خلق الله بِرَوْقَانَ الجنة ثواباً من عبده وأطاعه، وطاعة الله بِرَوْقَانَ لا تحصل بدون علم بالتكليف -الواجبة لبيتها بها والمحرمة لتجنبها- فكان العلم بها وبشروطها مقدمة لحصول الطاعة واستحقاق الجنة، وبذلك اتضح المراد بالعلم في الحديث، ولا يختص هذا بعلم الفقه؛ لوضوح أن العادات لا تتم بدون معرفة المعبد على وجه يتحقق قصد التقرب والامتثال. ثم إنّه لعظم خطر هذا العلم وقدره وأهمية طلب العلم تضع الملائكة لطالب العلم أجنحتها ويستغفر له من في السماء ومن في الأرض^(٤٣).

أحبّ عباد الله:

عَنْ عَلَيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، لَطَلَبُوهُ وَلَوْ إِسْفَكَ الْمَهْجَ، وَخَوْضَ الْلَّجَجِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَوْحَى إِلَى دَانِيَالَ: أَنَّ أَمْقَاتَ عِيْدِي إِلَيَّ الْجَاهِلُ الْمُسْتَخْفُ بِحَقِّ أَهْلِ الْعِلْمِ، التَّارِكُ لِلْاقْتِدَاءِ بِهِمْ؛ وَأَنَّ أَحَبَّ عِيْدِي إِلَيَّ الْتَّقِيُّ الْطَّالِبُ لِلتَّوَابِ الْجَزِيلِ، الْلَّازِمُ لِلْعَامَاءِ، التَّابِعُ لِلْحَامَاءِ، الْقَابِلُ عَنِ الْحَكَمَاءِ»^(٤٤).

ما أصعب أن يبذل الإنسان دمه إلا أنه يبذل في سبيل ما ارتفع شأنه وعلا قدره، وطلب العلم له هذه المنزلة الشريفة والمكانة العالية، ولذلك بين الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ استحقاق طلب العلم لتحمل المشاق وتجسم الصعب باستحقاقه سفك المهج و"المهجة": دم القلب، ولا بقاء للنفس بعدما ترك مهجه^(٤٥)، وخوض اللجج و"الجح" البحر حيث لا ترى أرض ولا جبل^(٤٦)، ثم إنّه عَلَيْهِ السَّلَامُ ذكر في فضل طالب العلم ما أوحاه الله بِرَوْقَانَ لنبيه دانيال من أنّ الله يبغض الجاهل المستخف بحق أهل العلم من الاقتداء والإتباع دون الجاهل المتقي الذي يطلب الثواب الكبير بأدائه لحق العلماء من الملازمة والإتباع لهم والقبول عنهم، فهذا هو أحب عباد الله بِرَوْقَانَ إليه، وفي وصف أهل العلم بالحلم والحكمة إشعار بأنّ المطلوب الاقتداء به هو العالم العامل بعلمه لا غيره.

خيرٌ من الدنيا وما فيها:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «**حَدِيثُ فِي حَلَالٍ وَحَرَامٍ تَأْخُذُهُ مِنْ صَادِقٍ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ**»^(٤٧) ، الكلام في هذا الحديث الشريف عن خصوص علم الفقه والأحكام الشرعية كما هو واضح، وفيه أن تعلم حديث واحد في الحلال والحرام أفضل عند الله عزوجل من ملك الدنيا وما فيها من الكنوز، ولكن ذلك إذا انتهى الحديث إلى صادق، والظاهر أن المراد به أحد المعصومين من أهل البيت عليهم السلام لقوله عزوجل: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**»^(٤٨) ، ويكفي في ذلك اتباع الطرق المعتمدة في نقل الحديث لا أي طريق كان.

وفي فضل السؤال عن الحلال والحرام قال يعقوب بن قيس البجلي رحمه الله قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام : إِنَّ لِي ابْنًا قَدْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَكَ عَنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، لَا يَسْأَلُكَ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ . قالَ فَقَالَ لِي : «**وَهُلْ يَشَأُ النَّاسُ عَنْ شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ**»^(٤٩) .

الفصل الرابع: الغاية والهدف من طلب العلم

تمهيد:

إنّ الغاية والهدف من طلب العلم وثرة هذا السعي المبارك هي العمل به، وهذا مما لا يغيب عن المطالع في الروايات الشريفة عن أهل البيت عليهم السلام ، فقد تكرر منهم عليهم السلام بيانه والتأكيد على خسران من حصل العلم وأهمل العمل، وقد تلقفه منهم العلماء وسطروه في كتبهم وأكّدوا عليه كما أكّدّ أئمتهم عليهم السلام .

قال الخواجة الطوسي قَتَّشُ : " هو [أي العلم] الوسيلة إلى السعادة الأبدية، إن وقع العمل على مقتضاه"^(٥٠) ، وقال الشهيد الثاني قَتَّشُ : "اعلم أنَّ العلم بمنزلة الشجرة والعمل بمنزلة الشمرة والغرض من الشجرة المثمرة ليس إلا ثمرتها أما شجرتها بدون الاستعمال فلا يتعلق بها غرض أصلًا فإنَّ الانتفاع بها في أي وجه كان ضرب من الشمرة بهذا

المعنى^(٥١):

واللهم هنا أن نفرّ بجملة من النصوص الدينية لتتضح لنا من خلال مطالعتها
محورية العمل كغاية وهدف من طلب العلم.

العلم والعمل لله ﷺ:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ تَعْلَمَ الْعِلْمَ وَعَمَلَ بِهِ وَعَلَمَ لِلَّهِ، دُعِيَ فِي مَلْكُوتِ السَّمَاوَاتِ عَظِيمًا، فَقَيْلَ: تَعْلَمَ لِلَّهِ، وَعَمَلَ لِلَّهِ، وَعَلَمَ لِلَّهِ»^(٥٢).

نعم تقدّم منا أنّ الغرض من طلب العلم هو العمل به، إلا أنّ هذا العمل المطلوب هو العمل لله ﷺ، هذا هو الغرض الحقيقي من طلب العلم وهو الذي تتفرع عنه جميع الأغراض المحمودة الأخرى، ولذلك نجد في حديث آخر عن أبى عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذِيَّلَهُ يَقُولُ: تَذَاكِرُ الْعِلْمُ بَيْنَ عِبَادِي هَمَّا تَحْتَنَا عَلَيْهِ الْقُلُوبُ الْمَيِّتَةُ إِذَا هُمْ انْتَهُوا فِيهِ إِلَى أَمْرِي»^(٥٣). فالمطلوب من طلب العلم أن ينتهي إلى أمر الله عَزَّ ذِيَّلَهُ؛ وستحيي به القلوب الميّة وسيشمر الشمرات المباركة، هذا هو العلم الذي يقصده رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: «تَذَاكِرُوا وَتَلَاقُوا وَتَحْدَثُوا؛ فَإِنَّ الْحَدِيثَ جَلَاءً لِلْقُلُوبِ؛ إِنَّ الْقُلُوبَ لَتَرِينَ كَمَا يَرِينَ السَّيْفَ، جَلَاؤُهَا الْحَدِيثُ»^(٥٤).

طلبة العلم ثلاثة:

عن أبى عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «طَلَابُ الْعِلْمِ ثَلَاثَةٌ، فَأَعْرِفُهُمْ بِأَعْيُانِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ: صِنْفٌ يَطْلُبُهُ لِلْجَهْلِ وَالْأَرْاءِ، وَصِنْفٌ يَطْلُبُهُ لِلْإِسْتِطَالَةِ وَالْخُتْلِ، وَصِنْفٌ يَطْلُبُهُ لِلْفَقْهِ وَالْعُقْلِ، فَصَاحِبُ الْجَهْلِ وَالْأَرْاءِ مُؤْذِنٌ، مُهَارٌ، مُتَعَرِّضٌ لِلْمَقَالِ فِي أَنْدِيَةِ الرِّجَالِ بِتَذَاكِرِ الْعِلْمِ وَصِفَةِ الْحَلْمِ، قَدْ تَسْرِبَ^(٥٧) بِالْحَشْوَعِ، وَخَلَى مِنَ الْوَرَعِ، فَدَقَّ اللَّهُ مِنْ هَذَا حَيْنِشُومَهُ^(٥٨)، وَقَطَعَ مِنْهُ حَيْزُونَمَهُ^(٥٩)؛ وَصَاحِبُ الْإِسْتِطَالَةِ وَالْخُتْلِ ذُو خَبِّ^(٦٠) وَمَلَقَ^(٦١)، يَسْتَطِيلُ عَلَى مِثْلِهِ مِنْ أَشْبَاهِهِ، وَيَتَوَاضَعُ لِلْأَغْنِيَاءِ مِنْ دُونِهِ، فَهُوَ لِحَلْوَاتِهِ هَاضِمٌ، وَلِدِينِهِ حَاطِمٌ،

فَأَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى هَذَا حَبَّةً، وَقَطَعَ مِنْ آثَارِ الْعُلَمَاءِ أُثْرَهُ؛ وَصَاحِبُ الْفِقْهِ وَالْعُقْلِ ذُو كَابَةٍ
وَحَرَّنَ وَسَمِّرَ، قَدْ تَحْنَكَ^(٦٢) فِي بُزُّنِسِهِ^(٦٣)، وَقَامَ اللَّيلَ فِي حَنْدِسِهِ^(٦٤)، يَعْمَلُ وَيَخْشَى وَجَلَّا
دَاعِيَا مُشْفِقاً، مُقْبِلاً عَلَى شَأْنِهِ، عَارِفًا بِأَهْلِ زَمَانِهِ، مُسْتَوْجِحَا مِنْ أَوْتَقِ إِخْوَانِهِ، فَشَدَّ
اللَّهُ مِنْ هَذَا أَزْكَانَهُ، وَأَغْطَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَانَهُ^(٦٥).

صَنْفُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ طَلَبُ الْعِلْمِ وَفَقَادُهُ لِأَغْرِاضِهِمْ إِلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ، فَذَمَّ الْأَوْلَى
وَمَدْحَ الْآخِرِ:

فَأَمَّا الْأَوْلُ فَهُوَ الَّذِي يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِلْجَهْلِ وَالْمَرَاءِ، وَالْجَهْلُ نَقْبِضُ الْعِلْمَ^(٦٦) وَلَعِلَّ
مَرَادُهُ الْجَهَالَةُ وَهِيَ أَنْ يَفْعُلَ فَعْلًا بَدْوَنِ عِلْمٍ^(٦٧)، وَالْمَرَاءُ الشُّكُّ وَالْتَّكْذِيبُ^(٦٨) وَكَثِيرًا
مَا يَسْتَعْمِلُ فِي الرِّوَايَاتِ وَيَرَادُ بِهِ الْجُدُلُ بِالْبَاطِلِ، وَهَذَا الصَّنْفُ لَا يَرْاعِي مَقْتَضَى
الْعِلْمِ وَإِنْ تَظَاهِرَ بَأْنَهُ مِنْ أَهْلِهِ. نَعَمُ، فَعْمَلَهُ تَصْنَعُ الْحَلْمِ وَإِشَارَةُ الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ فِي
الْمَحَالِسِ وَالْمَنْتَدِيَّاتِ، فَهُوَ وَإِنْ كَانَ يَظْهُرُ الْعَمَلُ بِعِلْمِهِ؛ إِلَّا أَنَّ عَمَلَهُ لَيْسُ هُوَ الْمَرَادُ
وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ لِلَّهِ - كَمَا تَقْدُمُ - هَذَا مَرَادُهُ تَحْصِيلُ الْوِجَاهَةِ بِالظَّهُورِ وَالتَّمِيزِ
بَيْنَ الْأَقْرَانِ وَفِي نَظَرِ الْعَوَامِ، وَلَذِلِكَ يَتَظَاهِرُ بِالْخُشُوعِ وَإِنْ كَانَ وَاقِعُهُ خَالِيًّا مِنَ الْوَرَعِ.
مُثْلُ هَذَا عَاقِبَتِهِ سَيِّئَةٌ حِيثُ إِنَّهُ سَرَعَانٌ مَا يَفْتَضِحُ كَالَّذِي كُسِّرَ أَنْفُهُ فَلَا يَكْنِهُ سَرَرٌ
عَيْبَهُ وَجَهَلَهُ، وَيَوْمَ ذِكْرِهِ كَالَّذِي قَطَعَ صَدْرَهُ.

وَأَمَّا الثَّانِي فَهُوَ الَّذِي يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِلْاسْتِطَالَةِ وَالْحَتْلَةِ، وَ"الْاسْتِطَالَةُ" عَلَى النَّاسِ
إِذَا هُوَ رَفَعَ رَأْسَهُ وَرَأَى أَنَّ لَهُ عَلَيْهِمْ فَضْلًا فِي الْقَدْرِ^(٦٩)، وَ"الْحَتْلَةُ": [أَنَّ] تَخَادِعَ عَنْ
غَفْلَةٍ^(٧٠)، وَهَذَا فِي وَاقِعِهِ طَالِبُ دُنْيَا، يَرْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَعَالَى عَلَى أَمْثَالِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ
- الَّذِينَ يَجْبُ عَلَيْهِ التَّوَاضُعُ لَهُمْ - لَأَنَّ طَلَبَهُ لَيْسَ عِنْهُمْ، بَيْنَمَا يَتَذَلَّلُ لَمَنْ هُمْ دُونَهُ
عَلِمًا وَفَهْمًا مِنْ أَهْلِ الْمَالِ وَالسُّلْطَانِ، فَيَعْطِيهِمْ دِينَهُ طَلَبًا لِدُنْيَاِهِمْ، وَلَا تَخْتَلِفُ عَاقِبَتِهِ
عَنْ سَابِقِهِ حِيثُ لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنْ خَبْرِهِ وَلَا بَقِيَّةٌ مِنْ أُثْرِهِ.

وَفِي ذَمِ هَذِينِ وَرَدَ أَنَّ أَبَا جَعْفَرَ الْبَاقِرَ عَلَيْهِ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيَتَاهِي بِهِ

الْعَمَاءُ، أَوْ يُمارِي بِهِ السَّفَهَاءُ، أَوْ يَضْرِفُ بِهِ وُجُوهُ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَلَيَبْتُوا مَقْعَدَهُ مِنَ التَّارِ؛
إِنَّ الرِّئَاسَةَ لَا تَضُلُّ إِلَّا لِأَهْلِهَا»^(٧١).

وأمّا الثالث فهو الذي يطلب العلم للفقه والعقل، وهذا المخصوص بالمدح بينهما وذلك لما كان منه من الاستفادة من العلم والعمل به، حتى ظهر ذلك في حاله من اهتمامه وانشغاله بنفسه وتهذيبها وكبح جماح غضبها وانفلات شهوتها، مستعملاً للعلم فيما يحرز به حسن الخاتمة من العبادة والعمل الصالح، لم تشغله الدنيا وأهلها، فعاقبته ثبات القدم عند الزلات والفوز حين الفزع الأكبر بعلو الدرجات، حيث إنّه من أهل الإشراق والخشية. وفي هذا قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»^(٧٢) قال: «يَعْنِي بِالْعُلَمَاءِ مَنْ صَدَقَ فِعْلَةً قَوْلَهُ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ فِعْلَةً قَوْلَهُ، فَلَيْسَ بِعَالِمٍ»^(٧٣).

تكامل العلم والعمل:

عَنِ الْإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَ وَزِيرُ الْإِيمَانِ الْعِلْمُ، وَنِعْمَ وَزِيرُ الْعِلْمِ الْحَلْمُ، وَنِعْمَ وَزِيرُ الْحَلْمِ الرِّيقُ، وَنِعْمَ وَزِيرُ الرِّيقِ الْعِبْرَةُ»^(٧٤). وَعَنْ الْحَسَنِ الصَّيْقَلِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلاً إِلَّا بِمَعْرِفَةٍ، وَلَا مَعْرِفَةٍ إِلَّا بِعَمَلٍ؛ فَمَنْ عَرَفَ، ذَلِكَ الْمَعْرِفَةُ عَلَى الْعَمَلِ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ، فَلَا مَعْرِفَةَ لَهُ، أَلَا إِنَّ الْإِيمَانَ بِعَضُهُ مِنْ بَعْضٍ»^(٧٥).

فالإيمان الذي يعتمد على العلم، لا يعتمد على أي علم بل على العلم المقوّن بالحلم والرفق والعبرة، أي المقوّن بالعمل الذي يشده ويعضده وينمييه. وفي هذا السياق أيضاً قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْعِلْمُ مَغْرُونٌ إِلَى الْعَمَلِ؛ فَمَنْ عَلِمَ عَمَلَ، وَمَنْ عَمِلَ عَلِمَ، وَالْعِلْمُ يَهْتَفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ، وَإِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ»^(٧٦).

وقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كَلَامِهِ خَطَبَ بِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ: «أَهِمُّ النَّاسِ، إِذَا عَلِمْتُمُوهُ بِمَا عَلِمْتُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ؛ إِنَّ الْعَالَمَ الْعَالِمَ بِغَيْرِهِ كَاجْهَاهِ الْخَائِرِ الَّذِي لَا

يَشْفَقُ عَنْ جَهَنَّمِهِ، بَلْ قَدْ رَأَيْتُ أَنَّ الْحُجَّةَ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالْخَسْرَةَ أَذَوْمُ عَلَى هَذَا الْعَالَمِ
الْمُنْسَلِخِ مِنْ عِلْمِهِ مِنْهَا عَلَى هَذَا الْجَاهِلِ الْمُنْتَخِبِ فِي جَهَنَّمِهِ، وَكَلَّا لَهُمَا حَاجَةٌ بَإِيمَانِهِ^(٧٧)».^(٧٨)

العلاقة بين العلم والعمل تكاملية؛ بحيث يتتكامل كل منهما بالآخر والعكس، فلو ترك العالم العمل بعلمه يتناقص علمه حتى يكون كالجاهل، وتكون هذه منزلته الواقعية مهما كانت المصطلحات والمسائل التي يحفظها، فعاقبته البوار والهلاك. وفي الخبر أنه جاءَ رَجُلٌ إِلَى عَلَيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَأَلَهُ عَنْ مَسَائِلَ فَأَجَابَ، ثُمَّ عَادَ لِيَسْأَلَ عَنْ مِثْلِهَا، فَقَالَ عَلَيِّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَكْتُوبٌ فِي الإِنْجِيلِ: لَا تَطْلُبُوا عِلْمًا مَا لَا تَغْتَمُونَ وَلَمَّا تَغْمِلُوا بِمَا عَلِمْتُمْ، فَإِنَّ الْعِلْمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِهِ، لَمْ يَرِدْ صَاحِبُهُ إِلَّا كُفَّرًا، وَلَمْ يَرِدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُغْدًا»^(٧٩).

العلم للتعليم:

وردت الكثير من الأخبار تؤكد على أهمية التعليم ونشر العلم وتبلیغ الدين ورد الشبهات وحفظ التراث الديني، بحيث يظهر منها أن هذه الحركة العلمية بختلف أبعادها غاية وهدف لا بد من أن ينتهي إليها طلب العلم، فمنها:

عن رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدَعُ فِي أُمَّتِي، فَلَا يُظْهِرُ الْعَالَمُ عِلْمَهُ، فَمَنْ لَمْ يَفْعُلْ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ»^(٨٠)، وهذا يدل على وجوب رد الشبهات ودفع المنكرات.

وفي الحديث على التعليم جاء عن مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ: عن الإمام محمد الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «إِنَّ الَّذِي يَعْلَمُ الْعِلْمَ مِنْكُمْ لَهُ أَجْرٌ مِثْلُ أَجْرِ الْمُتَعَلِّمِ، وَلَهُ الْفَضْلُ عَلَيْهِ، فَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنْ حَلَّةِ الْعِلْمِ، وَعَلِمُوهُ إِخْرَانَكُمْ كَمَا عَلِمْكُمُوهُ الْعَلَمَاءُ»^(٨١).

وروي أن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «رَزْكَةُ الْعِلْمِ أَنْ تَعْلَمَهُ عِبَادُ اللَّهِ»^(٨٢).

ومثله ورد عن أبي الجارود، قال: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرَ عَلَيْهِ السَّلَامَ يَقُولُ: «رَحْمَ اللَّهُ عَبْدًا أَخْيَا الْعِلْمَ». قال: قُلْتُ: وَمَا إِحْيَاوْهُ؟ قال: «أَنْ يُنَذَاكِرِيهِ أَهْلَ الدِّينِ وَأَهْلَ الْوَرَعِ»^(٨٣).

وَعَنِ الْإِمَامِ جَعْفِرِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «قَرَأْتُ فِي كِتَابٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُأْخُذْ عَلَى الْجَهَالِ عَهْدًا بِطَلَبِ الْعِلْمِ حَتَّى أَخُذَ عَلَى الْعَلَمَاءِ عَهْدًا بِتَدْلِيلِ الْعِلْمِ لِلْجَهَالِ؛ لَأَنَّ الْعِلْمَ كَانَ قَبْلَ الْجَهَالِ»^(٨٤).

وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تَقَرَّبُوا فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا مَنْ لَمْ يَتَقَرَّبْهُ مِنْكُمْ فِي الدِّينِ، فَهُوَ أَخْرَاهُ؛ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: «لَيَتَقَرَّبُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ»^(٨٥)». (٨٦)

وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ: «مَنْ حَفِظَ مِنْ أَحَادِيثِنَا أَزْبَعَنَ حَدِيثًا، بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمًا فَقِيهًّا»^(٨٧).

نعم، هذه الحركة العلمية مطلوبة لكنها مقيدة بالعمل الشخصي بالعلم ذلك العمل الذي يكون خالصاً لله عز وجل، وإلا فإن هذا التعليم والدفاع عن الدين والتبلیغ لا يكون له أثر، بينما إذا كانت هذه الحركة خالصة لوجه الله عز وجل كانت هي بنفسها عملاً بالعلم وكان لها الأثر المبارك الطيب، ويدل على هذا الكثير من الأخبار أيضاً منها:

عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْعِلْمُ؟ قَالَ: «الْإِنْصَافُ»، قَالَ: ثُمَّ مَاهُ؟ قَالَ: «الْاسْتِمَاعُ»، قَالَ: ثُمَّ مَاهُ؟ قَالَ: «الْحِفْظُ»، قَالَ: ثُمَّ مَاهُ؟ قَالَ: «الْعَمَلُ بِهِ»، قَالَ: ثُمَّ مَاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الشُّرُوهُ»^(٨٨). فلا يكون نشر العلم وتبلیغه إلا بعد العمل به.

وَعَنْ سُلَيْمَ بْنِ قَيْسِ الْهَلَالِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ فِي كَلَامِهِ: «الْعَلَمَاءُ رَجُلَانِ: رَجُلٌ عَالِمٌ آخُذُ بِعِلْمِهِ، فَهُدَا نَاجٍ، وَعَالِمٌ تَارِكٌ لِعِلْمِهِ، فَهُدَا هَالِكٌ، وَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَتَأذُونَ مِنْ رِيحِ الْعَالَمِ التَّارِكِ لِعِلْمِهِ، وَإِنَّ أَشَدَّ أَهْلِ النَّارِ نَدَامَةً وَحَسْرَةً رَجُلٌ دَعَا عَنْدَهُ إِلَى اللَّهِ، فَاسْتَجَابَ لَهُ وَقِيلَ مِنْهُ، فَأَطَاعَ اللَّهَ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَأَدْخَلَ الدَّاعِي النَّارَ بِتَرْكِهِ عِلْمَهُ، وَاتِّبَاعِهِ الْهُوَى، وَطُولَ

العلم للدنيا:

يجب على طالب العلم أن يحترس أشد الاحتراس، ويحذر كل الحذر من أن يكون هدفه من طلب العلم تحصيل الدنيا وغرياتها فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «من أراد الحديث لمتنعة الدنيا، لم يكن له في الآخرة نصيب؛ وَ مَنْ أَرَادَ بِهِ خَيْرَ الْآخِرَةِ، أَغْطَاهُ اللَّهُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»^(٩١). وعنده عليه السلام قال: «أَغْطَاهُ اللَّهُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»^(٩٢). وعن أبي عبد الله عليه السلام : «الْفَقِهَاءُ أَمْنَاءُ الرَّسُولِ مَا لَمْ يَذْكُلُوا فِي الدُّنْيَا»، قيل: يا رسول الله، وما دُخُولُهُمْ فِي الدُّنْيَا؟ قال: «اتِّبَاعُ السُّلْطَانِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، فَاخْدُرُوهُمْ عَلَى دِينِكُمْ»^(٩٣).

الفصل الخامس: نصائح أهل البيت عليهما السلام لطلاب العلوم الدينية

تمهيد:

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «إِنَّ - أَهْلَ الْبَيْتِ - شَجَرَةُ النَّبِيَّةِ، وَمَوْضِعُ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَافُ الْمَلَائِكَةِ، وَبَيْثُ الرَّحْمَةِ، وَمَغْدِنُ الْعِلْمِ»^(٩٤). و "المعدن": مكان كل شيء، أصله ومبدؤه^(٩٥). وعليه فأهل البيت عليهما السلام هم أصل العلم ومبتدؤه، ومن أراد العلم فمنهم يطلبها، وكثير طالب العلم ولم يدخل أهل البيت عليهما السلام بشه ونشره، إلا أن قلة استفادت منهم وليس ذلك إلا لأن أكثر الناس لم تعرف كيف تطلب العلم أو كيف تحافظ به، وقد شخص أهل البيت عليهما السلام هذا الخلل فعالجوه في كلماتهم وبشوه ضمن وصاياتهم وتنبيهاتهم، وهذه بعض وصاياتهم وكلماتهم في النصيحة لطلاب العلم:

ذكر الله:

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق ع عليهما السلام، قال: قال رسول الله عليهما السلام: «قالت الحواريون ليعيسى: يا روح الله، من تجالس؟ قال: من تذكرون الله رؤيته، ويزيد في علمكم منظقة، ويرغبكم في الآخرة عمله»^(٩٥).

عن يوئس رفعه، قال: قال لقمان لابنه: «يا بني، اختر التجالس على عينيك، فإن رأيت قوماً يذكرون الله جل وعز، فاجلس معهم؛ فإن تكون عالماً، نفعك عالمك، وإن تكون جاهلاً، عالموك، ولعل الله أن يظلكم بمحنته؛ فتعملك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله، فلا تجلس معهم؛ فإن تكون عالماً، لم يتغافل عالمك، وإن كنت جاهلاً، يزدوك جهلاً، ولعل الله أن يظلهم بعقوبة؛ فتعملك معهم»^(٩٦).

ولذكر الله عزوجل معنىً أوسع من الذكر اللساني، والمناسب لطالب العلم أن يعيش الذكر القلبي لله عزوجل، فيكون كل وجوده له وكل حركته له، فيتوفر بذلك على الإخلاص الذي يرفع العمل ويزكي العلم.

انتخاب الأستاذ:

عن أبي عبد الله الصادق ع عليهما السلام، قال: «إن العلماء ورثة الأنبياء، وذاك أن الأنبياء لم يورثوا ذرها ولا ديناراً، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ شيئاً منها، فقد أخذ حظاً وافراً، فأنظروا علمكم هذا عمن تأخذونه؟ فإن فينا -أهل البيت- في كل حلف عدواً ينفون عنه تحريف الغالين واتخال المبطلين وتأويل الجاهلين»^(٩٧).

عن زيد الشحام عن الإمام محمد الباقر ع عليهما السلام في قول الله عزوجل: «فلينظر الإنسان إلى طعامه»^(٩٨). قال: قلت: ما طعامه؟ قال: «علمه الذي يأخذ، عمن يأخذ»^(٩٩).

تقدّم أنّ أهل البيت ع عليهم السلام هم معدن العلم فعنهم يؤخذ، إلا أنّ ما ذكروه له معنىً عام يؤدي إلى أن يحرص طالب العلم على انتخاب أستاذه؛ إذ ليس كل من

رعاية الآداب مع الأستاذ:

نصب نفسه للتدرис أهل لذلك، وليس كل من نقل عن أهل البيت عليهما السلام أهل للنقل عنهم، فانتخاب الأستاذ المناسب والمؤهل من أهم وصايا أهل البيت عليهما السلام.

بعد أن يُحسن طالب العلم اختيار أستاده يلزم عليه لاحقاً أن يراعي معه آداباً وسلوكيات، يكون براعتها مؤدياً لحق وبذلك يستحقق من الله تعالى أن ينزل عليه بركاته ويفيض عليه العلم والفهم.

من هذه الآداب ما روی عن أبي عبد الله عليهما السلام، قال: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ حَقِّ الْعَالَمِ أَنْ لَا تُكْثِرَ عَلَيْهِ السُّؤَالُ، وَلَا تَأْخُذَ بِشَوْبِهِ، وَإِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ -وَعِنْهُ قَوْمٌ- فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ جَيِّعاً، وَحُصَّهُ بِالْحَجَّيَةِ دُوَمَّهُمْ، وَاجْلِسْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَا تَجْلِسْ خَلْفَهُ، وَلَا تَغْمِزْ بَعْنِيْكَ، وَلَا تُشْرِنْ بِيَدِكَ، وَلَا تُكْنِزْ مِنْ قَوْلٍ: قَالَ فُلَانٌ وَقَالَ فُلَانٌ خَلْفًا لِقَوْلِهِ، وَلَا تَضْجِرْ بِطُولِ صَحْبَتِهِ؛ فَإِنَّمَا مَثُلُ الْعَالَمِ مَثُلُ النَّحْلَةِ تَنْتَظِرُهَا مَتَى يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ، وَالْعَالَمُ أَغْنَمُ أَجْرًا مِنَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، الْغَازِيِّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١٠٠).

ومنها ما جاء في رسالة الحقوق عن سيد العابدين عليه السلام بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام قال: «حَقُّ سَائِسَكَ بِالْعِلْمِ التَّعْظِيمُ لَهُ وَالتَّوْقِيرُ لِمَجْلِسِهِ وَحُشْنُ الاستِمَاعِ إِلَيْهِ وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ وَأَنْ لَا يَرْفَعَ عَلَيْهِ صَوْتَكَ وَلَا تُحْبِبَ أَحَدًا يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُحِبِّبُ وَلَا تُحَدِّثَ فِي مَجْلِسِهِ أَحَدًا وَلَا تَغْتَابْ عِنْدَهُ أَحَدًا وَأَنْ تَدْفَعَ عَنْهُ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَكَ بِسُوءٍ وَأَنْ تَسْتَرْ عَيْوبَهُ وَتُتَهْرِرْ مَنَاقِبَهُ وَلَا تُجْهَالِسْ لَهُ عَدُواً وَلَا تَعَاوِي لَهُ وَلِيَا فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ شَهِدَ لَكَ مَلَائِكَةُ اللَّهِ بِأَنَّكَ قَصَدْتَهُ وَتَعَانَقْتَ عِلْمَهُ لِلَّهِ بَجْلَ اسْمَهُ لَا لِلنَّاسِ»^(١٠١).

الاستفهام والسؤال:

عن الإمام جعفر الصادق عليهما السلام قال: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ عَلَيْهِ قُلْ، وَمَفْتَاحُهُ

الْمَسَأَةُ»^(١٠٢)

ولا تعارض بين هذا وما تقدم فالمراد ألا يؤذى الطالب أستاذه بكثرة المسألة والإلحاح، ولا مانع من أن يستفهم منه بالطرق المناسبة والأوقات الملائمة، بل هو المطلوب وهو مفتاح العلم.

الإِنْصَاتُ وَحْسَنُ الْاسْتِمَاعِ:

عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْعِلْمُ؟ قَالَ: «الإِنْصَاتُ»، قَالَ: ثُمَّ مَاهُ؟ قَالَ: «الْاسْتِمَاعُ»، قَالَ: ثُمَّ مَاهُ؟ قَالَ: «الْحِفْظُ»، قَالَ: ثُمَّ مَاهُ؟ قَالَ: «الْعَمَلُ بِهِ»، قَالَ: ثُمَّ مَاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الشُّرُوهُ»^(١٠٣).

الْتَّفَهُمُ وَالْتَّدَبْرُ وَالْتَّفَكُرُ:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَلَا أَخْيُرُكُمْ بِالْفَقِيهِ حَقِيقَةً؟! مَنْ لَمْ يَقْنَطْ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يَوْمِنْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلَمْ يَرْجِعْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ، وَلَمْ يَثْرِكِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ؛ أَلَا لَا خَيْرٌ فِي عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَقْهِيمٌ، أَلَا لَا خَيْرٌ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدْبِيرٌ، أَلَا لَا خَيْرٌ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفْكُرٌ»^(١٠٤).

الاستعاة بالعبادة:

تقدّم أنّ أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: « طَلَبُهُ الْعِلْمُ ثَلَاثَةُ، فَاغْرِيْهُمْ بِأَعْيَانِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ: صِنْفٌ يَطْلُبُهُ لِلْجَهْلِ وَالْأَيْرَاءِ، وَصِنْفٌ يَطْلُبُهُ لِلْاِسْتِطَالَةِ وَالْخَتْلِ، وَصِنْفٌ يَطْلُبُهُ لِلْفَقِيهِ وَالْعُقْلِ... وَصَاحِبُ الْفَقِيهِ وَالْعُقْلِ دُوَّ كَابَةً وَخَرَنَ وَسَرِّ، قَدْ تَحْكَمَ فِي بَرُّهُسِهِ، وَقَامَ اللَّيلَ فِي جَنِيسِهِ، يَعْمَلُ وَيَخْشى وَجْلًا دَاعِيًّا مُشْفِقًا، مُفْلِأً عَلَى شَأنِهِ، عَارِفًا بِأَهْلِ زَمَانِهِ، مُسْتَوْجِحًا مِنْ أَوْثَقِ إِخْرَانِهِ»^(١٠٥).

العمل بما يتعلم:

ليس العمل بالعلم غاية وهدفًا لطلبه فقط، بل يشكل أيضًا سبباً لتحصيله التحصيل المبارك والثمر؛ لذلك يحرص أئمة أهل البيت عليهم السلام على أن يراعي طالب العلم العمل بما تعلمه لتحلّ البركة في سعيه وطلبه.

وقد جاءَ رجُلٌ إلى عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَسَأَلَهُ عَنْ مَسَائِلَ فَأَجَابَ، ثُمَّ عَادَ لِيَسْأَلَ عَنْ مِثْلِهَا، فَقَالَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: «مَكْتُوبٌ فِي الإِنجِيلِ: لَا تَطْلُبُوا عِلْمًا مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلَمَا تَعْمَلُوا بِمَا عَلِمْتُمْ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِهِ، لَمْ يَرَدْ صَاحِبُهُ إِلَّا كُفُرًا، وَلَمْ يَرَدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُغْدًا»^(١٠٦).

وعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ عليه السلام: «فَكَبَّكُبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ»^(١٠٧)، قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ وَصَفُوا عَدْلًا بِالْسَّيْئَمْ ثُمَّ خَالَفُوهُ إِلَى عَيْرِهِ»^(١٠٨).

التواضع:

عَنْ مُعاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «ا طْلُبُوا الْعِلْمَ، وَتَرَبَّوْا مَعَهُ بِالْحَلْمِ وَالْوَقَارِ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعْلَمْنَاهُ الْعِلْمَ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ طَلَبْتُمْ مِنْهُ الْعِلْمَ، وَلَا تَكُونُوا عَلَمَاءَ جَبَارِينَ؛ فَيَذْهَبَ بِا طْلَكُمْ بِحَقِّكُمْ»^(١٠٩).

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانِ رَفَعَهُ، قَالَ: قَالَ عِيسَى بْنُ مَرِيمَ عليه السلام: «يَا مَغْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ، لِي إِنِّيْكُمْ حَاجَةٌ أَقْضُوهَا لِي، قَالُوا: قُضِيَّتْ حَاجَتُكَ يَا رُوحَ اللَّهِ، فَقَامَ، فَغَسَّلَ أَقْدَامَهُمْ، قَالُوا: كُنَّا نَخْنُ أَحَقُّ بِهَذَا يَا رُوحَ اللَّهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْحُدْمَةِ الْعَالَمِ، إِنَّمَا تَوَاضَعْتُ هَكَذَا لِكَيْمَا تَتَوَاضَعُوا بَعْدِي فِي النَّاسِ كَتَوَاضَعِي لَكُمْ. ثُمَّ قَالَ عِيسَى عليه السلام: «بِالْتَّوَاضِعِ تُغْمَرُ الْحِكْمَةُ، لَا بِالْكَبْرِ؛ وَكَذَلِكَ فِي السُّهْلِ يَنْبُتُ الرَّزْعُ، لَا فِي الْجَبَلِ»^(١١٠).

الحلم:

عَنْ مُعاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَلَمَ يَقُولُ: «ا طْلُبُوا الْعِلْمَ، وَتَرَبَّوْا
مَعَهُ بِالْحَلْمِ وَالْوَقَارِ...»^(١١١).

وعنه: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَلَمَ، قَالَ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ الْكَلَمَ يَقُولُ: «يَا طَالِبَ
الْعِلْمِ، إِنَّ لِلْعَالَمِ ثَلَاثَ عَلَمَاتٍ: الْعِلْمُ، وَالْحَلْمُ، وَالصَّمْتُ، وَلِلشَّكَلِ ثَلَاثَ عَلَمَاتٍ:
يَنَازِعُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَغْصِيَةِ، وَيَظْلِمُ مَنْ دُونَهُ بِالْغَلْبَةِ، وَيُظَاهِرُ الظُّلْمَةَ»^(١١٢).

ترك القول بدون علم:

عَنْ مُفَضَّلِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَلَمَ: «أَنْتَ أَكَّ عَنْ خَضْلَتَيْنِ، فِيمَا
هُلُكُ الرِّجَالُ: أَنْتَ أَكَّ أَنْ تَدِينَ اللَّهَ بِالْبَاطِلِ، وَتُفْتَنِي النَّاسُ بِمَا لَا تَعْلَمُ»^(١١٣).

وعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَدَّادِ: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ الْكَلَمَ، قَالَ: «مَنْ أَفْتَنَ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَلَا هُدًى، لَعْنَتُهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، وَلَحْقَهُ وَرْزُ مَنْ عَمِلَ بِفُثْيَاهُ»^(١١٤).

وعَنْ زَيَادِ بْنِ أَبِي رَجَاءٍ: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ الْكَلَمَ، قَالَ: «مَا عَلِمْتُمْ فَقُولُوا، وَمَا لَمْ
تَعْلَمُوا فَقُولُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ؛ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْتَزِعُ الْآيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَخْرُجُ فِيهَا أَبْعَدَ مَا بَيْنَ السَّمَااءِ
وَالْأَرْضِ»^(١١٥).

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَلَمَ، قَالَ: «لِلْعَالَمِ إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ
وَهُوَ لَا يَعْلَمُهُ. أَنْ يَقُولَ: اللَّهُ أَعْلَمُ، وَلَيْسَ لِغَيْرِ الْعَالَمِ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ»^(١١٦).

وعَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَعْيَنَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ الْكَلَمَ: مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ قَالَ:
«أَنْ يَقُولُوا مَا يَعْلَمُونَ، وَيَقُولُوا عِنْدَ مَا لَا يَعْلَمُونَ»^(١١٧).

ترك التبرير:

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ الْكَلَمَ فِي كَلَامٍ لَهُ خَطَبَ بِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ: «... وَلَا تُرِّخْصُوا

لأنفسكم فتدبروا، ولا تذهبوا في الحق فتخسروا»^(١١٨).

الترويح عن النفس:

وكان أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «رَوْخُوا أَنفُسَكُمْ بِتَدْبِيعِ الْحِكْمَةِ؛ فَإِنَّهَا تَكُلُّ كَمَا تَكُلُّ الْأَبْدَانَ»^(١١٩).

وصية جامعة

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «يَا طَالِبَ الْعِلْمِ، إِنَّ الْعِلْمَ دُوْ فَضَائِلَ كَثِيرَةٌ؛ فَرَأْسُهُ التَّوَاضُعُ، وَعِينُهُ الْبَرَاءَةُ مِنَ الْحَسَدِ، وَأَذْنُهُ الْقَهْمُ، وَلِسَانُهُ الصِّدْقُ، وَحَفْظُهُ الْفَخْصُ، وَقَلْبُهُ حُسْنُ الْيَتِيمَةِ، وَعَقْلُهُ مَعْرِفَةُ الْأَشْيَاءِ وَالْأَمْورِ، وَيَدُهُ الرَّحْمَةُ، وَرِجْلُهُ زِيَارَةُ الْعَلَمَاءِ، وَهَشَّةُ السَّلَامَةُ، وَحِكْمَتُهُ الْوَرَعُ، وَمُسْتَقْرَرُهُ النَّجَاهُ، وَقَائِدُهُ الْعَافِيَةُ، وَمَزْكِنُهُ الْوَفَاءُ، وَسِلَاحُهُ لِيَنِ الْكَلْمَةُ، وَسَيْفُهُ الرِّضَا، وَقُوَّسُهُ الْمَدَارَةُ، وَجَيْشُهُ مَحَاوِرَةُ الْعَلَمَاءِ، وَمَالُهُ الْأَدْبُ، وَذَخِيرَتُهُ اجْتِنَابُ الدُّنُوبِ، وَزَادُهُ الْمَغْرُوفُ، وَمَأْوَاهُ الْمَوَادِعَةُ، وَدَلِيلُهُ الْهُدَى، وَرَفِيقُهُ حَجَّةُ الْأَخْيَارِ»^(١٢٠).

رعاية العلم:

عَنْ طَلْحَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «إِنَّ رُوَاةَ الْكِتَابِ كَثِيرٌ، وَإِنَّ رُعَايَاتَهُ قَلِيلٌ، وَكَمْ مِنْ مُسْتَصِحٍ لِلْحَدِيثِ مُسْتَغْشِّشٌ لِلْكِتَابِ، فَالْعَلَمَاءُ يَخْرُجُونَهُمْ مِنْ رُوكِ الْبَرَاعِيَةِ، وَالْجَمَاعَ يَخْرُجُونَهُمْ حَفْظُ الرِّوَايَةِ، فَرَاعَ يَرْعِي حَيَاةَ، وَرَاعَ يَرْعِي هَلْكَتَهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ اخْتَلَفَ الرَّاعِيَانِ، وَتَغَيَّرَ الْفَرِيقَانِ»^(١٢١).

الكتابة:

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «اکْتُبُوا، فَإِنَّكُمْ لَا تَخْفَظُونَ حَتَّى تَكْتُبُوا»^(١٢٢).

وعنه عليهما السلام، قال: «القلبُ يتكلّلُ عَلَى الْكِتَابَةِ»^(١٢٣).

حفظ الكتب:

وروي أن الإمام الصادق عليهما السلام قال: «احتفظوا بكتابكم؛ فإنكم سوف تختاجون إلينا»^(١٢٤).

وعن المفضل بن عمر، قال: قال لي أبو عبد الله عليهما السلام: «انثرب، وبعث عملك في إخوانك، فإن مث فاؤرت كتبك بيتك؛ فإنه يأتي على الناس زمان هزج لا يأنسون فيه إلا بكتابهم»^(١٢٥).

الأمانة في النقل:

عن أبي عبد الله عليهما السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليهما السلام: «إذا حددتم بحديث، فأسندوه إلى الذي حدّثكم، فإن كان حقاً فلكلم، وإن كان كذباً فغاليه»^(١٢٦).

وقال أبو عبد الله عليهما السلام: «إيامكم والكذب المفتقر». قيل له: وما الكذب المفترع؟ قال: «أن يحيّدك الرجل بالحديث، فتشركه وترويه عن الذي حدّثك عنه»^(١٢٧).

وعن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليهما السلام: قول الله جل شأنه: ﴿الذين يستمرون القول فيتبعون أحسنَه﴾^(١٢٨)؟ قال: «هو الرجل يسمع الحديث، فيحدث به كما سمعه، لا يزيد فيه ولا ينقص منه»^(١٢٩).

حسن البيان:

عن جميل بن دراج، قال: قال أبو عبد الله عليهما السلام: «أغربوا حديثنا، فإنّا قومٌ فضاحٌ»^(١٣٠).

والحمد لله رب العالمين.

الهؤامش:

(١) سورة العلق: ٥ - ١.

(٢) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، منشورات مدرسة الإمام علي عليه السلام، قم، ط١، ١٤٢١ هـ ج٢٠، ص٣٢٣.

(٣) سورة النحل: ٨٩.

(٤) البغاء: جمع الباغي أي الطالب، تقول: هو بعيري، أي: طبقي... وبعير الشيء أبغيه بعاءً. وابتاعته: طبتيه، انظر كتاب العين، نشر الهجرة، قم، ط٢، ١٤٠٩ هـ ج٤، ص٤٥٣.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، دار الحديث، قم، ط١، ١٤٢٩ هـ ج١، ص٧١ ح١.

(٦) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج٧، ص٢٩.

(٧) الجلسي، محمد باقر بن محمد تقى، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ ج١، ص٩٩، ح٤.

(٨) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، دار الحديث، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ ج١، ص٩٧، ح٤.

(٩) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص٧٣، ح٣.

(١٠) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص٧٣، ح٤.

(١١) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص٧٧، ح٤.

(١٢) نقله غير واحد عن المولى المازندراني، انظر: المازندراني، محمد صالح بن أحمد، شرح الكافي -الأصول والروضة، المكتبة الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ ج٢، ص٣٣.

(١٣) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص١١٠، ح٦.

(١٤) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج٣، ص٦.

(١٥) الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ ص٥٥٧.

(١٦) سورة التوبة: ٩٧.

(١٧) سورة التوبة: ٩٩.

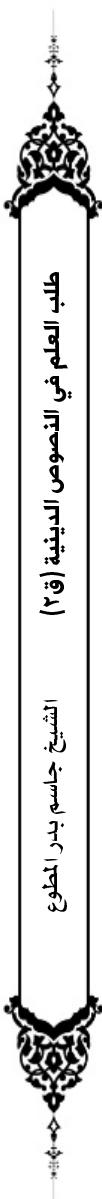
(١٨) سورة التوبة: ١٢٢.

(١٩) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص٧٤، ح٧.



- (٢٠) "النظر هنا كنایة عن الاختیار والرأفة والطف؛ لأن النظر في الشاهد دلیل المحبة وترك النظر دلیل البغض والکراهة". انظر: المجلسی، محمد باقر بن محمد تقی، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج ١، ص ١٠١.
- (٢١) الكلینی، محمد بن یعقوب بن إسحاق، الكافی، ج ١، ص ٧٥، ح ٨.
- (٢٢) البرقی، أحمد بن محمد بن خالد، المحسن، دار الكتب الإسلامية، قم، الطبعة الثانية، ١٣٧١ هـ ج ١، ص ٢٢٨.
- (٢٣) الكلینی، محمد بن یعقوب بن إسحاق، الكافی، ج ١، ص ٧٦، ح ٢.
- (٢٤) المجلسی، محمد باقر بن محمد تقی، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج ١، ص ١٠٣.
- (٢٥) الكلینی، محمد بن یعقوب بن إسحاق، الكافی، ج ١، ص ٧٧، ح ٣.
- (٢٦) أي: المخالفین.
- (٢٧) الكلینی، محمد بن یعقوب بن إسحاق، الكافی، ج ١، ص ٧٨، ح ٧.
- (٢٨) الكلینی، محمد بن یعقوب بن إسحاق، الكافی، ج ١، ص ٧٩، ح ٨.
- (٢٩) الكلینی، محمد بن یعقوب بن إسحاق، الكافی، ج ١، ص ٨٢، ح ١.
- (٣٠) الكلینی، محمد بن یعقوب بن إسحاق، الكافی، ج ١، ص ٧٩، ح ٩.
- (٣١) الروایة: کثیر الروایة، والتاء للمباغة، كما في العلامة والنسبة.
- (٣٢) الكلینی، محمد بن یعقوب بن إسحاق، الكافی، ج ١، ص ٧٩، ح ١٠.
- (٣٣) الكلینی، محمد بن یعقوب بن إسحاق، الكافی، ج ١، ص ٩٧، ح ٥.
- (٣٤) الراغب الأصفهانی، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٧٩.
- (٣٥) الفراہیدی، الخلیل بن احمد، كتاب العین، ج ٨، ص ٤١٠.
- (٣٦) الكلینی، محمد بن یعقوب بن إسحاق، الكافی، ج ١، ص ٧٥، ح ٩.
- (٣٧) انظر: الحر العاملی، محمد بن الحسن، تفصیل وسائل الشیعہ إلى تحصیل مسائل الشریعه، ج ١٧، ص ٣٣١، ح ١.
- (٣٨) البرقی، أحمد بن محمد بن خالد، المحسن، دار الكتب الإسلامية، قم، الطبعة الثانية، ١٣٧١ هـ ج ١، ص ٢٢٨.
- (٣٩) الكلینی، محمد بن یعقوب بن إسحاق، الكافی، ج ١، ص ٧٥، ح ١٠.
- (٤٠) الكلینی، محمد بن یعقوب بن إسحاق، الكافی، ج ١، ص ٧٦، ح ١.
- (٤١) انظر: بحر العلوم، جعفر، تحفة العالم في شرح خطبة العالم، ج ٢، ص ٣٦١.

- (٤٢) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ٨٢، ح ١.
- (٤٣) تعددت أقوال العلماء في بيان معنى وضع الملائكة أجنبتها واستغفار الموجودات لطلب العلم وليس هذا مكان بحثها.
- (٤٤) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ٨٥، ح ٥.
- (٤٥) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج ٣، ص ٣٩٧.
- (٤٦) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج ٦، ص ١٩.
- (٤٧) البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحسن، ج ١، ص ٢٢٩، ح ١٦٦.
- (٤٨) سورة التوبة: ١١٩.
- (٤٩) البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحسن، ج ١، ص ٢٢٩، ح ١٦٨.
- (٥٠) الطوسي، نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن، آداب المتعلمين، تحقيق: محمد رضا الحسيني الجلايلي، دار زين العابدين لإحياء تراث المتصوفين، قم، ١٤٣٧ هـ ٢٠١٦ م، ص ٦٣.
- (٥١) العاملي، زين الدين بن علي، منية المريد في أدب المفید والمستفید، ص ١٥١.
- (٥٢) يتضح من ذيل الحديث أنّ الجار والجرو تنازعته الأفعال الثلاثة فالمراد تعلم الله وعمل الله وعلّم الله.
- (٥٣) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ٨٦، ح ٦.
- (٥٤) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ٩٨، ح ٦.
- (٥٥) جَلَوْتُ السيف جَلَاءً بالكسر، أى صَقَلتُ، انظر: الجوهرى، إسماعيل بن حماد، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ ج ٦، ص ٢٣٠٤.
- (٥٦) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ٩٨، ح ٨.
- (٥٧) التسريل ليس السرير: القميص، انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج ٧، ص ٣٤٤.
- (٥٨) الخيشوم: الأنف، انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج ٤، ص ١٧٤.
- (٥٩) الحَيْرُوم: وسط الصدر، انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج ٣، ص ١٦٦.
- (٦٠) الخبُ: المخداع، انظر: الصاحب بن عباد، إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، ج ٤، ص ١٨٣.
- (٦١) المَلَقُ: الود واللطف الشديد، انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج ٥، ص ١٧٤.
- (٦٢) التَّحَنَّكُ: التلخّي، وهو أن تدير العمامة من تحت البَحَنَك، انظر: الجوهرى، إسماعيل بن حماد، الصحاح، ج ٤، ص ١٥٨١.



- (٦٣) البرنس: كل ثوب رأسه منه ملتزق به، انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج ٧، ص ٣٤٣. وفي مرآة العقول، البرنس: قلنسوة طويلة كان يلبسها الناسك والعباد في صدر الإسلام، انظر: المجلسي، محمد باقر بن محمد تقى، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج ١، ص ١٦٢.
- (٦٤) الحندس: الظلمة. انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج ٣، ص ٣٣٢.
- (٦٥) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١١٩، ح ٥.
- (٦٦) انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج ٣، ص ٣٩٠.
- (٦٧) انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج ٣، ص ٣٩٠.
- (٦٨) انظر: الصاحب بن عباد، إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، ج ١٠، ص ٢٨٢.
- (٦٩) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج ٧، ص ٤٥١.
- (٧٠) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج ٤، ص ٢٣٨.
- (٧١) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١١٤، ح ٦.
- (٧٢) سورة فاطر: ٢٨.
- (٧٣) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ٨٦، ح ٢.
- (٧٤) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١١٨، ح ٣.
- (٧٥) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١٠٧، ح ٢.
- (٧٦) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١٠٩، ح ٢.
- (٧٧) بائز: هالك، البوار: الأحكام، انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج ٨، ص ٢٨٥.
- (٧٨) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١١٠، ح ٦.
- (٧٩) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١٠٩، ح ٤.
- (٨٠) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١٣٥، ح ٢.
- (٨١) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ٨٣، ح ٢.
- (٨٢) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١٠٠، ح ٣.
- (٨٣) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ٩٨، ح ٧.
- (٨٤) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١٠٠، ح ١.
- (٨٥) سورة التوبة: ١٢٢.
- (٨٦) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ٧٤، ح ٧.

- .٨٧) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص١٢٢، ح٧.
- .٨٨) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص١١٩، ح٤.
- .٨٩) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص١٠٨، ح١.
- .٩٠) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص١٠٩، ح٣.
- .٩١) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص١١٣، ح٢.
- .٩٢) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص١١٤، ح٥.
- .٩٣) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص٥٤٩، ح٢.
- .٩٤) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج٢، ص٤٢.
- .٩٥) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص٩٥، ح٣.
- .٩٦) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص٩٤، ح١.
- .٩٧) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص٧٦، ح٢.
- .٩٨) سورة عبس: ٢٤.
- .٩٩) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص١٢٣، ح٨.
- .١٠٠) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص٨٩، ح١.
- .١٠١) الحر العاملي، محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ج١٥، ص١٧٢، ح١.
- .١٠٢) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص٩٧، ح٣.
- .١٠٣) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص١١٩، ح٤.
- .١٠٤) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص٨٧، ح٣.
- .١٠٥) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص١١٩، ح٥.
- .١٠٦) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص١٠٩، ح٤.
- .١٠٧) سورة الشعراء: ٩٤.
- .١٠٨) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص١١٦، ح٤.
- .١٠٩) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص٨٦، ح١.
- .١١٠) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص٨٨، ح٦.
- .١١١) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص٨٦، ح١.
- .١١٢) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١، ص٨٩، ح٧.

- (١١٣) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١٠١، ح ١.
- (١١٤) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١٠٢، ح ٣.
- (١١٥) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١٠٣، ح ٤.
- (١١٦) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١٠٣، ح ٥.
- (١١٧) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١٠٤، ح ٧.
- (١١٨) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١١٠، ح ٦.
- (١١٩) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١١٧، ح ١.
- (١٢٠) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١١٧، ح ٢.
- (١٢١) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١٢١، ح ٦.
- (١٢٢) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١٢٩، ح ٩.
- (١٢٣) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١٢٩، ح ٨.
- (١٢٤) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١٢٩، ح ١٠.
- (١٢٥) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١٢٩، ح ١١.
- (١٢٦) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١٢٨، ح ٧.
- (١٢٧) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١٣٠، ح ١٢.
- (١٢٨) سورة الزمر: ١٨.
- (١٢٩) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١٢٦، ح ١.
- (١٣٠) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج ١، ص ١٣١، ح ١٣.

النَّزُولُ الدُّفْعِيُّ لِلْقُرْآنِ بَيْنَ الْقَبْوُلِ وَالرَّدِّ

الشيخ عبد الرؤوف حسن الريان

المقدمة

من المباحث الجديرة بالتحقيق في مجال التفسير وعلوم القرآن هي مسألة النَّزُولُ الدُّفْعِيُّ لِلْقُرْآنِ الكريم، وأنه هل نزل بطريقة النجوم والتدرج فقط أم كان له نزول آخر أيضاً بنحو الدفعية والجملة الواحدة؛ إذ إنَّ المتفق عليه بين الأعلام هو النَّزُولُ التدرجي الذي امتد طوال فترة الرسالة، وهو ما أشارت إليه الآيات والنصوص الروائية والتاريخية بوضوح وجلاءً كقوله تعالى: ﴿وَقُرْأَنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَىٰ النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَرَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(١)، وأما النَّزُولُ الدُّفْعِيُّ فهو مما وقع محلاً للأخذ والردّ مذ أمد بعيد وبالتحديد في أواخر القرن الثالث الهجري - وصار محوراً للنقاش في أصل فكرته وتفاصيله، ونظرًا لأهمية هذا الموضوع وانعكاسه على تفسير مجموعة كبيرة من الآيات، وخاصة تلك التي ورد فيها لفظ التنزيل واشتقاقاته - وتربو على مائتين وست وسبعين مورداً - كان هذا البحث الذي يستعرض الآراء في المقام مع أدلةها التفصيلية ومناقشتها والنتائج المترتبة عليها، وسيكون ضمن أربعة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: مفهوم النزول الدفعي وأراء العلماء حوله

مفهوم النزول الدفعي في اللغة:

النزول في اللغة مأخذ من نزل، وهو هبوط شيءٍ ووقوعه^(٢)، أو احاطته من علوٌ^(٣).

والدفعَة هي الانتهاء إلى موضع بُرْرٍ^(٤) أو هي المرة الواحدة^(٥) ويقال: جمع الشئين في دفعَة، أي: دفعهما معاً^(٦).

والخلاصة: هو هبوط شيءٍ من علوٍ إلى موضع أدنى مرّة واحدة بدون تكرّر أو تدرج.

مفهومه الاصطلاحي:

ويراد به في اصطلاح المفسّرين والعلماء: هو نزول القرآن الكريم جملة واحدة بكامله من اللوح المحفوظ على قلب النبي ﷺ أو السماء الدنيا في ليلة القدر قبل أن ينزل مرّة أخرى بصورة تدريجية مفرقة على هيئة نجوم طوال فترة الرسالة المحمدية^(٧).

آراء العلماء حول النزول الدفعي للقرآن:

ذهب الغالب من علماء الخاصة والعامة إلى الأخذ بفكرة النزول الدفعي - وإن اختلفوا في التفاصيل كحقيقة النازل هل هو اللفظ أم المعنى، وهل يشمل كل القرآن أو قسماً منه، وأن الموضع المنزول به هل هو قلب النبي ﷺ أم السماء الدنيا أم البيت المعمور وغير ذلك - حتى ادعى البعض انفاقهم على هذا الأمر، يقول العلامة النهاوندي قدسُه: "قد اتفقت الأمة من الخاصة والعامة وتوافرت بل توافرت نصوصهم على أنَّ الكتاب العزيز نزل أولاً، في ليلة القدر مجموعاً من اللوح المحفوظ إلى البيت المعمور الذي يكون في السماء الرابعة، أو إلى بيت العزة في السماء الدنيا إلى السفرة

الكرام البررة، ثم نزل به جبرئيل نجوماً على خاتم النبيين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَدَّةٍ عَشْرِينَ أَوْ ثَلَاثَ وَعَشْرِينَ أَوْ خَمْسَ وَعَشْرِينَ سَنَةً، عَلَى حِسْبِ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي مَدَّةِ إِقَامَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِمَكَّةَ بَعْدِ بَعْثَتِهِ وَقَبْلِ هِجْرَتِهِ^(٨).

إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ فَرِيقاً مِنَ الْعُلَمَاءِ رَفَضُوا هَذِهِ الْفَكْرَةَ وَرَدَّهَا بِقُوَّةٍ وَعَلَى رَأْسِهِمْ مِنَ الْمُنَقَّدِمِينَ الشِّيْخِ الْمُفَيدِ^{لِهُنَّاكَ} حِيثُ قَالَ: "... فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ (الْقُرْآنَ) نَزَّلَ بِأَسْرِهِ وَجَمِيعِهِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ فَهُوَ بَعِيدٌ مِمَّا يَقْتَضِيهِ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ وَالْمُتَوَاتِرُ مِنَ الْأَخْبَارِ وَإِجْمَاعُ الْعُلَمَاءِ عَلَى اختِلافِهِمْ فِي الْآرَاءِ^(٩)، وَتَبَعَهُ عَلَى ذَلِكَ الشَّرِيفِ الْمُرْتَضِيِّ^{لِهُنَّاكَ}^(١٠)، وَمِنَ الْمُعَاصِرِينَ الْمَرْحُومِ الْعَالَمِ الشِّيْخِ مُحَمَّدِ هَادِيِّ مَعْرُوفَةِ قَدِيسِشِ^(١١).

وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ وَمِنْ أَجْلِ التَّقْيِيمِ الْمُوْضُوعِيِّ لَهَذِهِ الْآرَاءِ وَالْخَرْوَجِ بِنَتْيَاجِهِ مَنَاسِبَةً مِنْهَا يَتَعَيَّنُ عَلَيْنَا أَوْلَأَ بَسْطَ أَدَلَّةِ كَلَّا الْفَرِيقَيْنِ الْقَابِلِ وَالرَّافِضِ.

المبحث الثاني: أدلة القائلين بفكرة النزول الدفعي

استند أصحاب هذا الرأي إلى مجموعة من الأدلة والشواهد القرآنية والروائية والتاريخية، بعضها متفق عليها بينهم، وبعضها انفرد بها قسمٌ منهم وستعرض هنا بنحو عامٍ بدون الإشارة إلى ذلك، وهي كالتالي:

الدليل الأول: الآيات التي تشير إلى نزول القرآن في شهر رمضان أو ليلة القدر:

من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(١٢)، ﴿حَمْ * وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ **

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(١٣)، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾^(١٤)، وتقريب الاستدلال يكون عبر النقاط التالية:

أ- إنّ مرجع الضمير في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ يعود إلى القرآن الكريم، والظاهر منه هو كلّ القرآن لا بعض آياته، وهذا هو الأصل ما لم توجد قرينة تصرف المعنى إلى

غيره، وهو الذي يفضي إليه لفظ الكتاب الدال على ما بين الدفتين، والموصوف باهدایة والبینة.

ب- نزول القرآن بالكامل في شهر رمضان وفي ظرف ليلة مباركة واحدة منه وهي ليلة القدر لا يناسب إلا التزول جملة واحدة وبدون تدرج.

ج- إن لفظ الإنزال مختلف عن لفظ التنزيل بالرغم من اشتراكهما في الدلالة على الانحطاط من علوٍ، فالإنزال ظاهر في الدفعية، والتنزيل فيه دلالة على التكثير والتكرار وهو يلائم النزول التدريجي، وهذا التفريق قد ذكره بعض أئمة اللغة^(١٥)، والآيات السابقة استعملت مفردة الإنزال دون التنزيل.

د- بعض الروايات الواردة في شأن هذه الآيات يظهر منها أيضاً نزول كل القرآن في ليلة القدر وهو ما يناسب القول بالدفعية، كمثل ما ورد عن علي ابن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عمر بن أذينة عن الفضيل وذرارة ومحمد بن سلم عن حمران أنه سال أبا جعفر^{عليه السلام} عن قول الله عزوجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا فِي لَيْلَةٍ مُبَارَّكَةٍ﴾ قال: «نَعَمْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ وَهِيَ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي الْعُشْرِ الْأَوَّلِ خَرِفَلْمَ يُنْزِلُ الْقُرْآنَ إِلَّا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ...﴾^(١٦).

الدليل الثاني: تصريح بعض الروايات بنزول القرآن جملة واحدة:

وهي من طرق العامة كثيرة وأغلبها عن ابن عباس^(١٧)، ووردت بنفس المضمون وبعبارات متقاربة في بعض مصادرنا أيضاً كتفسير العياشي والقمي وكتاب الكافي وغيرها، وهي بحسب نقل الشيخ الكليني^{رحمه الله}:

عن علي بن إبراهيم عن أبيه ومحمد بن القاسم عن محمد بن سليمان عن داود عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله علیه السلام قال: سأله عن قول الله عزوجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ وإنما أنزل في عشرين سنةً بين أوله وآخره فقال أبو عبد الله علیه السلام: «نَزَلَ الْقُرْآنُ مُجْمَلًا وَاحِدَةً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى الْبَيْتِ الْمَغْمُورِ ثُمَّ نَزَلَ

في طول عشرين سنةً، ثم قال: «قال النبي ﷺ: تَرَكَتْ حَكْفُ إِبْرَاهِيمَ فِي أَقْلَى لَيْلَةٍ مِّنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأَنْزَلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِيتَ مَضَيَّنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأَنْزَلَ الْإِنجِيلَ لِثَلَاثَ عَشَرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأَنْزَلَ الرَّبُّوْرُ لِثَمَانِيَّةَ عَشَرَ حَلْوَنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثَةِ وَعَشَرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ».^{(١٩)(٢٠)}

وهي صريحة الدلالة جداً على المطلوب، خاصة مع ذكرها في عرض النزول التدريجي وتوسط (ثم) بينهما الذي يدل على المغايرة بين النزولين.

الدليل الثالث: اشتراك كل الكتب السماوية في كيفية النزول:

بتقرير: أن ظاهر الروايات التي تتحدث عن نزول الكتب السماوية هو وجود تشابه واشتراك بينها في كيفية النزول، وحيث إن المعروف في الكتب السابقة على القرآن هو نزولها الدفعي، فيكون القرآن كذلك أيضاً.

ولمزيد من التوضيح والبيان نقول: لو نظرنا إلى رواية حفص بن غياث السابقة أو شبيهاتها -كالتي ينقلها الكليني عليه السلام عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمد عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «تَرَكَتِ التَّوْرَاةُ فِي سِيَّتِ مَضَيَّنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأَنْزَلَ الْإِنجِيلُ فِي اثْنَيْ عَشَرَةَ لَيْلَةً مَضَيَّنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأَنْزَلَ الرَّبُّوْرُ فِي لَيْلَةَ ثَمَانِيَّةَ عَشَرَةَ مَضَيَّنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةَ الْقُدْرِ»^(٢٠) - لاستنتاجنا التالي:

- 1- أن التعبير في بيان نزولها ورد بلفظ (أنزل أو أُنْزَل) الذي سبق وأن أشرنا إلى ظهوره في الدفعية، وإن لم يكن كذلك فلا أقل أن المعروف والمتداول بين المفسّرين هو نزول الكتب السماوية السابقة على القرآن -كالتوراة والإنجيل- بصورة دفعية كجملة واحدة ولم يكن بالتدرج؛ ولذا فسروا قوله تعالى على لسان المعاندين لرسالة النبي عليه السلام: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمِلَةً وَاحِدَةً»^(٢١) أنه احتجاج من الكفار واعتراض منهم على القرآن كيف يبلغ لهم

بصورة متدرّجة ووفق المناسبات المترفة ولا يكون كالكتب السماوية السابقة التي نُزلت وبُلّغت دفعهً كاملةً حتى يصبح أبلغ في التصديق^(٢٢).

٢- وحدة الجهة التي نزلت منها هذه الكتب وخصوصية نزولها في شهر واحد وهو شهر رمضان المبارك - يوحى بوجود سرٌّ غير ضرورة مشتركٍ موحدٍ بينها بالرغم من تعدد ظروف وبيئة و الزمن كل رساله وكتاب، ومن أبرز ما يلحظ من وجه الاشتراك - في الكتب السابقة على القرآن - هو توحّدها في كيفية النزول.

٣- القرآن هو أحد الكتب السماوية التي ذكرت في هذه الروايات واستعمل معه نفس البيان والأسلوب المستخدم معها.

والمتحصل من المجموع: أنَّ ظاهر هذه الروايات هو اشتراك كل الكتب - بما فيها القرآن الكريم - في أهدافٍ وأغراضٍ واحدةٍ، ومنها التشابه في كيفية النزول، وهو النزول الدفعي.

الدليل الرابع: إحكام القرآن قبل تفصيله:

يعني أنَّ القرآن في الأصل له حقيقة بسيطة غير مفصلة نزلت دفعهً على فؤاد النبي ﷺ، وطرأ عليه التفصيل بعد ذلك ليناسب عقول الناس ويتفهموه فنزل مرة أخرى على هيئة كلمات وألفاظ وبنحو تدريجي، فالنزول الدفعي ثابت لكلَّ القرآن لكن بحقيقة العالية المكنونة، وهذا هو دليل العلامة الطاطبائي تثنيه ومحترمه^(٢٣)، ويمكن توضيحه وتلخيصه عبر الالتفات إلى الآيات والمضامين التالية:

أ- للقرآن حقيقة عالية مغايرة لما نفهمه، قال تعالى: ﴿الرِّكَابُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^(٢٤)، والإحكام هنا هو في مقابل التفصيل، أي أنَّ القرآن له حقيقة واحدة بسيطة لا يتميّز فصلٌ منها عن فصلٍ، ثم بعد ذلك طرأ عليه التفصيل وهو جعله فصلاً فصلاً وقطعةً قطعةً.

ب- الهدف من التفصيل بعد الإحكام هو إلباسه لباس القراءة والعربية ليعقله الناس ويتبينوا ما فيه وإلا فهو عند الله تعالى في لوح محفوظٍ مكنونٍ لا يوجد فيه هذا التفصيل، ولا يهضم حقيقة القرآن العالية إلا المظہرون من عباده كالنبيّ الخامن عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿ حُمَّ * وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَّهُ حَكِيمٌ ﴾^(٢٥)، ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمْسِهُ إِلَّا الْمُظْهَرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢٦)، والتنزيل حصل بعد كونه مكنوناً.

ج- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِعَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلٍ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ... ﴾^(٢٧)، ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّلِكَ كَذَّبُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾^(٢٨)، وهذا يدل على أنَّ الكتاب شيءٍ وتفصيله شيءٌ آخر، وأنَّ الذين كذبوا القرآن في الواقع قد كذبوا بتفاصيله لغفلتهم عن حقيقته وواقعه، وهو ما سيعلمونه يوم القيمة حينما يظهر لهم ويأتهم تأويله. وحينئذٍ إذا عرفنا أنَّ حقيقة القرآن هي الإحكام والبساطة أمكן هضم إنزاله بنحوٍ دفعيٍّ جملة واحدة في ليلة القدر الشريفة: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾^(٢٩)، ويترتب عليه في قوله تعالى: ﴿ ... وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْضِي إِلَيْكَ وَحْيُهُ ... ﴾^(٣٠)، و﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾^(٣١) أنَّ النبي عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يعلم بما سينزل عليه، فنهي عن الاستعجال بالقراءة قبل قضاء الوحي.

هذه أبرز أدلة القائلين بالنزول الدفعي ونوجّل التعليق عليها -قبولاً أو رفضاً- إلى حين الفراغ من استعراض أدلة الطرف المقابل الرافض للدفعية.

المبحث الثالث: أدلة النافذين لفكرة الدفعية

لو تتبعنا بنحوه عابرًّا أدلة النافذين للنزول الدفعي للقرآن لو جدنا أنها تتمحور -إجمالاً- حول محوريْن:

الأول: هو استبعاد تحققه وإمكان حصوله.

والثاني: هو عدم تمامية دليله وبرهان صحته في مقابل الأدلة الثابتة المتفق عليها لدى الجميع حول نزوله التدرجي على هيئة النجوم، بمعنى أنَّ القول بالنزول الدفعي إما هو فاقد للدليل القويم وإما هو مجاهد بما هو أصرح وأوضح منه -إشارة إلى القول بالنزول النجمي- مع عدم إمكان الجمع بين القولين أو عدم الحاجة إليه أساساً.

وببيان ذلك نستعرضه تفصيلاً ضمن الأدلة التالية:

الدليل الأول: خلو النزول الدفعي من الغرض إذا لم يجب العمل به^(٣٢):

من المعلوم ضرورة أن القرآن كتاب هداية للبشر، والغاية الأساس من نزوله هو نقل الناس من الانحطاط إلى حيث العلا والتكميل عبر العمل بتعاليمه والتقييد بأوامره ونواهيه، فإذا التزمنا بالنزول الدفعي سينتفي هذا الغرض وستلغى الفائدة من إرساله وبالتالي باطل فالمقدم مثله، ووجه الملازمة جليٌّ وهو أنَّ نزول القرآن جملة واحدة إلى البيت العمور أو السماء الرابعة وما شابه ذلك قبل أن يصل إلى الناس يعني غياب فائدته وتعطيل مصلحته وهدايته، ولا يشفع لذلك القول بشأنيته للهداية قياساً لما هو موجود في القوانين الوضعية التي تسنّ بشكلٍ تقديرٍ وشأنٍ حتى يحين وقت الحاجة إليها فتخرج إلى الفعلية؛ إذ إنَّ القرآن شيء وهذه الدساتير شيء آخر وبينهما فرقٌ شاسعٌ، فلنا أن نسأل: ما الفائدة من نزول القرآن قبل الحاجة إليه؟!!

الدليل الثاني: نزول الآيات قبل وقوع الحوادث غير مقبول:

نزول كل القرآن جملة واحدة في ليلة واحدة لا يتناسب مع طبيعة مواكبة الآيات للأحداث المتعاقبة، بل هو من نوعٍ؛ إذ يستلزم مخالفته ما عليه الواقع، فكيف يخبر بحصول شيءٍ بصيغة الماضي كـ: ﴿فَذَسِعَ اللَّهُ قَوْلُ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي رَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٣٣) في الوقت التي لم يحصل الفعل بعد في الخارج؟!!

يقول الشيخ المفید قیثیر: "ونزول القرآن على الأسباب الحادثة حالاً بحال يدل على خلاف ما تضمنه الحديث [المشير إلى النزول الدفعي]، وذلك أنه قد تضمن حكم ما حدث وذكر ما جرى على وجهه، وذلك لا يكون على الحقيقة إلا بحدوثه عند السبب، ألا ترى إلى قوله تعالى: {وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا عُلُفَ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ} وقوله: {وَقَالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ} وهذا خبر عن ماضٍ، ولا يجوز أن يتقدم مخبره، فيكون حبيثٍ جزاءً عن ماضٍ وهو لم يقع بل هو في المستقبل. وأمثال ذلك في القرآن كثيرة"^(٣٤).

الدليل الثالث: توقف النبي ﷺ عند الحوادث انتظاراً لما ينزل عليه من

الوحى:

كان النبي ﷺ لا يسبق الله تعالى في اتخاذ المواقف ومعالجة القضايا، فما لم ينزل عليه في شأنها وحيٌ أو يؤذن له في التصرف فيها يبقى متوقفاً ومتربقاً لنزوله وإن طال زمن ذلك، وحينئذٍ يقال: لو كان القرآن قد نزل بنحو الدفعة أولاً لعلم النبي ﷺ بمحتوه وعرف تمام تكليفه اتجاه كل القضايا ولم يكن هناك داع لانتظار نزوله مرة أخرى، وبالتالي نفس توقفه ﷺ في مختلف الحوادث يعد دليلاً على نفي حصول التعدد في النزول ونفي فكرة الدفعية.

الدليل الرابع: عدم وجود فرقٍ في اللغة وفي القرآن بين الإنزال والتنزيل:

و توضيح ذلك في مقامين:

أولاً:- عند أهل اللغة:

ذهب كثيرون من علماء اللغة إلى عدم وجود فرق بين مفردي الإِنْزَال والتَّنْزِيل، فقد ورد في الصحاح: "أَنْزَلَهُ غَيْرُهُ وَاسْتَنْزَلَهُ بِمَعْنَى" ^(٣٥)، وفي المصباح: "نَزَلَ: مِنْ عُلُوٍ إِلَى سُفْلٍ يَنْزَلُ نُزُولًا وَيَتَعَدَّ بِالْحَرْفِ وَالْهَمْزَةِ وَالتَّضْعِيفِ فَيَقَالُ (نَزَلْتُ) بِهِ وَ(أَنْزَلْتُهُ وَ(نَزَّلْتُهُ وَ(اسْتَنْزَلْتُهُ بِمَعْنَى" ^(٣٦)، وقال الزبيدي: "وَنَزَّلَهُ تَنْزِيلًا وَأَنْزَلَهُ إِنْزَالًا وَمُنْزَلًا، كَمُجْمَلٍ، وَاسْتَنْزَلَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ" ^(٣٧).

بل هناك من اعتبر أن التَّفْرِيق ممنوع ولا شاهد له أصلًا، يقول ابن أبي بكر الرازي: "والذى وقع لى فيه -والله أعلم- أن التَّضْعِيف فى نَزَل، والهمزة فى أَنْزَل، كلاهما للتَّعْدِيَة؛ لأنَّ نَزَل فعل لازم، فى نفسه؛ وإذا كانا للتَّعْدِيَة، لا يكونان لمعنى آخر، وهو التَّكْثير أو نحوه؛ لأنَّه لا نظير له؛ وإنما جمع بينهما، والمعنى واحد، وهو التَّعْدِيَة؛ جريأًا على عادة العرب فى افتنانهم فى الكلام، وتصرُّفهم فيه، على وجوه شتى. ويؤيد هذا قوله تعالى: {لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّنْ رَبِّهِ} ^(٣٨) وقال فى موضع آخر: {لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّنْ رَبِّهِ} ^{(٤٠)(٣٩)}.

ثانياً:- في الاستعمال القرآني:

لم يفرق القرآن الكريم بين المفردتين واستفاد منها لأداء نفس المدلول والغرض وهو الهبوط من علوٍ، والشاهد على ذلك أنه عبر في بعض الموارد عن الأمر الواحد تارة بصيغة نَزَل -في سورةٍ- وتارة بصيغة أَنْزَل -في سورة أخرى- كما هو الحال في بيان نزول الملَك في قوله تعالى في سورة الإِسْرَاء: ﴿ قُلْ لَوْلَا كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُظْمَئِنِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ ^(٤١)، وقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْلَا نَزَّلْنَا مَلَكًا لَعُصِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾ ^(٤٢)، ناهيك عن عدم قابلية الملَك للتدريج حتى يستعمل لنزوله لفظ (نَزَّلنا) بناء على

وجود الاختلاف بين الصيغتين، ونفس الشيء في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤٣) فإن الآية تعني العلامة والمعجزة ونزوها لا يكون بالتدريج، وكذلك في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ...﴾^(٤٤) بتقريب أن الذي طلبه أهل الكتاب هو الكتاب الكامل الدفعي وليس التدربيجيّ ومع ذلك عبرت الآية عن ذلك بلفظ النزول، والموضع التي من هذا القبيل متكررة وغير عزيزة^(٤٥).

الدليل الخامس: ضعف روایات النزول الدفعي:

فهي إما ضعيفة سندًا أو دلالةً فلا يعول عليها؛ لأنّا إذا تتبعنا جهة صدورها فهي في الأعم الأغلب عامة المصدر وغير نقية السنّد، وفي المقابل هي مجاهدة بروایات أكثر عدداً وأقوى اعتباراً تدل على النزول التدربيجي، وهذا هو المعلوم والمعروف والمتفق عليه قاطبة وبالتالي يضعف الأخذ بدلالة ومضمون روایات النزول الدفعي.

الدليل السادس: الإحکام هو بمعنى الإتقان وليس البساطة وعدم التركيب:

الإحکام في اللغة هو الضبط والإتقان والمنع من الفساد^(٤٦)، والتفصيل هو التبيين^(٤٧)، وهذا لا ينسجم مع تفسير الإحکام بالبساطة والإجمال وعدم التركيب كما ذهب إليه بعض الفائلين بالنزول الدفعي، والمناسب في المقام أن يكون مفاد قوله تعالى: ﴿الْكِتَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^(٤٨) دائراً حول بيان قوّة ومنعة وإتقان القرآن الذي لا يزلله شيء، والذي بُيّن للناس منجمماً طوال فترة الرسالة، و(ثم) هنا للترتيب اللغوي لا غير، ويعزّز ذلك أن ﴿كِتَاب﴾ هو خبر لمبتدأ محدود، والتقدير: هذا كتاب، فينصرف إلى القرآن المعهود بأيدينا وإلا لما جاز حذف المبتدأ^(٤٩)، وبذلك يستبعد القول بدلالة الآية على كون القرآن له حقيقة بسيطة هي التي نزلت أولاً بالنزول الدفعي ثم نزلت مرّة أخرى على نحو التدريج.

وفي ضمن نفس الإطار أيضاً يمكننا أن نسأل: هل يعقل أن يكون القرآن بسيطاً وبه آيات مُحكمة وأخرى متешابهة ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحَكَّمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾^{(٥١)؛ (٥٢)}

الدليل السابع: صيغة الماضي ﴿أَنْزَلَ﴾ تدل على عدم نزول كل القرآن بليلة القدر:

وببيان ذلك: أن الآيات التي عبرت عن النزول القرآني كـ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقُدْرِ﴾^(٥٣)، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَّةٍ﴾^(٥٤)، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^(٥٥) جاء لفظ الإنزال فيها بصيغة الماضي مما يعني حكايتها عن أمر حاصل يتعلّق بقسم القرآن الذي سبق هذه الآيات وإلا لكان المناسب هو استعمالها بصيغة المضارع مثلاً أو الوصف^(٥٦)، وهذا دليل على أن القرآن لم ينزل بأكمله في ليلة القدر فلا يتتسق مع القول بالدفعية إلا باللجوء إلى التأويلات والتكتّفات التي نحن في غنى عنها.

وإن قيل: كيف يمكن توجيه هذه الآيات مع الالتزام بنزول قسم من القرآن فقط؟

فيجب بعدّة أجوبة، أوجهها:

أن المقصود من نزول القرآن في ليلة القدر هو الإشارة إلى مبدأ نزوله، وذلك تخليداً لهذا التاريخ المهم والبارز من جهة وبياناً إلى شرف وعظمة المُنزل باقترانه بليلة مباركة من جهة أخرى، وهذا الأسلوب متعارف عليه ومعمول به كثيراً في تسجيل تواريخ الأحداث والمشاريع والدول والأمور الخطيرة والمميزة، فمثلاً لو قال أحدهم: ساحجٌ غداً، كان يعني أن ابتداء حجه يشرع وينطلق من الغد لا أن حجّته بتمام أعمالها سيوقعها في الغد، وقد ألمح إلى هذا القول ثلاثة من الأعلام المتقدّمين واستحسن بعض المؤخرين والمعاصرين^(٥٧).

المبحث الرابع: تقييم مطلق الأدلة والنتيجة المختارة

بعد استعراض أدلة المثبتين وأدلة النافدين لفكرة النزول الدفعي تصل النوبة الآن إلى مناقشة وغربلة هذه الأدلة وبيان المحصلة النهائية المترتبة عليها، فنقول: إننا بحاجة إلى تقييمها بـلـاحـاظـ الجـهـةـ الشـبـوتـيةـ والإـمـكـانـيـةـ فيـ المسـأـلـةـ أـوـلـاـ وـمـنـ ثـمـ النظر إليها من ناحية إثباتية وواقعية؛ لوضوح أنّ مرحلة الإثبات تتآثر بنتيجة مرحلة الثبوت، وحينئذٍ فالتقييم:

أ- بـلـاحـاظـ عـالـمـ التـبـوتـ وـالـإـمـكـانـ:

بعنى أنّ أصل فكرة النزول الدفعي - وبعزل عن تحققها في الخارج أو عدمه - هل هي ممكنة في نفسها بدون محذور أم لا؟

الذي يلوح من الدليل الأول والثاني - على الأقل - من أدلة النافدين هو عدم إمكانيتها، تارة بداعي خلو النزول الدفعي من الغرض إذا لم يعمل بالقرآن، وتارة بداعي عدم مقبولية نزول الآيات بصيغة الماضي قبل حدوث الحوادث، ولكن يمكن الرد والمناقشة في كلا الدليلين، فالقول بخلو النزول الدفعي من مطلق الغرض غير ثابتٍ وغير تامٍ، لأنّه بمجرد عدم معرفتنا لغرضٍ مناسبٍ له لا يعني عدم وجود الغرض من الأساس، وهل عقولنا استطاعت التوصل إلى علةٍ وغرضٍ كل شيء حتى يقال إنّ عدم المعرفة يعني عدم الوجود؟!!

ثم إنّه من الممكن ذكر وتعقّل بعض الغايات من هذا النزول، ولو من ناحية تنوير قلب الرسول ﷺ واستضاءته بهدى القرآن بنحوٍ مجملٍ حتى يكون أكثر استعداداً لإفاضته على سائر الناس بنحوٍ تدريجيٍّ بعد ذلك، وهذا التوجيه لا ينافي كون الغرض من نزول القرآن هو الهدى؛ فتنوير فؤاد النبي ﷺ هو مقدمة هداية الأئمة، ومقدمة الغرض تصب في نفس الغرض، يقول العلامة النهاوندي نقلاً:

"وقيل في سر إِنْزَالِهِ جَمْلَةُ أَوْلًا إِلَى السَّمَاوَاتِ الدُّنْيَا أَوْ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ: أَنَّهُ تَفْخِيمٌ

أمر القرآن وأمر النبي الذي أنزل إليه، ... وقيل: إن السر هو تسليمه تبارك وتعالى لهذه الأمة ما كان أبرز لهم من الحظ من الرحمة التي استحقوها لأجل مبعث محمد ﷺ، ... وقيل: إن السر في نزوله جملة إلى السماء الدنيا تكريمه بنى آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة، وتعريفهم عنابة الله بهم ورحمته لهم... أقول: يمكن أن يكون السر تكملة عالم الملائكة وجود الروحانيين بإيجاد الكتاب الكريم فيهم، وتقديره أن يقال: المراد من إنزاله إلى السماء الدنيا أو إلى البيت المعمور، هو إبداعه تعالى وإيجاده كتابه الكريم بوجوده الجوهري وصورته النورية في ملوك السماء، وعالم الأنوار بعد وجوده في مكنون علمه المعبر عنه بالعرش تارة وباللوح المحفوظ أخرى، ولما كان وجود خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للعالمين حصل بيركته استعداد الكمال لجميع العوالم الملكية والملوكية، وكما كان لكتاب العظيم تأثير عظيم بوجوده اللفظي والكتبي في تكميل النفوس المستعدة في عالم الملك، كان بوجوده الجوهري النورى في عالم الملائكة تأثير في تكميل وجود الذوات المستعدة الملوكية والملكية، وبحصول مرتبة من الكمال الوجودى لعالم الوجود، صار مستحقةً لتزيئنه بوجود خاتم النبيين وتمكيله ببعثته، فشملته هذه الرحمة العظيمة وبعثه الله فيه، ثم بعد هذا الفيض، حصل له استعداد قبول فيض آخر واستحقاق رحمة أتم من إنزال كتابه الكريم الذي هو تجلٍّ صفاتٍ التامة في العوالم، وكان بإيجاد الكتاب الكريم في عالم الملائكة تكميل الرحمة على جميع الموجودات الملكية والملوكية ببركة وجود نبى الرحمة^(٥٧).

وأما القول بعدم مقبولية نزول الآيات بصيغة الماضي قبل حصول الحديث فيرد عليه أن النازل دفعة ليس هو القرآن بوجوده اللفظي والكتبي -كما هو المثبت في المصاحف- كي ينشأ هذا الاعتراض؛ وإنما النازل هو القرآن الكريم بوجوده المناسب للعالم العلوية غير عالم الملك، وتفصيل ذلك نورده على هيئة نقاط:

١- إن القرآن له مراتب لها مبدأ ونهاية، فمبادأه من علم الله تعالى المكنون

والمحفوظ ومتناهٰ هو مرتبته الكتبية واللفظية، وكل هذه المراتب تشتراك في كونها قرآنًا وإنما تختلف في حقيقتها وقوتها.

٢- كل مرتبة من هذه المراتب تتناسب مع مستوى قابلية العالم والظرف الذي يحتويها، فقابلية عالم الملكوت مثلاً أعلى وأعظم من قابلية عالم الدنيا والملك، كما أن استعداد الأرواح العالية كالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخاتم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتحمل القرآن هي غير استعداد وقابلية الفرد العادي.

٣- أن النزول المناسب لفكرة الدفعية هو هبوط للقرآن الكريم من المبدأ والمستوى الأعلى إلى أحد المراتب التي تليه ولكن ليست المرتبة النهائية الدنيا، ولتكن هي المرتبة التي تناسب عالم الملكوت، أو التي لا يتحملها إلا صاحب الاستعداد الخاص كالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون غيره، وهذه المرتبة ليست هي أفالطاً أو كتابةً كي يعرض عليها بالإشكال المتقدم.

٤- هذا النزول الدفعي لا يعارض إمكانية حصول نزول آخر للقرآن إلى مستوى أدنى منه ولو على نحو التدرج.

وربما الرواية التي تنقلها بعض الكتب الحديثية عن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وبعضها عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ حول حقيقة القرآن فيها نحو إشارة للكلام المتقدم، وهي: «كتاب الله عز وجل على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للغواص والإشارة للغواص واللطائف للأولياء والحقائق للأئمة»^(٥٨).

وفي هذا المقام يقول صاحب كتاب التوسيع:

”إن كل موجود شهودي فله حقيقة و قالب و القوالب تتعدد بحسب تعدد الشئون فكما أن الإنسان أول ما ترى بالعيان هو الهيكل المحسوس والشكل المخصوص وبعد الإمعان يثبت لك أن له روحًا بخارياً... وهذا الروح هو الروح الحيواني عند الأصحاب والحكماء الأطياب وبعد التأمل الأقوى والنظر الأعلى يظهر أن لهذا الروح سلطاناً أقوى

وروحاً آخر أجلٍ وأصفي وهو النفس الناطقة الإنسانية اللاهوتية عند العلماء ونسبة الثاني إلى الثالث كنسبة الأول إلى الثاني، وكذلك للقرآن معانٌ تظهر بالإيمان تختلف باعتبار اختلاف العوالم والنشأت وأطوار الغيب والشهود فبعضها مفهوم لبعض دون آخر...”^(٥٩).

ويقول العلامة النهاوندي رحمه الله: ”فيتحقق في القرآن قوس نزول ينتهي إلى وجوده اللغطي والكتبي الواقع في هذه الشأة، وقوس صعود واقع في عالم البرزخ كما هو الحال في حقيقة الإنسان... ومراتبه المعنوية تنتهي إلى حقيقة الاسم الإلهي الذي هو المبدأ للقرآن، ويشبه أن يكون هو حقيقة اسم الهادي والنور الذي ربما اطلق اسمه على القرآن في مواضع”^(٦٠).

وتحصل من جميع ما مضى أنَّ الأدلة المساقة لعدم معقولية النزول الإجمالي الدفعي ثبوتاً غير ناهضة ولا تصلح مانعاً من تتحققه.

بـ- بلحاظ عالم الإثبات والواقع:

ويأتي الحديث في هذه المرحلة حول مدى وفاء أدلة القائلين بالدفعية على تحقق فكرتهم في قبال أدلة الناففين لحصولها، ولتقييم هذه المسألة سنبدأ بمناقشة أدلة القائلين بالمنع.

أولاً: تقييم أدلة الناففين للنزول الدفعي:

سبق وأن تطرقنا إلى رد الدليلين الأوَّلين للمانعين -في النقطة السالفة- ومنه نكتشف الجواب على الدليل الثالث أيضاً؛ إذ إنَّ النازل دفعة ليس هو القرآن بوجوده اللغطي حتى يتعرض بسلوك النبي ﷺ في انتظاره لنزول الوحي، ومن الواضح أنَّ الذي يناسب شأن الناس ويلائم فهمهم وطبعهم ويكون مؤثراً في اعتقادهم وسلوكهم هو التدرج في التنزيل، فانتظار الوحي من قبله ﷺ هو من أجل رعيته وأداء تكليفه المرتبط بالأخذ بالأسباب والمسارات الطبيعية

والاختيارية لا التي يتعامل معها بالغيب والعلم الخاص المسبق، وإنما فالنبي الكريم ﷺ على علم بالغيب وبما تؤول إليه الأمور بتعليم من الباري عزوجل.

وأما الدليل الرابع الناظر إلى عدم وجود الفرق بين الإنزال والتنزيل في اللغة والاستعمال القرآني ففيه:

أولاً: لم تتفق كلمة اللغويين على قوله فاردي في هذا الشأن، فمنهم من ذهب إلى عدم وجود الفرق ومنهم من صرّح بوجوده، فتصوير المسألة على أنها محسومة في صالح عدم التفريق يحتاج إلى تريث، ويكتفي في ملاحظة تعدد الأنظار ما يقوله صاحب تاج العروس:

"قال سيبويه: أبو عمرو يفرق بين نزلت وأنزلت ولم يذكر وجہ الفرق.
قال أبو الحسن: لا فرق عندي بينهما إلا صيغة التكثير في نزلت في قراءة ابن مسعود وأنزل الملائكة تنزيلاً؛ أنزل كنزل".

قال شيخنا: وفرق جماعة من أرباب التحقيق فقالوا: التنزيل تدريجي والإنزال دفعي كما في أكثر الحواشى الكشافية والبيضاوية، ولما ورد استعمال التنزيل في الدفعي رعى أقوام أن التعرفة أكثرية وأن التنزيل يكون في الدفعي أيضاً وهو ميسوط في مواضع من عناية القاضي، انتهى.

وقال المصنف في المصادر تبعاً للراغب وغيره: الفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إلى إنزاله مترافقاً متجماً ومرةً بعد آخر، والإنزال عام...".^(٤١)

ثانياً: كون اللفظتين بمعنى واحدٍ صحيحٍ من جهة المفهوم العام الإجمالي وهو الانحطاط من علوٍ^(٤٢)، وحينئذٍ قد يكون تعبير بعض الكتب اللغوية بالانحدار ناظراً إلى هذا المعنى العام ولا ينافي ذلك تعبير البعض الآخر بالتغيير مع نظرهم إلى المعنى التفصيلي، و مجرد اختيار المعنى الإجمالي لا يعارض اختصاص كلٍّ واحدة من

الصيغتين بخصوصيّة مرتبطة بطبيعة وزنها الصرفي والدلالي كالدفعيّة أو التعدديّة والتکثير.

وقد ينقدح في الذهن احتمالُ شبيه هذا يتولّد من خلال مراجعة بعض ما ذكر في مصادر اللغة حول حالات صيغة (أَفْعَل) وصيغة (فَعَل) من المادة الواحدة، فاحياناً تشتراكان في أصل المعنى في بعض المصاديق، وأحياناً يكون بينهما افتراق واختلاف، يقول سيبويه: " وقد يجيء فعلت وأفعلت في معنى واحد مشتركين كما جاء فيما صيرته فاعلاً ونحوه، وذلك: وعزت إليه وأوزعت إليه، وخبرت وأخبرت، وأسميت وأسميت، وقد يجيآن مفترقين مثل علمته وأعلنته، فعلمت أدبت، وأعلنت آذنت، وأذنت أعلمت، وأذنت النداء والتصويم بإعلان، وبعض العرب يجري أذنت وأذنت مجرى سميت وأسميت...".^(٦٣)

فرما نقرأ في بعض القواميس أن (أنزلَ) و(نَزَلَ) بمعنى واحد ويكون المراد هو الإشارة إلى دخولهما في القسم الذي به اشتراك، وذلك تمييزاً لهما عن الدخول في القسم الآخر فقط، من دون أن يقصدوا الاتحاد من سائر الجهات والخصوصيات.

ثالثاً: دقة القرآن وأسلوبه وعمق بلاغته ومراميه تأبى عن استعمال الألفاظ المتعددة الصيغ - وإن كانت من مادة واحدة - في معنىً واحداً مطابقاً تماماً ل مجرد التفنن والتلاعب في التعبير، فلا توجد كلمة ولا صيغة بل ولا حرف أو حركة موجودة فيه إلا وتشير إلى مغزىً مختلفاً عن سائر الكلمات والصيغ والمحروف والحركات، أو لا أقل توحّي بإيحاء خاص زائد على المعنى المشترك، فمثلاً مفهوم (تسْتَطِعْ، تستَطِعْ وتسْتَطِعْ) في قوله تعالى: ﴿فَالَّمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَرْبَا﴾^(٦٤) وقوله تعالى: ﴿فَالَّهَ هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُبَيْنِكَ بِتَأْوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَرْبَا﴾^(٦٥) وقوله تعالى: ﴿... ذَلِكَ تَأْوِيلٌ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَرْبَا﴾^(٦٦) هو واحد لغة من حيث أصل المعنى ولكن متباوت في المؤدى من ناحية الدرجة والضعف، وذلك تناغماً مع درجة

الشلل والخفة التي كان يعيشها نبي الله موسى عليه السلام في نفسه وهو يقابل أفعال الحضرة^(٦٧)، ولذا حينما كان اعترافه واستغراه شديداً في المرّة الأولى جاء تعبير القرآن عن عدم صبره بمحروم أكثر: (لن تستطيع)، ولما صار في حالة متواسطة جاء التعبير بـ: (لم تستطع) بإيقاص حرف عن السابقة، ولما خفت حالته في الاعتراض الأخير عُبِّر عنه بـ: (لم تستطع)، ونظائر هذا في القرآن الكريم ليست بعزيزه.

وحيينئذٍ حتى لو كان لفظ (أنزل) كلفظ (نَزَّلَ) في المعنى فهذا لا ينافي مناسبة الأولى للدفيعة وعدم التكثير، والثانية للتعدد والتكرار والتدرج، فالمعنى العام الأصلي واحد ولكن الخصوصية الموجودة في طبيعة الصيغة تعين حالة من حالات هذا المعنى وتبرز طوراً من أطواره.

رابعاً: جميع النقوص القرآنية التي ذكرت كشواهد على عدم وجود الفرق بين المفردتين إنما جأ إليها أصحابها نتيجة ضيق الخناق عليهم في الجمع بين معانيها على ضوء ثبوت النزولين، كما أنّ لاستبعادهم النزول الكلّي للقرآن الكريم في ليلة واحدة أثر أيضاً في استظهارهم لهذه الآيات، أما لو قمنا برفع هذا الاستبعاد بما تقدم من الالتزام بوجود مراتب للقرآن وأن النازل دفعه هو حقيقته غير اللفظية والكتبية، وأثبتتنا إمكانية إعطاء تفسير معقول لكل هذه الآيات بدون أن تن煞م قاعدة التفريق بين اللفظتين والنزولين فلن يبقى موضوع لهذا الإشكال من رأس، فمثلاً يمكن أن يحاب على شبهة كيفية تنزّل الملك من السماء بنحو تدريجي في قوله تعالى: ﴿فَلَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْسُونَ مُطْمَئِنِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولاً﴾^(٦٨) - مع أنّ الملك الواحد لا يتجزّأ والمناسب له هو النزول دفعة - بأنّ المقصود هو تكرار تنزّل الملك لا أنه ينزل جزءاً جزءاً، لأنّ غرض الآية الإشارة إلى أنه لكل جماعة يقطنون الأرض لابد من أن يرسل إليهم ملكاً رسولاً وأن الإرسال يكون بنحو متكرّر وكراً بعد أخرى فناسب معه استعمال لفظ (النزولين)، أما في قوله تعالى بسورة أخرى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ رَّأُوا أَنَّنَا مَلَكًا لَقُضِيَ

الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ^(٦٩) فالمراد والنظر فيها هو النزول الدفعي ولمرأة؛ إذ إنَّ الغرض من الآية هنا مختلف، وطلب المعاندين هو إرسال ملك واحد فناسب التعبير بالإنزال لإفادة ذلك، وعلى هذا المنوال يمكننا معالجة سائر النقوض.

وأما ما يتعلّق بدلilهم الخامس وهو ضعف روایات النزول الدفعي سنداً ودلالة فيحاجب عليه: أنَّ روایات النزول التدريجي لا تعدَّ معارضة لروایات الدفعية حتى تصل النوبة إلى ترجيحها عليها لأنَّها أكثر وأقوى، فلا يوجد لدينا تنافٍ بين المجموعتين من الأساس بحيث يكون ثبوت إحداها منذراً ومخبراً عن نفي وسقوط الأخرى، فلا معنى لضعف الدلالة كما هو مذكور.

نعم، يبقى أنَّ سند هذه الروایات قد لا يكون بالمستوى المناسب للجزم بوقوع النزول الدفعي لو لم يوجد غيره من الأدلة والقرائن الأخرى، ولكن هذا الكلام إما أنه يردّ بـأنَّ المعيار في الروایات التاريخية والتفسيرية مختلف عما هو مستعمل في المسائل العقدية والفقهية فيكون هذا المقدار الموجود وافياً بالمطلوب، وإما أن يقال: إنَّ هذه الروایات تصلح أنَّ تعدَّ قرينةً مؤيدةً في المقام، فتسهم في تكوين الجزم وال الواقع، خاصة مع كثرتها وتعددها؛ إذ لو لم تصدر وكانت باطلةً لجاءت الروایات الصراح مجاهبةً لها.

وأما دليلهم السادس النافي لكون الإحکام بمعنى البساطة فهو إن تمَّ فيعتبر ردًا على مختار العلامة الطباطبائي قىٰش ولا يتعارض مع أصل مفهوم الدفعية، على أنَّ تفسير الإحکام بالضبط والإتقان ينسجم مع كلا النزولين، مع العلم أنه بلاحظة مجموع الآيات وبالالتفات إلى مراتب القرآن الكريم لا يكون نظر العلامة قىٰش وختاره بعيداً ونشازاً، ويتبّع به الجواب على كيفية تعقل بساطة القرآن مع احتوايه على الحكم والتشابه، كما أنه بنفس هذا البيان يعرف الرد على الدليل السابع والأخير.

المحصلة النهائية:

نصل الآن إلى بيان المحصلة النهائية في المسألة، إذ قد تلخص لنا مما تقدم أنَّ جميع الأدلة التي سبقت لنفي النزول الدفعي قابلة للنقاش والرد ولا تشكل مانعاً من وقوعه سواء على مستوى عالم الثبوت أو عالم الإثبات، وأما ما يستدل به على تتحقق فقد ثبت منها ما به الكفاية كالدلائل الأولين من أدلة المثبتين بالإضافة إلى مراتب القرآن الكريم والفرق بين (أنزلنا) و(نزلنا) وتأييد الروايات وغير ذلك، وإذا كان هناك تردد في دليلية هذه الأمور فلا أقل من عدها قرائن قوية تشكل بضمها مع بعض ظهوراً ساطعاً على ثبوت النزول الدفعي.

الللاحظة الأولى: وهي موجّهة إلى الدليل الثالث المبني على اشتراك الكتب السماوية في ظروف النزول، والدعوى فيه أنَّ جميع الكتب السماوية السابقة على القرآن قد نزلت دفعة وعلى هيئة كتاب تام وكامل، فهذه المسألة أخذت مسلمةً وثابتةً وكأنّها خالية من النقاش، والحال أنّها برغم شهرتها ليست موضعًا لاتفاق^(٧٠)، والخلاصة أنَّ مجرّد الاشتراك لوحده لا يرقى إلى مستوى الدليلية.

الللاحظة الثانية: وهي ترتبط بالدليل الرابع الذي هو مختار السيد العلامة الطباطبائي قائم وجواهرها أننا إذا أثبتنا تعدد مراتب القرآن، وكون النازل في ليلة القدر هو قائم وليس قسماً منه كفى بذلك في تحقيق المطلوب وإن لم نثبت باقي تفصيات العلامة قائم كالبساطة وعدم التركيب والتفصيل بعد الإحکام وغيرها من المسائل.

ثانياً: تقييم أدلة القائلين بالنزول الدفعي:

لا شك في أنَّ متابعة الردود والتقييمات المتقدمة على أدلة الناففين تبرز لنا الصورة العامة التقييمية لأدلة المثبتين وتكفيها مؤونة الإعادة بجمل النقاط المذكورة فيها، وبالتالي ستفتصر على ذكر ملاحظتين فقط لا غير:

الخاتمة:

من خلال التطوّف والنظر في المباحث السابقة والاطلاع على أدلة الفريقين -
الثابت والنافي للدفعية - وتقويتها نتوصل إلى النتائج التالية:

أ- القول بوقوع النزول الدفعي هو رأي المشهور من العلماء قدّيماً وحديثاً وإن
خالفه بعض الأكابر كالشيخ المقيد والسيد المرتضى رحمه الله.

ب- السبب الرئيس في احتدام النزاع في المسألة ناشئ من الكلام في إمكانية
الجمع بين ظاهر الآيات والروايات التي ذكرت نزول القرآن في ليلة واحدة - مما
يعني مناسبتها للنزول الدفعي - وبين التسالم والاتفاق المطبق بين الجميع في تحقق
النزول التدريجي وكونه هو المتسق مع ظاهر آيات القرآن وأحداثه.

ج- فكرة النزول الدفعي تدور في دائرة وفلك الإمكان من دون أن تكون
ضرورية الوجود، وليس للعقل وحده سبيلاً لإثباتها، وبالتالي فمسرح الحديث
حوها يرتبط بما يسعف من النصوص والظهور والتعدد.

د- الحكم في المسألة قبولاً أو رفضاً يحتاج إلى ملاحقة ومتابعة كل اللوازم
والتأكد من انسجامها معه، فوجود فرق بين لفظي (أنزلنا) و(نزلنا) أو عدمه مثلاً
له انعكاس على مائتين وست وسبعين آية كحد أدنى، وبالتالي يجب ملاحظة جميع
هذه الموارد قبل الحسم.

هـ- في المناقشة تم توضيح عدم وجود مانع من تحقق النزول الدفعي سواء في
عالم الإمكان والثبوت أو في عالم الإثبات، وفي الوقت نفسه تبيّنت تمامية القول
بالدفعية وأنه هو المتسق والمناسب لظاهر الأدلة.

هذا قام الكلام في تحرير المسألة ومناقشتها، والله هو الهدى إلى سواء السبيل،
والحمد له أولاً وآخرأ، وأفضل الصلاة والسلام على رسوله الأمين وآلـه الطهر

الميامين.

الهوامش:

(١) سورة الإسراء: ١٠٦.

(٢) انظر: كتاب العين، خليل بن أحمد الفراهيدي، ج ٧، ص ٣٦٧؛ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج ٥، ص ٤١٧؛ وغير ذلك.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الإصفهاني، ص ٧٩٩.

(٤) كتاب العين، خليل بن أحمد الفراهيدي، ج ٢، ص ٤٥؛ المحيط في اللغة، ابن عباد، ج ١، ص ٤٢٧.

(٥) الصحاح (تاج اللغة و صحاح العربية)، إسماعيل بن حماد الجوهري، ج ٣، ص ١٢٠٨؛ لسان العرب، ابن منظور، ج ٨، ص ٨٧.

(٦) شمس العلوم و دواء كلام العرب من الكلوم، الحميري، ج ٤، ص ٢١١٣.

(٧) انظر على سبيل المثال: تصحيح اعتقادات الإمامية، الشيخ المفيد، ص ١٢٣؛ أمالى السيد المرتضى في التفسير والحديث والأدب، الشريف المرتضى، ج ٤، ص ١٦١؛ وكلّ من تعرّض إلى المسألة من العامة والخاصة.

(٨) نفحات الرحمن في تفسير القرآن، الشيخ محمد النهاوندي، ج ١، ص ٣٦.

(٩) تصحيح اعتقادات الإمامية، الشيخ المفيد، ص ١٢٤.

(١٠) رسائل الشريف المرتضى، علم الهدى السيد المرتضى، ج ١، ص ٤٠٣ - ٤٠٥.

(١١) التمهيد في علوم القرآن، الشيخ محمد هادي معرفة، ج ١، ص ١٤٢.

(١٢) سورة القدر: ١.

(١٣) سورة الدخان: ١ - ٤.

(١٤) سورة البقرة: ١٨٥.

(١٥) انظر مثلاً: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ج ١٥، ص ٧٢٨ - ٧٢٩؛ المفردات في غريب القرآن، الراغب الإصفهاني، ص ٧٩٩ - ٨٠٠.

(١٦) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٤، ص ١٥٧، ر ٦.

(١٧) انظر: الإنقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج ١، ص ١٥٦.

(١٨) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٦٢٨، ر ٦.

- (١٩) راجع أيضًا: *تفسير العياشي*، محمد بن مسعود العياشي، ج١، ص٨٠، ر١٨٤؛ *تفسير القمي*، علي بن إبراهيم القمي، ج١، ص٦٦؛ والأهمي، *الشيخ الصدوق*، ص٦٢.
- (٢٠) *الكافـي*، *الشيخ الكلينـي*، ج٤، ص١٥٧، ر٥.
- (٢١) سورة الفرقان: ٣٢.
- (٢٢) انظر مثلاً: *مجمع البيان في تفسير القرآن*، *الشيخ الطبرـي*، ج٧، ص٢٦٥؛ *وجامـع البيان في تفسـير القرآن*، محمد بن جرير الطبرـي، ج١٩، ص٨.
- (٢٣) *الميزان في تفسـير القرآن*، *العلامة السيد الطباطبـائي*، ج٢، ص١٥ - ١٨.
- (٢٤) سورة هود: ١.
- (٢٥) سورة الزخرف: ٤ - ١.
- (٢٦) سورة الواقعة: ٧٧ - ٨٠.
- (٢٧) سورة الأعراف: ٥٢ - ٥٣.
- (٢٨) سورة يونس: ٣٩.
- (٢٩) سورة القدر: ١.
- (٣٠) سورة طه: ١١٤.
- (٣١) سورة القيامة: ١٦ - ١٩.
- (٣٢) من المفيد مراجعة: *التمهيد في علوم القرآن*، *الشيخ محمد هادي معرفة*، ج١، ص١٤٧؛ دروس حول نزول القرآن، *الشيخ ميرزا يـد الله الدوزـوزاني*، ج١، ص١٢ - ٨٦ والمنقول بـ *نصوص في علوم القرآن*، *السيد علي الموسوي الدارـاني*، ص٦٤٧.
- (٣٣) سورة المجادلة: ١.
- (٣٤) تصحيح اعتقادات الإمامية، *الشيخ المفيد*، ص١٢٣.
- (٣٥) الصلاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، إسماعيل بن حماد الجوهرـي، ج٥، ص١٨٢٩.
- (٣٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، *الفـيـومـي*، ج٢، ص٦٠.
- (٣٧) تاج العروس من جواهر القاموس، *الزبيـدي*، ج١٥، ص٧٢٨.
- (٣٨) سورة الأنعام: ٣٧.
- (٣٩) سورة الرعد: ٧.
- (٤٠) أسئلة القرآن (المجيد) وأجوبتها، محمد بن أبي بكر الرازي ، ص٣٢.
- (٤١) سورة الإسراء: ٩٥.

(٤٢) سورة الأنعام: ٨.

(٤٣) سورة الأنعام: ٣٧.

(٤٤) سورة النساء: ١٥٣.

(٤٥) لمزيد من التفصيل راجع ما قاله آية الله الشيخ ميرزا يد الله الدوزدوزاني عليه السلام في كتابه دروس حول نزول القرآن والمنقول به نصوص في علوم القرآن، السيد علي الموسوي الداراني، ص ٦٢٨ - ٦٣٤.

(٤٦) راجع: كتاب العين، الفراهيدي، ج ٣، ص ٦٧؛ الحيط في اللغة، ابن عباد، ج ٢، ص ٣٨٨؛ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، بن حماد الجوهري، ج ١٢، ص ١٤٣؛ مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، ج ٦، ص ٤٣.

(٤٧) لاحظ: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، بن حماد الجوهري، ج ٥، ص ١٧٩١؛ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الحميري، ج ٨، ص ٥١٩٩؛ مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، ج ٥، ص ٤٢؛ تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ج ١٥، ص ٥٧٦.

(٤٨) سورة هود: ١.

(٤٩) لمزيد من الاطلاع انظر: دروس حول نزول القرآن، الشيخ ميرزا يد الله الدوزدوزاني المنقول به نصوص في علوم القرآن، السيد علي الموسوي الداراني، ص ٦٣٥.

(٥٠) سورة آل عمران: ٧.

(٥١) التمهيد في علوم القرآن، الشيخ محمد هادي معرفة، ج ١، ص ١٥٦.

(٥٢) سورة القدر: ١.

(٥٣) سورة الدخان: ٣.

(٥٤) سورة البقرة: ١٨٥.

(٥٥) التمهيد في علوم القرآن، الشيخ محمد هادي معرفة، ج ١، ص ١٤٥.

(٥٦) لاحظ: روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، أبو الفتوح الرazi، ج ٣، ص ٣٠؛ تصحيح اعتقادات الإمامية، الشيخ المفيد، ص ١٢٤؛ مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، ج ٢، ص ١٤؛ التمهيد في علوم القرآن، الشيخ محمد هادي معرفة، ج ١، ص ١٤٥.

(٥٧) نفحات الرحمن في تفسير القرآن، الشيخ محمد النهاوندي، ج ١، ص ٣٦ - ٣٧.

(٥٨) أعلام الدين في صفات المؤمنين، بن أبي الحسن الدليلي، ص ٣٠٣؛ جامع الأخبار، تاج الدين الشعيري، ص ٤؛ بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧٥، ص ٢٧٨، وج ٨٩، ص ٢٠.



- (٥٩) توشيح التفسير في قواعد التفسير والتأويل، محمد بن سليمان التنكابني، ص ٣٨.
- (٦٠) نفحات الرحمن في تفسير القرآن، الشيخ محمد النهاوندي، ج ١، ص ١٣٠ - ١٣١.
- (٦١) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ج ١٥، ص ٧٢٨ - ٧٢٩.
- (٦٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الإصفهاني، ص ٧٩٩.
- (٦٣) كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان سيبويه، ج ٢، ص ٢٨٢.
- (٦٤) سورة الكهف: ٧٥.
- (٦٥) سورة الكهف: ٧٨.
- (٦٦) سورة الكهف: ٨٢.
- (٦٧) راجع: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٥، ص ١٦٩.
- (٦٨) سورة الإسراء: ٩٥.
- (٦٩) سورة الأنعام: ٨.
- (٧٠) راجع مثلاً: التمهيد في علوم القرآن، الشيخ محمد هادي معرفة، ج ١، ص ١٥٦ - ١٥٧.

أصالة عدم الزيادة

تقرير لبحث الأستاذ آية الله الشيخ باقر الإيرواني عليه السلام

الشيخ غازي عبد الحسن السمّاك

إذا وردت روایة مع نقل زيادة، بحيث لا توجد هذه الزيادة في النقل الآخر للرواية، فتارة توجد مرجحات لأحد النقلين -الزيادة أو النقيصة- ككثرة الناقلین أو أضبطة الناقل، كما قد يقال في ترجيح ما ينقله الكليني أو الصدوق على ما ينقله الطوسي، فحينئذٍ يؤخذ بهذه المرجحات سواء في الزيادة أو النقيصة، وهذا خارج عن محل البحث.

وأخرى يتساوى النقلان من جميع الجهات، فلا مرجح لأحد النقلين، ومثاله ما ورد في كفارة المحرم إذا قص أظفاره:

فقد روى الشيخ الطوسي في التهذيب بإسناده عن الحسين بن سعيد، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن أبي بصير قال : «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل قص ظفراً من أظافره وهو محرم، قال : عليه في كل ظفر قيمة مدد من طعام حتى يبلغ عشر ...». ^(١)

ورواه الشيخ الصدوق في الفقيه بإسناده عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن أبي بصير نحوه، إلا أنه قال : «عليه في كل ظفر مدد من طعام». أي من

دون كلمة (قيمة) ^(٢).

والفارق أنه على نقل الشيخ الصدوقي أنّ نفس الطعام لا بدّ من دفعه، وأما على نقل الشيخ الطوسي تدفع قيمة الطعام لا نفس الطعام، فكلمة (قيمة) مذكورة في نقل الشيخ الطوسي بينما هي ليست مذكورة في نقل الشيخ الصدوقي، وهنا يدور الأمر بين أن تكون هذه الكلمة قد زادها الشيخ الطوسي وبين أن تكون قد أنقصها الشيخ الصدوقي.

قد يقال: إنَّ الأصل عدم الزيادة عند الدوران بين الزيادة والنقيصة، أي الأخذ بالزيادة.

والمستند في ذلك عدد من الوجوه:

الوجه الأول:

كلام ناقل الزيادة صريح في وجودها، بينما كلام من لم ينقلها ظاهر في عدم وجودها، ومتى ما كان عندنا كلامان أحدهما صريح والآخر ظاهر وبينهما تنافي، فالعرف يأخذ بالصريح ويُؤْوَلُ الظاهر.

وفيه: مع التسليم بصرامة كلام ناقل الزيادة وغض النظر عن احتمالية الزيادة اتفاقاً، فلا نسلم أخذ العرف بالصريح وتأويل الظاهر في المقام، حيث يتم ذلك فيما إذا فرض وجود كلامين لشخص واحد أحدهما صريح والآخر ظاهر وكان بينهما تنافي، فهنا العرف يُؤْوَلُ الظاهر بالصريح.

وما نحن فيه كلامان لشخصين بينهما تنافي، والعرف لا يأخذ بالصريح ويُؤْوَلُ الظاهر في الكلام المتنافي لشخصين.

إن قلت: إنَّ المتكلم واحدٌ وهو الإمام عَلِيُّهُ، فَإِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ وَاحِدٌ دَارَ أَمْرَ كَلَامِهِ بَيْنَ ثَبُوتِ الْزِيَادَةِ وَبَيْنَ ثَبُوتِ النَّقِيْصَةِ، فَحِينَئِذٍ يَأْخُذُ الْعُرْفَ بِالصَّرِيحِ وَيُؤْوَلُ

الظاهر.

قلت: لم يثبت أن الإمام عَلِيًّا تكلم بكلامين أحدهما يشتمل على الزيادة والآخر يشتمل على النقيصة، بل تكلم الإمام عَلِيًّا بكلام واحدٍ إما مع الزيادة أو بدونها.

عبارة أخرى: الصراحة والظهور إنما هو في كلام من نقل الرواية -أي الشيخ الطوسي والشيخ الصدوق- لا في كلام الإمام عَلِيًّا.

نعم لو فرض أنه صدرت من الإمام عَلِيًّا روایتان مختلفتان واحدة صريحة في شيءٍ من قبيل (لا بأس بأن تترك صلاة الليل) فهذه صريحة في نفي الوجوب، والأخرى قالت: (صل صلاة الليل) وهذه ظاهرة في الوجوب، فهنا صدر كلامان من الإمام عَلِيًّا، وحينئذٍ يأخذ العرف بالصريح -أي نفي الوجوب- ويؤوّل الظاهر -أي الوجوب- بإرادة الاستحباب بقرينية الصريح.

الوجه الثاني:

إن المتكلم قد يغفل فينقض ولا يغفل عادةً فيزيد؛ أي أن احتمال الغفلة في النقيصة أقوى من الزيادة، فالإنسان يغفل عادةً فينقض لا أنه يغفل فيزيد، وعليه فيؤخذ بالزيادة لأن احتمالية الغفلة فيها أضعف.

قد يقال في ردك: إن منشأ الزيادة أو النقيصة ليس دائمًا هو الغفلة، بل له مناشئ أخرى كالنقل بالمعنى فإن الأئمة عَلِيًّا جوزوا لأصحابهم النقل بالمعنى، والشخص إذا أراد أن ينقل بالمعنى فعادةً يحصل عنده زيادة في الكلمة أو نقصان.

وما دام هناك مناشئ أخرى فلا يكفي ما ذكر للأخذ بالزيادة، بل هذا ينفع فيما إذا فرضنا أن منشأ الزيادة والنقيصة ينحصر في الغفلة.

وفيه: نسلم بأن النقل بالمعنى للراوي المباشر عن الإمام سبُّ آخر -غير



الغفلة - للزيادة أو النقيصة، لكن قوامية ذلك في فرض كون الناقل عن الإمام شخصين، فيقال حينئذٍ لعلَّ الزيادة أو النقيصة من جهة النقل بالمعنى لا الغفلة، أمّا إذا فرض بأنَّ الناقل كان شخصاً واحداً - كما في المقام - فلا يتم ذلك.

والصحيح هو أن يقال: إنَّ احتمال الغفلة في الزيادة وإن كان أضعف، لكن غاية ما يولِّد الظن بأنَّه الصائب، ولا يتولِّد القطعُ بذلك، والظن ليس بحجة ما لم يدلُّ عليه الدليل.

الوجه الثالث:

لا منشأ للزيادة سوى الغفلة، بينما النقيصة منشؤها متعدد، إما لغفلة أو لاختصار أو لاعتقاد مساواة بين وجود الزيادة وعدمه.

وباتضاح هذا نقول:

بالنسبة إلى الزيادة: فالالأصل العقلايٌّ ينفي الغفلة، فكلَّ إنسان إذا تكلَّم بكلام فالعقلاء يبنون على أنه ملتفت وليس بغافل.

وبالنسبة إلى النقيصة: فيمكن نفي منشأ الغفلة بالأصل كذلك، بينما بقية المنشائِ لا أصل لنفيها.

وعليه، لا بدَّ من البناء على الزيادة، لنفي منشأ الزيادة الوحيد - أي الغفلة - بالأصل، بينما النقيصة فلا ينفي إلا منشأ الغفلة، وتبقى المنشائِ الآخر من دون نفي، فلا يؤخذ بالنقيصة.

وفرق هذا الوجه عن سابقه هو أنَّ السابق يدور مدار منشأ واحد للزيادة والنقيصة، ألا وهو الغفلة في الزيادة أو النقيصة، وهنا الدوران بين منشأ الغفلة وغيره من المنشائِ.

وفيه:

أولاً: دعوى كون المنشأ للنقيصة لا ينحصر بالغفلة، بل قد يكون طلباً للاختصار أو لاعتقاد التساوي بين الزيادة والنقيصة إنما يتم لو كان الناقل عن الإمام شخصين لا شخصاً واحداً، والمعارف عادةً - كما في المقام - أن يكون الناقل واحداً، فلا تعدد للمناشئ في الناقل الواحد.

نعم، يتصور التعدد في حق الناقل عن الراوي المباشر، إلا أنه - عادةً - لا يتصرف في الخبر.

إذاً، ما يتصور في حقه الزيادة والنقيصة لا يتصرف في الألفاظ، وإنما هو ناسخ عادةً، والذي يتصور في حقه ذلك هو واحد حسب الفرض، ولا تتحقق منه الزيادة والنقيصة معاً، وإنما الذي يتحقق منه شيء واحد، إما وجود الزيادة أو عدم وجودها.

ثانياً: لا ينحصر نقل الزيادة بالغفلة، بل النقل بالمعنى يستدعي الزيادة أيضاً لا خصوص النقيصة، فلا ينحصر المنشأ بالغفلة حتى تنفي بالأصل ويفوز بالزيادة.

ثالثاً: كما يوجد أصل عقائدي ينفي منشأ الغفلة، كذلك يوجد أصل عقائدي -بغض النظر عن مسماه- ينفي المنashئ الأخرى كالاختصار واعتقاد المساواة.

فالنقيصة طلباً للاختصار لعلها تخلى بتمامية الكلام، وكذا اعتقاد المساواة، ولا أقل من احتمال ذلك، ولا زمه عدم حجية النقل مطلقاً، وهو باطل، فلا بد من نفي هذه المنashئ بأصل عقائدي كأصله عدم الاشتباه -مثلاً- عند إرادة الاختصار أو اعتقاد المساواة.

رابعاً: مع التسليم -بما ذكر- بأن لا منشأ للزيادة سوى الغفلة، بينما النقيصة منشئها متعدد، فينفي منشأ الغفلة وتبقى المنashئ الأخرى فيؤخذ بالزيادة، فإن ذلك لا يحقق المدعى وهو الجزم بالزيادة إلا بضميمة السيرة العقائدية،

وهي بنفسها دليل من دون حاجة إلى هذا التطويل.

الوجه الرابع:

أن يدعى وجود سيرة عقلائية في البناء على عدم الزيادة عند الدوران بين الزيادة والنقيصة، وهو ما يعبر عنه بأسالة عدم الزيادة، فالمتشاءٌ حينئذٍ هو السيرة العقلائية.

وربما تظهر هذه الدعوى من شيخ الشريعة الإصفهاني تيّث في قاعدة لا ضرر^(۳).

وفيه: إنَّ دعوى انعقاد السيرة محلَّ تأمُّل، ولا يمكن الجزم بها.

والأجدر أن يقال: لا بدَّ من ملاحظة الموارد، وهي تختلف باختلاف المرجحات النوعية التي تورث الظن النوعي بالزيادة أو النقيصة، فزيادة جملة مردح عقلائي للأخذ بها، بعد الاستبهان في زيادتها، وكذا الحال في تعدد الناقل للزيادة دون النقيصة، فحينئذٍ يؤخذ بالزيادة.

فإذا أريد أن يدعى انعقاد السيرة على ملاحظة المرجحات النوعية التي تورث الظن النوعي فلا بأس في ذلك، ومع فقد المرجحات يكون المورد من موارد التعارض والتوقف.

إن قلت: لا دليل على حجية المرجحات النوعية، حيث إنها لا توجب الاطمئنان الشخصي.

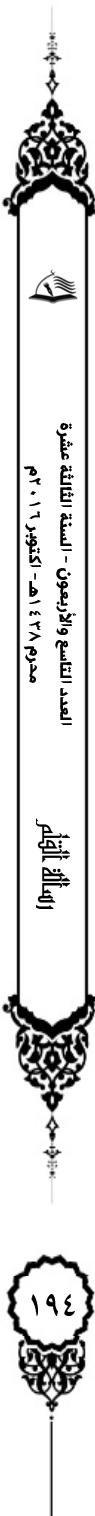
قلت: إنما الحجية للسيرة العقلائية المعقدة على ملاحظة المرجحات النوعية، ولا حجية للمرجحات النوعية من دون ضميمة السيرة.

فالتحصل: إنَّ المورد -عند الدوران بين الزيادة والنقيصة- تختلف باختلاف المرجحات النوعية، وما ذكر من الوجوه للأخذ بالزيادة مطلقاً من دون ملاحظة المرجحات غير تام.

الهوامش:

- (١) وسائل الشيعة، العاملي، ج ١٣، ص ١٦٢، بقية كفارات الإحرام، ب ١٢، ح ١، آل البيت.
- (٢) المصدر السابق.
- (٣) رسالة لا ضرر، الإصفهاني، ص ١٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِلَّهِ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ الْمُرْجَأُ
وَلِلَّهِ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ الْمُرْجَأُ



عدّة الممتع بها

الشيخ على فاضل الصددي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ وآلِهِ الْأَطْيَبِينَ
الْأَطْهَرِينَ .

مقدمة:

لا خلاف في أنّ عدّة الممتعة المدخول بها الحائل فيما إذا كانت في سنّ من تحixض وهي لا تحixض - خمسة وأربعون يوماً^(١)، وفي الجواهر: "إجماعاً بقسميه"^(٢).
ويدلّ عليه إطلاق بعض روایات الباب، منها: موثقة زرارا - في نقل الكليني رحمه الله - قال: «عدّة المتعة خمسة وأربعون يوماً، كأنّى أنظر إلى أبي جعفر عليه السلام يعقد بيده خمسة وأربعين .. الحديث»^(٣). وظاهر النقل أنّ القائل هو زرارا، ولكن يظهر من قوله: "كأنّى أنظر إلى أبي جعفر.." استفاداته التحديد من الإمام عليه السلام، ويعوّد بيده نقل الصدوق رحمه الله للرواية قائلاً: وروى موسى بن بكر عن زرارا قال: سمعت أبي جعفر عليه السلام يقول: «عدّة المتعة خمسة وأربعون يوماً، كأنّى أنظر إلى أبي جعفر عليه السلام يعقد بيده خمسة وأربعين يوماً .. الحديث»^(٤).

ومنها: معتبرة أحمد بن محمد بن أبي نصر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال

أبو جعفر عليه السلام: (قال) «عَدَّةُ الْمُتَعَةِ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ يَوْمًا، وَالْاحْتِيَاطُ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً»^(٥). ولا يعييها وجود سهل في طريقها؛ لوثاقته على المختار.

ومنها: ما رواه الشيخ رحمه الله بسنده معتبر عن عبد الله بن عمرو عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث - في المتعة قال: قلت: فكم عدتها؟ فقال: «خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ يَوْمًا أو حِيْضَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ»^(٦). وأما ابن عمرو فهو مجاهول.

ومنها: روایة أحمد بن محمد بن أبي نصر - المرويّة في قرب الإسناد للحميري - عن الرضا عليه السلام قال: سمعته يقول: قال أبو جعفر عليه السلام: «عَدَّةُ الْمُتَعَةِ حِيْضَةٌ، وَقَالَ: خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ يَوْمًا لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ»^(٧).

ومنها: صحيحة محمد بن سلم - في حديث - أنه سأله أبا عبد الله عليه السلام عن المتعة، فقال: «إِنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَمْرًا جَدِيدًا فَعَلَّ، وَلَا يَسْتَعْلَمُ عَلَيْهَا الْعَدَّةُ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا مِنْ غَيْرِهِ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً»^(٨).

ومنها: روایة المفضل بن عمر - التي نقلها الشيخ الحر رحمه الله عن بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله رض، وبصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار رض - عن أبي عبد الله عليه السلام في كتابه إليه: «وَأَقْتَلَ مَا ذَكَرْتُ أَتَهُمْ يَتَرَادِفُونَ الْمَرْأَةُ الْوَاحِدَةُ فَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ دِينِ اللَّهِ وَدِينِ رَسُولِهِ، إِنَّمَا دِينِهِ أَنْ يَحْلِّ مَا أَحْلَّ اللَّهُ وَيَحْرِمُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَإِنَّ مَا أَحْلَّ اللَّهُ الْمُتَعَةُ مِنِ النِّسَاءِ فِي كِتَابِهِ وَالْمُتَعَةُ مِنَ الْحِجَّةِ، أَحْلَّهُمَا اللَّهُ ثُمَّ لَمْ يَحْرِمْهُمَا، فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ أَنْ يَتَمَتَّعَ مِنَ الْمُتَعَةِ فَعَلَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَعَلَى كِتَابِهِ وَسَتَةُ نَبِيَّهُ نَكَاحٌ غَيْرُ سَفَاحٍ مَا تَرَاضَيَا عَلَى مَا أَحْبَبَا مِنَ الْأَجْرِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَأَتُوْهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيْضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيْضَةِ﴾ إِنَّمَا أَحْبَبَا مَدَّاً فِي الْأَجْلِ عَلَى ذَلِكَ الْأَجْلِ أَوْ مَا أَحْبَبَا فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَجْلِهَا قَبْلَ أَنْ يَنْقُضِي الْأَجْلُ مِثْلُ غُرُوبِ الشَّمْسِ مَدَّا فِيهِ وَزَادَ فِي الْأَجْلِ مَا أَحْبَبَا، فَإِنْ مَضَى آخِرُ يَوْمٍ مِنْهُ لَمْ يَصْلَحِّ إِلَّا بِأَمْرٍ مُسْتَقْبَلٍ، وَلَا يَسِّرُ بَيْنَهُمَا عَدَّةٌ إِلَّا لِرَجُلٍ سَوَاهُ، فَإِنْ أَرَادَتْ

سواء اعتدّت خمسة وأربعين يوماً، وليس بينهما ميراث، ثم إن شاءت تنتعّت من آخر فهذا حلال لها إلى يوم القيمة إن شاءت تنتعّت منه أبداً، وإن شاءت من عشرين بعد أن تعتدّ من كلّ من فارقته خمسة وأربعين يوماً، كلّ هذا لها حلال على حدود الله التي يبيّنها على لسان رسوله، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾^(٩).

ولكنّها -مضافاً إلى ضعف سندّها بصبح المدايني الرواية عن المفضل؛ لمجهوليتها- ضعيفة من جهة بصائر سعد؛ فإنّ بصائره لم تصلنا، والواصل هو مختصرها للشيخ حسن بن سليمان الحلي عليه السلام أحد تلامذة الشهيد الأول قتيله، ولا علم لنا بطريق له إلى البصائر، ولا نحرز معروفيّة الواصل منها في زمانه.

ويدلّ على أنّ عدتها ذلك بالخصوص بعض روایات الباب، منها: صحیحة زرارة -المرؤویۃ في الكافی وفي التهذیب عن محمد بن یعقوب- عن أبي عبد الله عليه السلام أَنَّه قال: «(عَدَّةُ الْمُتَعَةِ) إِنْ كَانَتْ تَحِیضَ فَخِیضَةٌ، وَإِنْ كَانَتْ لَا تَحِیضَ فَشَہرٌ وَنَصْفٌ»^(١٠).

ولا يضرّ بالاستدلال بها خلو نقل الكافی من (عدّة المتعة) بعد أن صدر بهذه الصحیحة باب عدّة المتعة منه، على أنّ نقل التهذیب لها وبتوسّط -الشيخ الكلینی- مشتمل عليها، ثمّ من غير البعید أنّها ذيل صحیحة الهاشمي الآتیة، فهما متهددان سندًا ومتناً، هذا.

ولو كانت تحیض لكن لم تكن مستقیمة الحیض أو كان حیضها مستقیماً لكن كان الطهر بين الحیضتين خمسة وأربعين يوماً أو أزيد -فتكتفیان بمضي خمسة وأربعين يوماً -وفاقاً للسید الأستاذ المأری^(١١)-؛ لما تقدم من الروایات على أنّ عدّة المتمتّعة ذلك، وهذه الإطلاقات مع كثرتها يبعد جملها على خصوص من كانت في سنّ من تحیض وهي لا تحیض، وهي المستربابة، فكأنّها تهمل عدّة من كانت في سنّ من تحیض وهي تحیض، رغم أنّها الأوفر أفراداً من أفراد المستربابة، والفرض

موضع النزاع:

وقد اختلف الأعلام في عدة المتمتعة بغير الأشهر على أقوال:

أوّلها: أنها حيضان، وهو الأشهر، كما قال المفيد في خلاصة الإيجاز^(١٣)، واختاره الشيخ في النهاية^(١٤)، والديلمي^(١٥)، والقاضي^(١٦)، والمحقق في الشرائع^(١٧)، وابن سعيد^(١٨)، والعلامة في القواعد والإرشاد والتبصرة^(١٩)، والشهيد في اللمعة^(٢٠).

ثانيها: أنها حيضة، وهو الحكي عن زرار^(٢٢)، والعmani^(٢٣)،^(٢٤).

ثالثها: أنها حيضة ونصف، وهو قول الصدوق في المقنع^(٢٥).

رابعها: أنها طهران، وقد اختاره المفيد في المقنعة^(٢٦)، والحلبي^(٢٧)، وابن حمزه^(٢٨)، وابن زهرة^(٢٩)، والحلبي^(٣٠)، والعلامة في المختلف^(٣١).

حجّة القول الأول:

ومنشأ اختلاف الأقوال هو اختلاف الأخبار، فمنشأ القول الأول جملة من الأخبار، منها: ما في تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي جعفر ع عليهما السلام في المتن قال: نزلت هذه الآية ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَاتُوهُنَّ أُجُورُهُنَّ فَرِيقَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيقَةِ﴾، قال: «لا بأس بأن تزيدها وتزيدك إذا انقطع الأجل».

أن تلكم الإطلاقات على نهج القضية الحقيقة لا الخارجية.

وقد اكتفى السيد قده في ملحوظات العروة ببعضي خمسة وأربعين يوماً بالنسبة للأولى دون الثانية؛ معللاً عدم تناول تلكم الأخبار للثانية بأن الحكم بالأشهر معلق فيها على عدم الحيض^(١٢).

ويلاحظ عليه - مضافاً إلى ما تقدم - أن هذه النكتة لا تختص بالثانية، بل تتناول الأولى، فكلتاها تحيسن، والحكم بالأشهر معلق على عدم الحيض.

بينكما، فتقول: استحللتك بأمر (بأجل) آخر برضى منها، ولا تخل لغيرك حتى تنقضي عدتها، وعدتها حيضتان»^(٣٣).

ولكنها مرسلة، نعم رویت مسندةً في الواصل إلينا من نوادر أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري القمي رض، فقد رواها عن النضر بن سويد عن عاصم بن حميد عن أبي بصير^(٣٤)، وأوردها في البحار مردداً مصدرها بين النوادر وغيرها، قائلاً: "الحسين بن سعيد أو النوادر: عن النضر عن عاصم بن حميد عن أبي بصير"^(٣٥)، وأوردها في المستدرك عن كتاب عاصم بن حميد الحناظ عن أبي بصير^(٣٦).

ورغم ذلك لا يسعنا الاعتماد عليها بعد أن وصلت نسخة كتاب النوادر إلى العلامة الجلسي رض بالوجادة، مثلما وصلتنا بالوجادة، وقد نقل هذه الرواية في البحار برمز (ين) في إشارة إلى كون مأخذها كتب الحسين بن سعيد، وإن احتمل رض في غير مورد أن يكون ما وصله هو كتاب النوادر^(٣٧)، وكتاب عاصم -هو الآخر- وصل إلى المحدث النوري رض بالوجادة.

ومن الروايات التي استدل بها لهذا القول^(٣٨) ذيل صحيحه زرارة قال: سألت أبي جعفر عليه السلام: ما عدّة المتعة إذا مات عنها الذي تُمْتَّعُ بها؟ قال: «أربعة أشهر وعشراً، قال: ثم قال: يا زرارة كُل النكاح إذا مات الزوج فعل المرأة حرّة كانت أو أمة و (أو) على أي وجه كان النكاح منه متعة أو تزويجاً أو ملك يمين فالعدة أربعة أشهر وعشراً، وعدة المطلقة ثلاثة أشهر، والأمة المطلقة عليها نصف ما على الحرّة، وكذلك المتعة عليها مثل ما على الأمة»^(٣٩)، بعد ضمّه مع روایة محمد بن الفضیل عن أبي الحسن (الماضي) عليه السلام قال: «طلاق الأمة تطليقتان، وعدتها حيضتان..»^(٤٠)، فیتحصل منها أنّ عدّة المتعة حيضتان.

ويتوجّه عليه أنّ الظاهر بقرينة صدر صحيحه زرارة إرادة المائلة بين المتعة والأمة في الاعتداد بالأشهر لا مطلقاً، ولا أقلّ من احتمال ذلك^(٤١).

ومنها: - وهي العادة - صححه إسماعيل بن الفضل الهاشمي بنقل الشيخ الكليني رحمه الله عن علي عليه السلام بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمر عن عمر بن أذينة عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المتعة، فقال: «إلق عبد الملك بن جریح فسله عنها؛ فإنْ عنده منها علمًا، فلقيته، فأملئ على شيئاً كثيراً في استحلالها، وكان فيها روى لي فيها ابن جریح، أنه ليس فيها وقت ولا عدد، إنما هي بمنزلة الإمام يتزوج منهن كم شاء، وصاحب الأربع نسوة يتزوج منهن ما شاء بغير ولپ ولا شهود، فإذا انقضى الأجل بانت منه بغير طلاق، ويعطيا الشيء اليسير، وعدتها حيضتان، وإن كانت لا تحيض خمسة وأربعون يوماً، قال: فأتيت بالكتاب أبا عبد الله عليه السلام (فعرضت عليه)، فقال: صدق وأقر به، قال ابن أذينة: وكان زرارة يقول هذا، ويختلف أنه الحق، إلا أنه كان يقول: إن كانت تحيض خبيضة، وإن كانت لا تحيض فشهر ونصف»^(٤٢).

وهي - وإن كانت نصاً في المطلوب، كما قال صاحب المدارك^(٤٣) - ولكن لا يسعنا الاعتماد على هذا النقل بعد أن نقلت في نوادر الأشعري، بهذا النحو: «... وعدتها حبيضة إن كانت تحيض، وإن كانت لا تحيض شهر - إلى أن قال - فانطلقت بالكتاب إلى أبي عبد الله عليه السلام، فعرضته عليه فقال: صدق وأقر به، قال عمر بن أذينة: وكان زرارة يقول هذا، ويختلف بالله أنه الحق ، إلا أنه كان يقول: إن كانت تحيض خبيضة، وإن كانت لا تحيض فشهر ونصف»^(٤٤)، فلم يثبت صدور الصحيحه بنقل الكافي كي تصلح للاستدلال بها.

والتحصل عدم نهوض حجّة للقول الأول.

حجّة القول الثاني:

ومنشأ القول الثاني طائفة من الروايات، منها: صحيحه زراره - المرويّة في الكافي وفي التهذيب عن محمد بن يعقوب - عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «(عدة المتعة)

إن كانت تحيض خبيضة، وإن كانت لا تحيض فشهر ونصف»^(٤٥). وقد تقدّمت، ومن غير بعيد أتّها عين ذيل صحّيحة الهاشمي المتقدّمة، وبوجب نقل النوادر لصحّيحة الهاشمي فلا يخالف ما نقله ابن أذينة عن الهاشمي عما نقله عن زرارة من أن العدة حبيضة واحدة.

وَيُؤْيِّدُهَا مَا تَقْدِمُ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو وَابْنِ أَبِي نَصْرٍ.

وقد استُدلَّ له^(٤٦) بذيل صحيحه زرارة - وقد تقدّمت - «المتعة عليها مثل ما على الأمة» بعد ضمّه إلى موثقة سعاعة بن مهران قال سأّلته عن رجل اشتري جارية وهي طامت، أيستبرئ رحمها بجيضة أخرى أم تكفيه هذه الجيضة؟ قال: «لا، بل تكفيه هذه الجيضة، فإن استبرأها أخرى فلا بأس، هي بمنزلة فضل»^(٤٧).

ويلاحظ عليه -مضافاً إلى ما تقدم من احتمال إرادة الماشلة بين المتعة والأمة في الاعتداد بالأشهر لا مطلقاً، لو لم يكن هو الظاهر- أنّ محاثلة المتعة للأمة إنما هي في عدة طلاقها -لا في استبرائتها من وطئها بملك اليمين-؛ بقرينة قوله: «والآمة المطلقة عليها نصف ما على الحرة»، ثم أردفه بقوله: «وكذلك المتعة عليها مثل ما على الأمة».

وعلى أي حال ففي صحيحة زرارة غنى وكفاية.

حجّة القول الثالث:

ومنشأ القول الثالث صحيحه عبد الرحمن بن الحجاج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المرأة يتزوجها الرجل متعة ثم يتوفى عنها، هل عليها العدة؟ فقال: «تعتدد أربعة أشهر وعشراً، وإذا انقضت أيامها وهو حي فخيضة ونصف مثل ما يجب على الأمة، الحديث»^(٤٨).

ومقتضها كون الحيضة والنصف عدّة الأمة، والحال أنّه قد دلّت جملة من

فساده جداً^(٥٤).

حجّة القول الرابع:

وقد استدلّ له الروضة والمسالك^(٥٥) بذيل صحيحه زراره - وقد تقدمت- «المتعة عليها مثل ما على الأمة» بعد ضمّه إلى ذيل صحيحه زراره الأخرى عن أبي جعفر عَلَيْهِ الْحَسَنَةُ قَالَ: «وإِنْ كَانَ حَرّ تَحْتَهُ أُمَّةٌ فَطَلَاقُهَا تَطْلِيقَتَانِ، وَعَدَّتْهَا قِرْءَانِ»^(٥٦)، بعد دعوى أن القراء بمعنى الطهير لا الحيض، ولو بقرينة ما جاءت في سياقه من قوله: «إِنْ كَانَتْ حَرّةً فَطَلَاقُهَا ثَلَاثَةً (كذا)، وَعَدَّتْهَا ثَلَاثَةً أَقْرَاءً».

ويلاحظ عليه - مضافاً إلى ما تقدم من احتمال إرادة المثالثة بين المتعة والأمة في الاعتداد بالأشهر لا مطلقاً، لو لم يكن هو الظاهر - اختصاص القراءين بفرض كون زوج الأمة حراً، جمعاً بينها وبين ما دلّ بإطلاقه على أنّ عدّة الأمة حيتان^(٥٧).

المحصلة:

فتحصل عدم تمامية وجه من وجوه الأقوال الأربع ما عدا الثاني، فهو الصحيح من بينها.

وما قد يعترض به على هذا القول من الشذوذ والن دور بخلاف الأول فيلاحظ عليه أنّ المصير إلى الأول من قبل جمع - ولعله الأشهر - لا يعيّن نهوضه لوحده دون الثاني، فكما يحتمل ذلك، يحتمل نهوضهما في أنفسهما مع ترجيح للقول الأول بوجه من الوجوه كالشهرة بعد تكافؤهما، أو مع الأخذ بما يقتضيه الأصل من

الاستصحاب والاحتياط - وهو الأول - بعد تساقطهما، كيف لا؟ وما وصل إلينا من
كلمات القدماء مجرد فتاوى.

ومن ذلك يعرف أنّ إعراض المشهور عن روایات کفاية الحیضة لا يحّض
السبب في علّةٍ ومشكلةٍ فيها، بل قد يكون لنكتة اجتهادية، ومن باب التقديم
للشهرة المدعّاة أو الأخذ بالأصل أو الاحتياط.

تتميم:

بقي الكلام حول ما أرسله الطبرسي رحمه الله في الاحتجاج عن محمد بن عبد الله
بن جعفر الحميري عن صاحب الزمان عليه السلام أنه كتب إليه في رجل تزوج امرأةً
بشيءٍ معلوم إلى وقت معلوم، وبقي له عليها وقت، فجعلها في حلٌّ مما بقي له
عليها، وقد كانت طمثت قبل أن يجعلها في حلٍّ من أيامها بثلاثة أيام، أبجوز أن
يتزوجها رجل (آخر بشيءٍ) معلوم إلى وقت معلوم عند ظهرها من هذه الحیضة،
أو يستقبل بها حیضة أخرى؟ فأجاب عليه السلام: «يستقبل بها حیضة غير تلك الحیضة؛
لأن أقل العدة حیضة وظهرة تامة»^(٥٨).

فقد يتخدّ منه وجهاً للقول الثاني، بل للأول بناءً على کفاية المسمى في الحیضة
الثانية؛ فإنّ الظهر التام لا يتحقّق إلا بعد الدخول في الحیض^(٥٩).

ويلاحظ عليه أنّ منصرف الحیضتين كونهما تامتين، فلا يلتئم مع ما تفيده
هذه المكاتبة، كما أنّ ما دلّ على أن العدة حیضة واحدة لا يدخل فيها أصل الظهر
فضلاً عن ظهر تام.

وقد جمع - في بعض الكلمات - بالمكاتبة بين ما دلّ على اعتبار الحیضتين،
والظهرتين، وكفاية الحیضة والنصف، والحاصل - بما لا يخلو عن تحّل.

فقال: "وجه الجمع أنه إذا كان اللازم حیضة مستقلةً وظهر تام فلا محالة لا بدّ من

دخول جزء من الحيض الثاني لتيقّن تمام الطهر، بل ومضى ثلاثة أيام منه حتّى يستقرّ الحكم بححيضته، وكذا لا بدّ من ملاحظة مقدار من الطهر السابق على الحيضة المستقلّة لحصول اليقين بتمام الحيضة، فيتحقق حيستان ولو كانت إحداهما تاماً والأخرى ناقصة، وكذا حيضة ونصف بإرادة القطعة من النصف، وكذا تتحقّق الطهران ولو يكون أحدهما بقدر المسمى والآخر تاماً، وكذا يصدق الحيضة بملحوظة انحصر المستقلّة في الواحدة، ولكنّه يحتاج إلى ضمّ قيد وهو: طهر تام^(٦٠).

وأقول: إن المكاتبة - مضافاً لضعفها بالإرسال - لا عامل بظاهرها من اعتبار الحيضة والطهر التامين، فلا تصلح قرينةً على شيء مما تقدم من الوجه، ولا جامعاً بينها.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأَمِينِ وآلِهِ الْأَطِيبَيْنِ الْأَطْهَرَيْنِ.

الهوامش:

- (١) أو خمس وأربعون ليلة أو شهر ونصف كما في بعض الروايات.
- (٢) جواهر الكلام ٣٠: ١٩٩.
- (٣) وسائل الشيعة ٢١: ٥٢ ب ٢٢ من أبواب المتعة ح ٣.
- (٤) من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٦٤ (٤٦٠).
- (٥) الكافي ٥: ٤٥٨ باب عدّة المتعة ح ٢، وسائل الشيعة ٢١: ٥١ ب ٢٢ من أبواب المتعة ح ٢.
- (٦) وسائل الشيعة ٢١: ٥٢ ب ٢٢ من أبواب المتعة ح ٤.
- (٧) وسائل الشيعة ٢١: ٥٣ ب ٢٢ من أبواب المتعة ح ٦.
- (٨) وسائل الشيعة ٢١: ٥٤ ب ٢٣ من أبواب المتعة ح ١.
- (٩) وسائل الشيعة ٢١: ٥٥ ب ٢٣ من أبواب المتعة ح ٥.
- (١٠) التهذيب ٨: ١٦٥ ب ٦ من كتاب الطلاق ح ١٧٢ (٥٧٣)، وسائل الشيعة ٢٢: ٥١ ب ٢٢ من أبواب المتعة ح ١.
- (١١) الفتاوى المنتخبة: ٥٠٤، لـ النكاح، م ١٦٠.
- (١٢) العروة الوثقى (الملاحقات) - ط جماعة المدرسین ٦: ١٣٩.
- (١٣) خلاصة الإيجاز: ٥٠.
- (١٤) النهاية: ٤٩٢.
- (١٥) المراسيم العلوية: ١٦٧.
- (١٦) المهدب ٢: ٢٤٣، ٢٤٤.
- (١٧) شرائع الإسلام ٢: ٥٣٢.
- (١٨) الجامع للشرائع: ٤٥١.
- (١٩) قواعد الأحكام ٣: ٥٣، إرشاد الأذهان ٢: ١٢، تبصرة المتعلمين: ١٨٠.
- (٢٠) اللمعة الدمشقية: ١٥٣.
- (٢١) واختاره أغلب مراجع العصر، كما لا يخفى على المراجع، نعم احتاط السيد السيستاني دام ظلّه بعدم كفاية الحيضة الواحدة بالاحتياط الوجوي - منهاج الصالحين ٣: ٨١ م ٢٥٩، وبنحوه احتاط الشهيد الصدر قائلاً في تعليقه على منهاج الإمام الحكيم قائلاً - منهاج الصالحين ٢: ٢٨٩ لـ النكاح، التعليقة (٥٠).
- (٢٢) على ما نقله عنه ابن أذينة، كما في صحيحه الهاشمي الآتية: «قال ابن أذينة: وكان زراره

يقول هذا، ويختلف أنه الحق».

(٢٣) نقله عنه في مختلف الشيعة: ٢٣٢.

(٢٤) واختاره من مراجع العصر السيد موسى الشيرازي الزنجاني دام عزه - المسائل الشرعية: ٥٧٧، ٢٥٢٤ -، والأستاذ السيد كاظم الحائري دام عزه - الفتاوى المنتخبة: ٥٠٤، ك التكاج، م ١٦٠.

(٢٥) المقنع: ٣٤١.

(٢٦) المقنعة: ٥٣٦.

(٢٧) الكافي: ٣١٢.

(٢٨) الوسيلة: ٣٢٧.

(٢٩) غنية النزوع: ٣٥٩.

(٣٠) السرائر: ٢٦٥.

(٣١) مختلف الشيعة: ٢٣٢.

(٣٢) واختاره من مراجع العصر السيد محمد سعيد الحكيم دام عزه - منهاج الصالحين: ٣: ٨٦، الطلاق، م ٦٥.

(٣٣) وسائل الشيعة: ٢١: ٥٦ ب ٢٣ من أبواب المتعة ح ٦.

(٣٤) النوادر لأحمد بن محمد بن عيسى الأشعري القمي: ٨١ ح ١٨٢.

(٣٥) بحار الأنوار: ١٠٠: ٣١٥ ب ١٠ من أبواب التكاج ح ٢٠.

(٣٦) مستدرك الوسائل: ١٤: ٤٦٦ ب ١٨ من أبواب المتعة ح ٤.

(٣٧) ومن الموارد - بحار الأنوار: ١: ١٦.

(٣٨) انظر: الروضة البهية: ٣: ٢٤٥، مسالك الأفهام: ٧: ٤٧٢.

(٣٩) وسائل الشيعة: ٢٢: ٢٧٥ ب ٥٢ من أبواب العدد ح ٢.

(٤٠) وسائل الشيعة: ٢٢: ٢٥٧ ب ٤٠ من أبواب العدد ح ٥.

(٤١) انظر: جواهر الكلام: ٣٠، ١٩٦، ١٩٧، العروة الوثقى (الملاحقات): ٦: ١٣٦.

(٤٢) وسائل الشيعة: ٢١: ١٩ ب ٤ من أبواب المتعة ح ٨.

(٤٣) نهاية المرام: ١: ٢٥٦.

(٤٤) النوادر لأحمد بن محمد بن عيسى الأشعري القمي: ٨٥ ح ١٩٣، مستدرك الوسائل: ١٤: ٤٥٣، ب ٤ من أبواب المتعة ح ١.

(٤٥) التهذيب: ٨: ١٦٥ ب ٦ من كتاب الطلاق ح ١٧٢ (٥٧٣)، وسائل الشيعة: ٢٢: ٥١ ب ٢٢ من

أبواب المتعة ح .١

- (٤٦) انظر: الفتاوى المنتخبة للأستاذ السيد الحائرى دام ظله: ٥٠٤ تعليقة (١).
- (٤٧) وسائل الشيعة: ٢١: ٩٦ ب ١٠ من أبواب نكاح العبيد والإماء ح .٢
- (٤٨) وسائل الشيعة: ٢١: ٥٢ ب ٢٢ من أبواب المتعة ح .٥
- (٤٩) وسائل الشيعة: ٢٢: ٢٥٦، ٢٥٧ ب ٤٠ من أبواب العُدد ح .٣، ٤، ٥
- (٥٠) وسائل الشيعة: ٢٢: ٢٥٦ ب ٤٠ من أبواب العُدد ح .٢
- (٥١) وسائل الشيعة: ٢٢: ٢٥٧ ب ٤٠ من أبواب العُدد ح .٦
- (٥٢) وسائل الشيعة: ٢٢: ٢٥٦ ب ٤٠ من أبواب العُدد ح .١
- (٥٣) العروة الوثقى (الملحقات) ٦: ١٣٧.
- (٥٤) رياض المسائل ١٠: ٣٠٣.
- (٥٥) انظر: الروضة البهية ٣: ٢٤٥، مسالك الأفهام ٧: ٤٧٣.
- (٥٦) وسائل الشيعة: ٢٢: ٢٥٦ ب ٤٠ من أبواب العُدد ح .١
- (٥٧) انظر: الوسائل ٢٢: ٢٥٦، ٢٥٧ ب ٤٠ من أبواب العُدد ح .٢، ٣، ٤.
- (٥٨) وسائل الشيعة: ٢١: ٥٣ ب ٢٢ من أبواب المتعة ح .٧
- (٥٩) انظر: العروة الوثقى (الملحقات) ٦: ١٣٧.
- (٦٠) كتاب النكاح للمرحوم الشيخ محمد علي الأرaki قىش: ٤٢٥، ٤٢٦، وانظر: جامع المدارك ٤: ٣١٣، ٣١٤.



Resalat Alqalam

Islamic, Enlightening & Comprehensive

● Advisory Board :

Sh. Abdulla Ali Al daqaq
Sh. Ali Fadhel Alsadadi
Sh. Ghazi Abdulhassan

● General Supervisor :

Sh. Abdulraoof Hassan Alrabia

● Editor in Chief:

Sh.mohammed ali khatam

● Editor in Director:

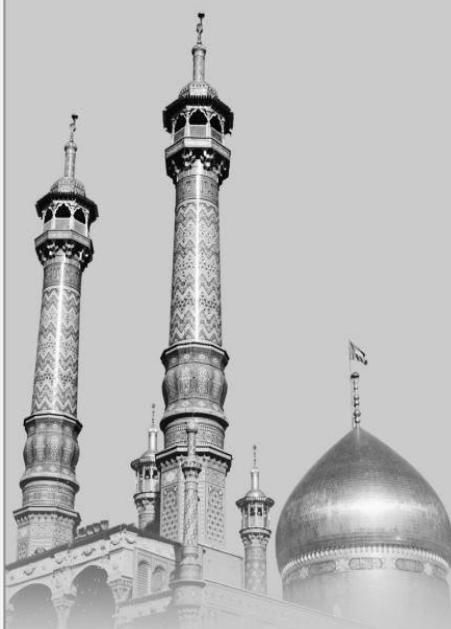
Sh.Abbas Ali Alsayegh

● Chairman of the Editorial Board:

Sh.Aziz Hassan Salman

● Editorial Board:

S.Jalal Adnan Alawi
Sh.Ali Aqeel Aljamri
Sh.Mansoor Ebrahim Aljubaili



A Periodical Magazine Issued by the
Bahraini Students
of the Educational Hawza the
Holy City of Qom



ثورة كربلاء

ثورة كربلاء ثورة الدين الحق على دين مغشوش ممزوج بالجاهلية، مسخر لخدمة الطواغيت، مخدر للأمة، إباهي إلى حد كبير، مبرر للظلم، يشيع للأثرة والنهب والاستحواذ بغير حق على الثروة.

وثورة عقل في قيمة النضج والرشد وال بصيرة على عقول قاصرة مجت بلا رشد، ولا حكمة، ولا بصيرة.

ثورة عقل تنتور بهدايات الله على عقول لعبت بها الجاهلية، وأعمتها شهواتها، وأصلحتها الطغيان.

كرباء ثورة القيم الروحية الطاهرة في أعلى طهرها ونقاوتها، على قيم الطين الهابغة، والشهوات المادية المتدنية، والحيوانية والبهيمية حين تكون السيادة لها على الإنسان.

وثورة الإرادة الإيمانية الحية القوية الخيرة على إرادة الشر في الطغاء، والإرادة المحسوقة والمهزومة للأمة أمام الرغبة والرهبة، ودنيا السلطان وبطشه ونقمته.

وهي معركة تحاكي معركة الداخل في نفس الإنسان، والجانب من النفس جانب هذه القوى أو تلك القوى جانب الإيجاب أو السلب المنتصر في معركة النفس هو الذي يُعين لي موقعي في هذا المعسكر أو ذلك المعسكر في معارك الخارج.

خطبة الجمعة (٣٢٤) محرم ١٤٣٦ هـ - ٧ نوفمبر ٢٠١٤ م